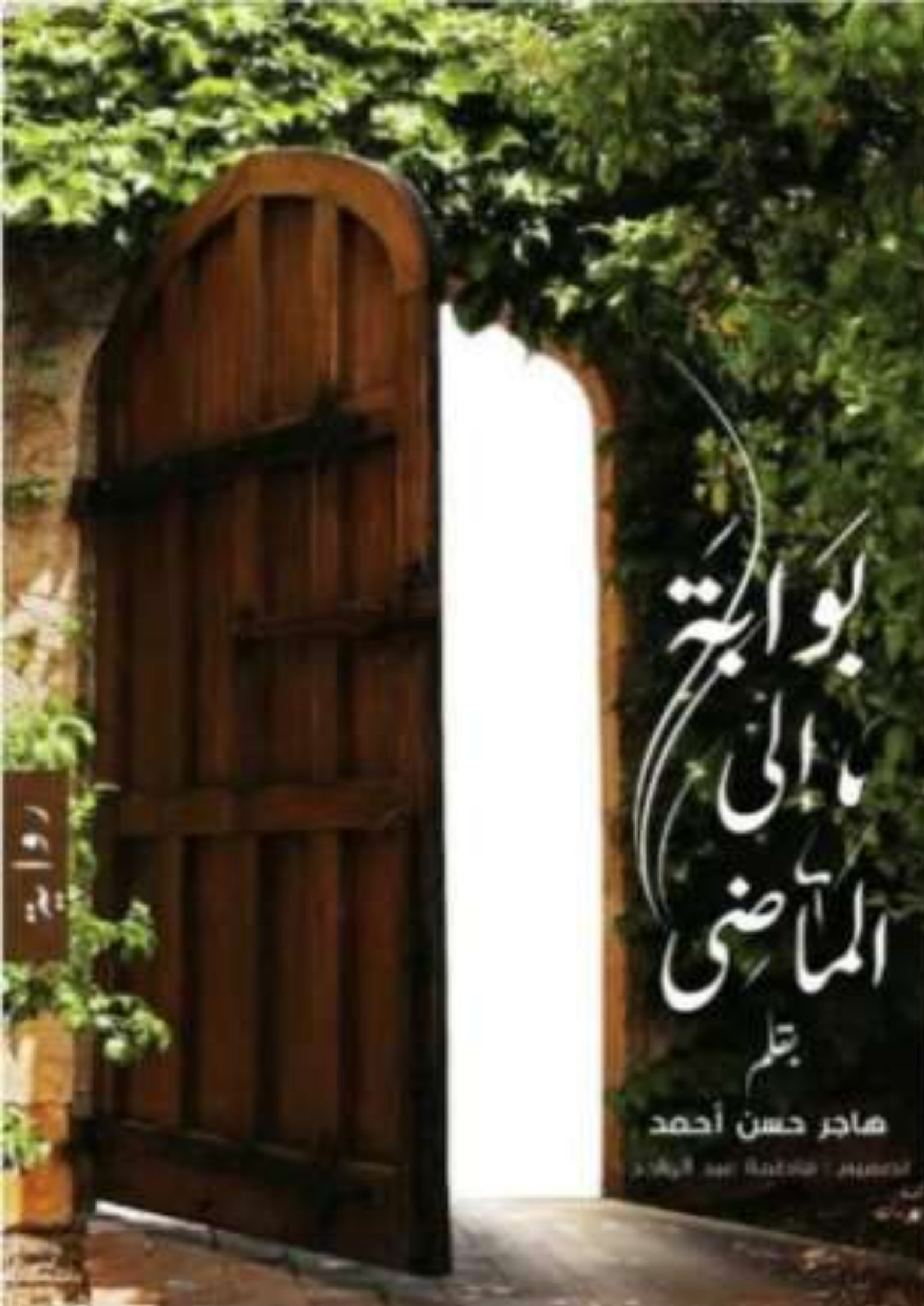
بوابة الماضي
بقلم
هاجر حسن أحمد
رواية

إهداء.....

إلى أبى و أمى

شكر خاص إلى أحمد حسن

إهداء.....

أهدى هذه الرواية خصيصًا إلى أبناء ديروط

صعدت على السلم و هى تتكئ على عكازها و قد بلغ السن منها مبلغه ودائما ما يحذرها ولدها من الصعود إلى السطح و هى التى تسكن الدورالأرضى إلا أنها عندما تختنق و تهاجمها ذكريات الماضى تجد نفسها صاعدة إلى السطح حيث المتنفس الوحيد لها فى هذا العمر؛ مرت فى طريقها على الدور الثانى حيث يسكن ولدها و زوجته و أولاده فنظرت إلى الصالون حيث يجلسون لتجد أحفادها متجمعين حول الراديو و أمهم جالسة معهم ؛ ويبدو أنهم يستمعون بإنصات حتى أنهم لم يلحظوها و قد تناهى إلى مسامعها صوت المتحدث فى المذياع و هو يهنئ مستمعيه ببلوغ العام الجديد عام 1962 ميلاديه فشعرت بأن هذا التاريخ بعيد عليها فلم تعد تعمل للأيام حساب فمذ أن رحل أحبائها و هى تنتظر اللحاق بهم و كم طال هذا الإنتظار تنهدت بألم و هى تجلس على الأريكة الموضوعة أسفل سقيفة مغطاة بالنبات و قد انتشرت الأزهار مختلفة الأشكال و الألوان و المزروعة فى أصص فخاريه فى كل مكان فى منظر محبب للعين و هى تشعر بالإمتنان كثيًرا لولدها الذى صنع هذه الحديقة الغناء و الذى منذ نعومة أظفاره و هو يعمل إلى جانب دراسته حتى تمكن من بناء منزل والديها ؛ وأصبح عامًرا من جديد كما الماضى و أفضل فهم الآن قد تخلصوا من الإحتلال الذي كان يقيض عليهم و لكنهم قد دفعوا الثمن غاليا لأجل ذلك ؛ مسحت دموعها بطرف شالها عندما سمعت صوت أقدام تقترب منها وسرعان ما حجبت عنها الرؤيه لتتحدث بهدوء : شيلى إيدك يا نور

ضحكت و هى تقفز أمامها : عرفتينى إزاى يا جده عيشه

- مفيش حد شقى غيرك

و كانت نور فى السابعة عشر من عمرها و قد أوشكت على إنهاء دراستها الثانويه و لطالما ذكرتها بشبابها فقد كانت تشبهها كثيرا من حيث المظهر والطباع و سرعان ما وجدت فريده تجلس و تلقى عليها التحيه و من ثم إيهاب و قد كانا توأمين فى السنة الثانية لهما فى الجامعه تسآلت فريده :مالك يا جده عيشه فيكى حاجه

- ما فيش يا بنيتى كنت بفتكر الأحباب

فتحدث مهاب باهتمام : بابا قالى قبل كده إنك سمتيه فتحى على اسم خالى الله يرحمه

-أيوه يا ابنى كان خالك الله يرحمه و نعم الأخ يا رب أحصلهم قريب

شهقوا جميعا فى آن واحد و تحدثت نور : ما تقوليش كده يا جده عيشه هتروحى و تسبينا

لم تجب و قد شعرت بالخجل من أحفادها ليتحدث مهاب : أنا سمعت من أبوى إن خالى واجه الإنجليز .....و لما سألته عن تفاصيل قالى اسأل جدتك

لتكمل فريده عنه : احكيلنا يا جده عيشه إيه إللى حصل زمان و مخليكى مهمومه علطول يمكن لما تحكيلنا تستريحى

أرادت أن تتهرب من الأمر فهى لا يهون عليها أن ترفض لهم طلبا : إنتم مش وراكم قرايه روحوا شوفوا مستقبلكم

تحدثت نور بامتعاض : بكره أجازه يا جده احكيلنا بقى إحنا زهقانين

-طيب تعالوا قربوا منى

جلسوا على الأريكة بجانبها و جلست نور على الأرض عند قدمها فبدأت تفيض بما فى قلبها من أشجان و ما فى ذاكرتها من مخزون سنين خلت

ديروط خريف عام ١٩١٩

(١)

تحلقوا حول الطبليه فى فناء المنزل و قد وضع أمامهم طبقان يحويان الفول و الجبنه القريش بالإضافة إلى كوب الشاى الموضوع أمام كل منهم ؛السماء فوقهم يختلط فيها سواد الليل مع بياض النهار ؛ الفناء بالنسبة لهم هو مكانهم المفضل للجلوس فى جميع فصول العام؛ ففى الصيف يستمتعون بنسمات الهواء التى تهب فيها مخففة عنهم حر الصيف و قيظه ولو قليلا و فى الشتاء يضعون فى وسطها إنًاءا من الفخار قد برزت ألسنة النار من داخله مستخدمين فى إشعالها الخشب و فى كثير من الأحيان يستعيضون عنه باستخدام أكواز ذرة جافة خلت من البذور ؛ يدفئون بها أجسادهم و ربما يتسامرون حولها بعض الوقت قبل الخلود إلى النوم ، كانت رائحة الخبز تملأ الأجواء و تتركز بالقرب من الغرفة التى يربض فيها

الفرن ؛ تجلس أمامه امرأة بدينة بعض الشئ تتلحف السواد متخذة وضع القرفصاء يتمتم لسانها ببضعة أذكار علمها إياها ابنها طه و هى دائما ما تحب أن

تشغل وقتها بالتقرب إلى الله و قد كان المفضل من أبنائها بسبب حرصه على تعليمها أمور دينها فيجلس معها كل مساء بعد أن يخلد الجميع إلى النوم و يحكى لها الأمور التى يسمعها من شيخ الجامع بعد صلاة المغرب ربما قد تكون قصصًا بهدف العبرة أو مواعظ وربما أيضًا بعض الأحكام الشرعيه و كانت تتمنى كثيرا أن يتعلم و يصبح مثل أخيه فتحى مدرسا و لكن ضيق ذات اليد جعلت منه أمّيا ؛ انتبهت إلى نضوج الخبز أكثر من اللازم فنست بسرعة ما كانت تفكر فيها و حاولت إخراج الرغيف بسرعة باستخدام عصا طويلة و رفيعة بعض الشئ قبل أن يحترق و من ثم ارتفع صوتها منادّيا : يا عاشة

برزت أمامها من فتحة الباب فتاة على مشارف العشرينيات ترتدى جلابية خضراء مزركشه بالورود الحمراء و أوراق الخريف الصفراء يغطى شعرها إشرب أسود صغير بينما يتدلى شعرها الأسود الفاحم واصلا إلى خصرها وقد كان وجه عائشة فى مظهره أنها فتاة ناضجة مليحة الملامح ذات عينين سوداوين و أنف حادة كالسيف : أيوه يا أمه

أشارت على كومة من الخبز مرصوصة على صينية نحاسية بجانبها: خدى كام رغيف لأبوكى و اخواتك

- مشوا كلهم

- طه راح الأرض و أخوكى راح يشوف الساعى قايلى من امبارح ؛ لكن أبوكى معندوش شغلانه و لا مشغله إيه إللى يطلعه

- - معرفش لما يجى اسأليه ؛ أنا ماليش كلام معاه واصل

- ليه يعنى هو مش أبوكى

- الحقيقه من ساعة ما جه و هو ما بيتكلمش معانا و غير كده بقاله تلات سنين غايب فبقيت بخاف اتكلم معاه

- ده ما بقالوش اسبوع راجع و كفايه الكسر إللى فى رجله

استندت على الباب مكتفة يدها إلى صدرها و تذكرت كيف كان يعاملها والدها قبل أن يأخذه الأنجليز وكيف كان يمازحها دائما و لا يمكن أن تغادرالبسمة شفتيه طوال جلوسهما مًعا أما الآن فهو لا يعيرها أى اهتمام

وصلها صوت والدتها : بطلى سرحان و تعالى حطى الوكل عشان أروح ابرد جتتى من نار الفرن

-حاضر يا أمه.....بس سيبينى أروح عند خالتى

- ليه هو إنتى مش كنتى عندها امبارح

وضعت أمام والدتها طبق الجبن و صبت لها كوب الشاى و هى تقول :- يا أمه خالتى وليه كبيره فى السن و تعبانه لازم أروح أشوفها علطول يمكن تحتاج حاجه

- واه يا عاشه اقعدى مطرحك و اسكتى.....إحنا قلنا لخالتك تيجى تعيش معانا بس هى إللى منشفه راسها

- هو أنا يعنى هاروح عند حد غريب دى خالتى

- أنا ما ليش دعوه واصل بالحكى ده ؛ لو أبوك عرف ريحتك و جيتك على خالتك مش هيعدهالك بالساهل

- - ما أنا هارجع قبل ما يجى

وقبل أن تنهى كلماتها تلك كانت قد ارتدت العبائة واضعة الحجاب على رأسها و برقعا على وجهها

ضربت كًفا على كف ما إن سمعت صوت باب البيت و هو يغلق محدثة نفسها: آخ منك يا عشة آخ امتى بس البت دى هتتهد و تعقل زى بقية البنات

[2]

سار فى الشارع واضًعا يده فى جيب جلابيته بينما يحمل بيده الأخرى كتابا ذو غلاف أصفر مهترئ كان قد أرسله إليه أحد الأصدقاء القاطنين فى القاهره مع الساعى تظن و أنت تسير نحوه أنه ينظر إليك و لكن عندما تدقق النظر فى عينيه ستجد أنه ستجد أنهما شاردتان فعقله يعمل كالآله ؛ ظروف المعيشة التى تعيشها أسرته تجبره رغًما عنه على التفكير فى عمل إضافى غير عمله كمدرس بالمدرسة الإبتدائيه و كم يحزن كثًيرا على أخيه طه كيف أصبح مسئولا عن العائلة منذ نعومة أظفاره و لم يستطع أن ينال حظه من التعليم و كم تحمل المسؤلية طوال الوقت فأصبح الناس يظنون أنه الأكبرلتصدره كل ما يخصهم كان فتحى ضخم البنيان أبيض الوجه أسود العينين ذو أنف حاده فأخته عائشة كانت نسخة منه أما طه و صباح فكانا على النقيض تماما حيث يملكان بشرة داكنه ؛ خرج من أفكاره حينما لفت انتباهه بعض الأولاد متجمعين حول امرأة ترتدى فستًانا يصل إلى أسفل ركبتها مع قبعة دائرية كبيره تخفى معظم ملامح

وجهها و قد أمسكت بيدها حقيبة صغيره ؛ دفعه الفضول للإقتراب و معرفة ما يحدث

- إنت ياض إنت وهو بتعملوا إيه هنا !

نظر إليه أحدهم و الذى لا يتجاوز طوله خمسون سنتيمًترا: تعالى شوف يا عم فتحى الخواجيه دى حلوه قوى !

- يلا ياض إنت وهو من هنا جاتكم البلا؛ لينتهى بهم الأمر راكضين بعيدا خوفا من ملامحه الجادة و العابسه ضرب كًفا على كف و هو يقول متنهًدا : عيال آخر زمن التفت إليها قائلا : حضرتك كويسه

ظلت تنظر إليه صامته و قد توقفت رموش عينيها عن الحركه فتنبه أنها لاتفهمه ؛ وخطر له أن يحادثها بالإنجليزيه : هل أنت بخير ؟ هل تحتاجين إلى مساعده ؟

عادت رموش عينيها إلى الحركة بشكل سريع : أنت تجيد الإنجليزيه

تململ فى وقفته وقد بدأ يلوم نفسه على فضوله فسرعان ما ستتوجه أنظارالناس إليهم : أجل.....أجل

نظرت إليه بتفحص و هى تحدث نفسها : هل سيقبل مساعدتى يا ترى

تعجب من صِمتها و تمعنها فيه وأراد أن يذهب فى طريقه : أرجوك إذا كنت تعرفين طريقك فاذهبى و ما إن هم بالذهاب حتى استوقفته و قد أفاقت من شرودها: انتظر.....انتظر أنا بحاجة إلى مساعدتك

- ما الذى تريدينه ؟

- الموضوع طويل بعض الشيئ ؛ هل يمكن أن نذهب إلى المقهى؟

- أنِت بالتأكيد تمزحين

- و لما قد أمزح ! أنا أتحدث بجديه

- لابد أنِك أتيِت إلى هنا حدًيثا

- أجل هذا صحيح لقد أتيت البارحه و لكن لا أعلم ما المشكلة فى هذا !

- أوقفها عن الحديث بحركة من يده و هو يقول : انتظرى.....انتظرى سأخبرك ما هى المشكله ؛توقف عن الحديث واضًعا يده على فمه و قد وجه نظره إلى الأرض فبدا أنه يفكر فى أمر ما ؛ و من ثم عاود النظر إليها :

المشكله هى أنك فى جنوب مصر لست فى انجلترا أو القاهره حتى إن ذهبنا الآن و جلسنا على أحد المقاهى كما تريدين فسوف يقتلوننا و لن ينظروا حتى لدموع أعيننا؛ بدأت تشعر بالإهانة من حديثه لتحدث نفسها : يا له من رجل نزق و لكن على أتحمل إن كنت أريد إنهاء ذلك العمل و تذكرت للتو أنها لم تعرفه بنفسها : بالمناسبه أنا اسمى جانيت سكتت هنيهة و قد انتظرت أن يعرفها بنفسه و لكنه لم يفعل فتابعت بشئ من الحرج : فهمت وجهة نظرك ؛ أمسكت حقيبتها و أخذت تقلب فيها : سوف أعطيك عنوان المنزل الذى أقيم فيه و تأتى إلى فى أى وقت

- لا أحب دخول منازل الإنجليز

و يبدوا أن هذه الجملة هى التى قصمت ظهر البعير بالنسبة لها و أصبح الدم يتصاعد داخل رأسها كبركان ثائر فما كان منها إلا أن أجابته و قد رفعت رأسها فى إباء : و أنا لا أحب المتعجرفين أمثالك ؛ أدارت له ظهرها و قد همت بالرحيل ؛ فشعر بالغيظ من هذا الوصف الشنيع بالنسبة له فأراد أن ينفس عن غضبه و لم يجد إلا العامية متنفًسا له : طريقك زراعى يا أستاذه لم تفهم بطبيعة الحال ما قاله و لكنها فطنت أنه لا يمكن أن يكون كلاما جميلا إلا أنها فضلت تجاهله نائية بنفسها عن هذه السخافات

(3)

فى السوق الشعبى وسط المدينه حيث يتزاحم النساء لشراء ما يلزمهم رجال يرتدون الجالابيات و العمائم الملفوفه يسيرون هنا و هناك؛ بضعة نساء قد أمسكت كل واحدة منهن طفلا فى يدها و ربما كان هناك واحد جالس على كتفها يبحثن عن مكان فارغ ليفترشن فيه ما يحملن على رؤسهن من جبن و سمن كن قد صنعنه فى بيوتهن ؛ تختلط أصوات بكاءالأطفال مع أصوات البائعين و هم ينادون على بضائعهم المختلفة من خضار وسمك و فواكه مختلفة بينما يسير جندى انجليزى و ربما آخر هندى يلتقط إجاصة من هنا أو خيارة من هناك و سواء دفع ثمنها أو لم يدفع و فى الغالب لا يدفع فلا أحد يستطيع محاسبته حيث يتملق الجميع هؤلاء الجنود من أجل بقاء لقمة العيش ؛ بعضهم يضع بضاعته على طاولة و قد غطاها بما يشبه المظلة عبارة عن قطعة سميكة من القماش مرفوعة

باستخدام الأخشاب و البعض الآخر افترش الأرض تاركين فى منتصف الشارع فراغا يسير فيه العابرون و يواجه ذلك الشارع بضعة مبانى ذات طابقين و قد بنيت تلك المبانى من الطين و سقفت بجذوع النخل

فى الطوابق الأرضية لتلك المبانى هناك مقهى المعلم برعى و دكان صبرى الخياط و بائع الأقمشه الحاج سعد ؛ يتفرع من ذلك الشارع شارعين جانبيين يعجان بالبيوت الصغيره ؛ سار على فى وسط تلك الجلبه حاملاعلى كتفه سلة ليست بالكبيرة أو الصغيره مصنوعة من زعف النخل تفوح منها رائحة السمك الزفره و قد ارتدى جلابية و شالا يغطى بها رأسه ومعظم وجهه بينما تدور عينيه هنا وهناك واضًعا فى الحسبان أن لا يلحظ أحد ؛ لم ينتبه إلى أنه اصطدم بأحدهم إلا عندما أصبحت السلة التى يحملها على الأرض و قد تبعثرت الأسماك حولها و دون أن ينظر إلى الشخص الذى ارتطم به ؛ نزل على الأرض يجمع ما سقط و قد بدأ يشعربالتوتر : إنت يا أخينا مش تحاسب

توقفت يده عن الجمع عند وصل إلى مسامعه ذلك الصوت المألوف بالنسبة له ليحدث نفسه قائلا : كان ناقص أخبط فى برعى عالصبح

عادت يداه للملمة آخر سمكتين و هو يتحدث متحاشًيا النظر إلى محدثه : معلش يا معلم برعى.....حقك عليا

- و إنت تعرفنى منين يا جدع إنت

- هو إنت قليل فى البلد يا معلم.....صغيرنا قبل كبيرنا يعرفك

رفع كتفيه و اضًعا كفه فى فتحة جلابيته و قد بدا عليه الزهو بنفسه : خلاص هنعديهالك النهارده

رفع السلة على كتفه و قد هم بأن يقبل رأسه : و آدى عربون أسفى

إلا أن الآخر ابتعد متقًززا : بعد عنى ابظفارتك دى عالصبح

- طيب يا معلم بالإذن بقا

- إذنك معاك يا أخويا

نظر إليه و هو يبتعد محدًثا نفسه : أنا حاسس إنى شوفت الجدع ده قبل كده..... صوته مش غريب عليا لولا الشال إللى لافف بيه وشه يمكن كنت عرفته

نادى على الصبى الذى يعمل فى مقهاه : إنت ياض يا حته

خرج من المقهى رجل رفيع قامته منحنية بسبب طوله يضع طقية على رأسه مشمِّرا لكمى جلابيته القصيرة بعض الشئ و قد علق فوطة صغيرةعلى كتفه : أيوه يا معلمنا

-شايف الراجل أبو جلبيه سوده إللى ماشى ده

- أيوه شايفه

- عايزك تقطره و مش عايز أشوف وشك إلا لما تكون عارف عنه كل صغيره وكبيره

- و القهوه يا معلمنا.....مين هيقف فيها

- قهوة إيه ياض ده أحنا قربنا نشن الدبان من كتر الفضا.....روح بس اعمل إللى قولتلك عليه بدل ما اطلع عليك عفاريتى

- لا يا معلم إلا عفاريتك دول..... أنا خابرهم كويس بالإذن

قعد على الكرسى بجانبه و قد أمسك بخرطوم الأرنجيلة فى يده محدثا نفسه بصوت عال : عيال عايزه ضرب المراكيب

(4)

كان جالِّسا على الكرسى أمام مكتبه تنشغل إحدى يديه بكأس مملوئة بالشراب يشرب منها رشفة تلو أخرى و بينما هو منشغل فى الاشيئ وصل إلى مسامعه صوت طرقات على الباب : ادخل

مرق من الباب رجل يرتدى بذلة عسكرية أدى التحية و قد أمسك بيده مجموعة من المظروفات ليبادره الآخر قائلا : أعطنى إياها بسرعه لا بد أن هناك أمر من القيادة بخصوص انتهاء الحرب ؛ أخذ يفر فى الرسائل ليفض الرسالة التى يبحث عنها ما إن وجدها بسكين صغير مخصص لذلك ؛ التهم بعينيه حروف الرساله و قد بدأ يظهر على قسماته التحفز الشديد : إنهم يأمرون بتطبيق الأحكام العرفيه

- بما تأمر سيدى

- الأوامر تقتضى حظر التجوال من التاسعة مسَاءا و حتى الرابعة فجًرا ويجب أن يكون هناك دوريات تسير فى الشوارع طوال هذه الساعات .....

كائن من كان من سيسير فى أوقات حظر التجوال سوف تطلقون عليه النار

- أمرك سيدى

- أى خطأ يحدث يا هارولد سوف أحاسبك عليه .....هل هذا مفهوم

- مفهوم سيدى

أوقفه قبل أن يخرج بإشارة من يده : أيضًا عندما يأتى برعى إلى المعسكرأرسله إلى

- كما تأمر سيدى

(5)

حل المساء و بدأت أصوات الناس و حركتهم تخبو شَيئا فشَيئا و مع حلول الساعة التاسعه كان سكون الليل قد حل على المدينة لا يخترقه سوى ضحكات الجنود السكارى هنا و هناك و ربما أصوات بيادات المتجولين منهم أو االدوريات التى تجوب الشوارع بين الفينة و الأخرى ؛ تسارعت خطوات على و بدأ باتخاذ الشوارع الجانبيه حينما نبهه عقله أن حظر التجوال قد أعيد فرضه فهذا هو التفسير الوحيد لعدم رؤيته إنسًيا واحًدا مذ أن خرج من منزل العمده ؛ تخلص من السلة التى كان يحمل فيها السمك فلم يعد بحاجتها ؛ و لقدره ظهر أمامه من العدم جنديان يحمل أحدهما قنديلا فى يده ؛ عاد أدراجه بسرعة البرق و لكن الرصاصة التى انطلقت من بندقيةالجندى كانت أسرع منه لتصيبه فى ذراعه الأيمن فما كان منه إلا أن احتمى بحائط أحد المنازل ليستل مسدًسا صغًيرا كان مخًبئا فى طيات ملابسه وقبل أن يتمكن الجنديان من الوصول إليه كان هناك رصاصة قد استقرت فى صدر كل منهما ؛ عاود الركض من جديد متخًذا الشوارع الجانبيه و الملتويه طريقا له ، يكاد يجزم بأن هربه بلا فائدة تذكر فأصوت الرصاصات التى خرجت من البنادق قبل قليل كافية لجعل الجنود ينتشرون انتشار النار فى الهشيم ؛ توقف عن العدو يحاول التقاط أنفاسه و التفكير فى طريقة أخرى للهرب حينما التقطت أذناه أصوات أقدام تقترب منه ليعمل عقله كالآلة ويبدأ بالبحث فى ظهر البيت الذى أمامه عن طريقة تمكنه من تسلقه ،استطاع بوجود بعض النتوئات الصغيرة التى أحدثتها عوامل الزمن بالكادأن يتسلق المنزل مع تلك الإصابة التى فى ذراعه

6

دارت حول نفسها فى الغرفة تفكر فيما يمكن أن تفعله لتخرج من الورطة التى أوقعت نفسها بها ؛ حينما دخلت الغرفة إمرأة هزيلة بعض الشئ ترتدى عباءة بنية تصل إلى كعبها وقد بدا جَليا أن الزمن ترك أثره على وجهها فملئه بالتجاعيد مخفيا معظم ما كان عليه وجهها أيام صباها يتدلى شعرها على كتفيها المتهدلتين معقوًدا فى ضفيرتين ناصعتى البياض إلا من بعض الخصل المخضبة بالحناء

- يا بنيتى اركحى شويه.....رايحه جايه طربتينى معاكى

- يا خاله أبوى زمانه رجع البيت دلوك و لما ما يشوفنيش هيسأل عليا ..... وأمى هتقوله إنى عندك و مش بعيد تقومه على..... قوم هو إيه يطين عيشتى أنى و ما إن أنهت كلماتها حتى جلست على الأرض متخذة وضع القرفصاء تلوح بسبابتى يديها : آه يا سنينى السوده لتضع يدها على رأسها مكملة نواحها : آه يا نفوخى آه

- بطلى كلامك الماسخ ده النبى صلى الله عليه و سلم بيقول : لا تسبواالدهر فإن الدهر هو الله" فهمتى يعنى ما تقعديش تقوليلى سنينى السوده و يومى المنيل و الكلام الماصخ ده تانى ، الشيخ يوسف الله يرحمه كان ديما بيقولى الكلام ده ؛ فقد كان زوجها شيًخا عاًلما بأمور الدين يعلمها ما تجهله من أمور دينها و هى التى لم تتلقى تعليًما من أحد قط سواه

- ماشى يا خالتى فهمت.....بس برضو هاعمل إيه فى المصيبه إللى أنا فيها دلوك

- مش مصيبه و لا حاجه أنا هاروح أكلمه و أقوله إنك نمِت من غير ما تقصدى و أنا غفلت جنبك و ما دريناش غير وخرى

- صح يا خالتى هتكلميه

- أيوه صح هروح معاكى بكره و هاحدته ، انبسطت أساريرها و شعرتببعض الراحة و لكن سرعان ما تغضن جبينها بتفكير حينما تذكرت شيئا كانت قد غفلته : يا خالتى أنا صحيت على ضرب نار بره..... متعرفيش إيه إللىُ حصل

- العلم عند الله يا بنيتى أنا زيى زيك..... بس يا رب ما يكونش حد حصله حاجه

- يا رب يا خالتى.....حِكم الإنجليز دول فاجرين يعملوا أى شئ عشان يفضلوا معششين وسطينا

- يا بنيتى بطلى تقولى الكلام ده حد يسمعك و نروح فى سين و جيم إحنا غلابه ملناش حد و بعدين دول عايشين معانا من زمان و خلاص اتعودنا عليهم

همت بأن ترد على كلامها و قد شعرت بالحنق من استسلامها لدرجة عدم الإعتراض بالكلام على الأقل و لكنها صمتت عندما تناهى إلى مسامعها بعض الأصوات الغريبه

- جاى منين الصوت ده يا خالتى

- من السطح تلاقيه الجربوع المضروب بيجى كل يوم ياكلى كتكوت

- إزاى ده يحصل و عاشه موجوده .....أنا هاطلعله أوريه شغله

ضحكت كثيرا من طريقة كلامها : يا بنيتى الدنيا ليل.....استنى آجى معاكى

أشعلت شمعة صغيرة من مصباح الجاز المعلق على حائط الفناء و صعدت

إلى السلم و هى تلتفت إلى خالتها: خليكى إنتى يا خالتى. .....ها اموته وأنزل بسرعه ؛ كانت على وشك تجاوز آخر درجتين قبل أن تقع عينيها على ذلك الجالس على ركبتيه يلهث بصوت مسموع و قد أمسكت يده اليسرى بكتفه الأيمن ؛ غطت بالشال الأسود الموضوع على كتفها شعرها و معظم وجهها قبل أن يلحظها ؛ اقتربت منه فى خفوت لتلوح بعصا خشبية كانت قد أحضرتها معها لضرب الجربوع : لف و ارجع من مطرح ما جيت ماعندناش حاجه تتاخد ؛ و حينما لم تتلقى ردة فعل منه قربت الشمعة من وجهه لعلها تتعرف عليه إلا أن ملامحه كانت غريبة عليها ، و لكن تمكنت بسهولة على ضوء الشمعة الضئيل من ملاحظة بوادر الألم المسيطرة على وجهه و شعرت بغبائها لوصفه بالسارق فهل السارقين يجلسون على السطوح : إنت فى حاجه تعباك

و ما إن خرجت الكلمات من فمها حتى اتسع بؤبؤ عينيها فقد لاحظت للتو تلك الدماء المخضبة لملابسه : إنت متصاب.....الضرب إللى كان من شويه عليك إنت صح

أومأ برأسه فى إشارة إلى صحة كلامها ، بهتت لوهلة و وقفت دون حراك وكأنما تحولت إلى تمثال شمعى ؛ تنظر إليه و هو يتلوى أمامها تحدث نفسها : إيه المصايب إللى بتحل عليا من السما دى..... هو أنا ناقصه مش كفايه إللى أنا فيه ؛ أعادها من شرودها صوت طرقات يبدو أنها صادرة من أسفل لينهض ذلك الجاثى أمامها متجًها إلى حافة السطح ؛ فاسرعت خلفه و قد فهمت ما ينوى فعله : هاتعمل إيه ..... إنت اتعرضت هترمى نفسك

تحدث بصوت محشرج يحمل فى طياته الألم : لو ما اختفيتش من هنا دلوقتى..... ما فيش حد فى البيت ده هيترحم

- هاشوفلك مكان تدسى فيه لحد ما يمشوا

- مش هينفع هيلاقونى

نظرت حولها بسرعه متجاهلة كلامه لتشير إلى أحد أكوام القش : ادخل فالكومه دى ..... و إن شاء الله تعدى على خير

زاد صوت الطرقات فى الأسفل فاستعجلته : مالك متصنم كده ليه ..... يلا بسرعه مفيش وقت

نظر إليها فى تردد فأكملت : إحنا مش أحسن منك علشان نفضل حياتنا على حياتك ..... و كله بأمر ربنا

أسرعت إلى أسفل بعد ما أخفته بشكل جيد بين القش و التبن؛ وضعت برقعها و من ثم ذهبت إلى خالتها الواقفة عند الباب و قد بدا عليها الخوف و القلق : مين ده يا خالتى إللى بيخبط

- مش عارفه يا بنيتى.....ما اقدرش افتح الباب فى الليالى دى و لسانى معقود ما قدراش حتى أقول مين

سحبت الخشبة المغلقة للباب من مكانها : شكلهم العساكر و لو ما فتحناش هيخلعوا الباب من مكانه

ظهر من خلف الباب الخشبى ذو الضلفتين رجل يرتدى ملابس الشرطة البيضاء و قد شد على خصره حزَاما يتدلى سلاحه منه بادرته قائلة و قد أضمرت فى نفسها أن لا تدع له مجًالا للشك فيها: اتفضل يا سعادة البيه

لم يعر لما قالته اهتمًاما و التفت إلى العساكر الواقفين خلفه : ادخلوا فتشوا بسرعه ما عندناش وقت

-أرادت أن تلفت انتبهاه بعدم معرفتهم لسبب مجيئه فلربما يتراخى فى تفتيش منزلهم و استعارت فى حديثها طريقة أختها صباح الجريئة والسوقية فى الحديث : و حياة حبيبك النبى يا بيه إحنا غلابه و لا لينا فى السلاح و لا كلام من ده كله

- ما تسكتى يا وليه إنتى..... هو إنِت هتعرفينا شغلنا

قلبوا البيت رأًسا على عقب قبل أن يخرجوا من آخر غرفة و قد توجه أحدهم بالحديث إلى الضابط : مش موجود

- هو إيه إللى مش موجود.....ما تفهمونا إيه إللى بيحصل

نظر إلى المرأة الأخرى اللائذة بالصمت منذ دخوله فلم يستغرق الكثير من الوقت ليتبين له أنها امرأة عجوز على الرغم من صعوبة معرفة هذا بسبب البرقع المغطى وجهها إلا أن كتفيها المتهدلتين ويديها المجعدتين جعلاه يدرك هذا الأمر بسهوله : يا حجه خدى بتك على جنب لحسن أنا خلقى ضيق

- السموحه يا بيه دى بنيه صغيره و ما توعاش على الكلام إللى بيطلع من خشمها.....و إنتى يا مفعوصه إنتى خير فى إيه.....ما تسيبى البيه يشوف شغله ، إنتى هتعرفى أكتر منه .....واه

عاود الإلتفات إلى الواقفين أمامه : إنتوا لسه واقفين يا غشيم إنت و هو ؛واحد منكم يطلع يبص فوق و الإتنين التانيين بينا عالبيت إللى وراه لازم يكون معرفش يبعد كتير

انتهت من فرش الملائة على السرير ذو الأعمدة النحاسية قبل أن تتجه إلىالخارج منادية صاحبه : أنا سويتلك فرشتك يا أبو فتحى.....مش هتخش تنام يا أخويا ؛ لكن الجواب الذى حصلت عليه كان الصمت وحسب فما كان منها إلا أن جلست بجانبه و قد لاحظت شروده و تحديقه فى النارالخارجة من الإناء الفخارى الموضوع أمامه و قد اتخذ وضعية القرفصاء فى جلوسه يتغضن جبينه بين الفينة و الأخرى و كأنما ترد على عقله أمور لايريد تذكرها ، وضعت يدها على ركبته تهزه لينتفض من مكانه و قد خرج من شروده و نظر إلى الجالسة بجانبه : هو إنتى يا بهيه..... إنتى هنا من إمتى

- أنا بقالى زمن قاعده جنبك يا أبو فتحى و إنت و لا هنا.....خبر إيه يا أخويا إيه إللى شاغل بالك.....إحكيلى إن ما كنتش هتحكيلى يبقى هتحكى لمين

عاود النظر إلى ألسنة اللهب و قد ظهر على ملامحه شيئ من القسوة: عاشه فين

-راحت عند خالتها باينلها خافت تيجى لما عرفت بالحظر

أمسكها من معصمها على غفلة منها و قد استعر الغضب فى كل خلية من خلايا جسده و أنزل الغضب على عينيه غشاوة فلم يعد يرى شَيئا أمامه : وأنا روحت فين يا بهيه.....إزاى البت دى تطلع من غير ما تعرفينى.....
آدى آخرة جلعك ليها دايره على حل شعرها و ما عرفنليهاش مطرح

- بعد تلاتين سنه عشره يا جاد بتمد إيدك عليا.....زى ما يكون أصغر عيالك نفض يدها و قد تركت أصابعه إحمرًارا على رسغها ؛ مسدته بيدها الأخرى وقد نطق وجهها بالألم : روح نام يا جاد ربنا يهديك

نهض من مكانه متجاهلا كلماتها : لما تجيلى بكره بس و أنا هاكسرلها رجليهاعشان تعرف تطلع تانى من غير إذنى

نظرت إلى المكان الذى تركه فارًغا خلفه لتصدر منها تنهيدة حزينه ؛ الكثيرمن علامات الإستفهام متجمعة فى عقلها لا تعرف هل عليها أن تنتظر عودة جاد القديم الذى عاشت معه ثلاثة عقود بحلوها و مرها أم تثور عليه وتعترض و ترفض حالته الغريبة هذه و يبقى كونها غير عارفة بما لاقاه فى الحرب أو حتى مكان تواجده أثناء تلك الفتره هو أكثر ما يؤرقها و يصيب عقلها بالجنون ، وعدم إخباره لها بأى من ذلك و هو الذى كان يشاركها أصغر همومه فيما مضى بات شوًكا يخز قلبها فى مقتل

8

صارت دقات قلبها أشبه بقرع طبول الحرب و هى تنظر إليه يصعد السلم متجها إلى الطابق العلوى و قد أمسك مصباح الجاز فى يده ؛ صعدت خلفه مسرعة و كل تفكيرها مرهون فى أن تصرفه قبل أن يتمكن من إيجاد ما يبحث عنه لتجده يتفحص قن الدجاج فحدثت نفسها: يبدو أنه صاحب ضمير و سوف يتعبنى معه ، خرج من القن ينظر إليها : إيه إللى جابك ورايا يا ولية الشوم إنتى

تلعثم لسانها ولم تدرى ما تقول ، فتجاهلها و أخذ يتجول فى السطح و ينظر بين أكوام القش المتناثرة هنا و هناك ؛ توقف عند إحداها يبعثرها بيده التى لا تمسك المصباح فقاطعته : يا افندى نفض يده من القش و التفت إليها قائلا : نعم

- حاسب لحسن النار تمسك فى القش و ما نعرفش نطفيها

أكمل بحثه فى أكوام القش لتبدأ هى فى قراءة الفاتحة على روحها و قد وصل إلى الكومة التى تخبئ فيها هذا الجريـح : يكونش عينوك فى القسم معانا و أنا معرفش.....أما حريم عايزه الحرق بصحيح

لم يكد نهى كلماته تلك حتى تناهى إلى مسامعهم صوت إطلاق النار فرأت أن هذه هى أفضل فرصة كى تصرفه عن اكمال البحث: باينلهم لقيوه روح بسرعه يا بيه ليكونوا عاوزينك و لا حاجه

-أول مره تقولى حاجه ليها لزمه.....يلا فوتك بعافيه

لتحدث نفسها: فوتك بعافيه قال..... بعد ما نشفلى ريقى البعيد ؛ تبعته و هى تقول : لو فى أى حاجه تانى يا بيه إحنا تحت أمر الحكومه

- اقفلى بابك يا أختى عليكى.....ما هنعوزش منكم حاجه

أزالت برقعها بعد أن أغلقت الباب خلفه و قد شعرت بأنها عادت لتتنفس الهواء من جديد ، اقتربت منها خالتها : إيه اللى حصل يا بنيتى ماله وشك صفر مره وحده كده ليه

- مفيش يا خالتى.....كنت خايفه من العساكر بس الحمد الله عدت على خير .....روحى نامى انتى معاد نومك عدى من بدرى

- ماشى يا بنيتى.....و إنتى ما تقعديش كتير

- حاضر يا خالتى

9

جلست على مكتبها تخط بعض الكلمات بذهن شارد بعد أن أذهبت أصوات الأعيرة النارية النوم من عينيها و سرعان ما مزقت الورقة التى كانت تكتب فيها و التى أصبحت فى الحقيقة الورقة العاشرة التى تلقيها فى سلة المهملات فعلى الرغم من هدوئها الإنفعالى إلا أن هناك بركان ثائر فى داخلها يشتت تفكيرها و يعجزها عن كتابة جملة واحدة متراكبه فلا يوجد فى عقلها سوى صورة ذلك الشاب الذى قابلته هذا اليوم والذى أشعرها بالإهانة عندما قال : لا أحب دخول منازل الإنجليز ؛ فالجملة تردد فى عقلها منذ ساعات و كأنه أمامها يقولها لها مرًارا و تكرًارا ؛ تعودت دائًما على نيل احترام من حولها فلم يسبق أن تعرضت لإهانة بهذا الشكل من قبل ، قد يكون لأنها و منذ صغرها لم تسمح لها عائلتها الثرية بالإختلاط بعامة الناس و لم يرفض لها أى طلب لكنها الآن تركت بريطانيا و عليها أن تعتمد على نفسها و تتوقع أن يحدث لها أكثر مما حدث اليوم ؛ شعرت بالإختناق عند وصولها بالتفكير إلى هذه النقطه فنهضت من فورها إلى النافذة تفتحها لعلها تنال شَيئا من نسمات الليل تخفف عنها شعور الضيق الذى يتلبسها

و بعد ساعات من الجلوس فى النافذة و مراقبة النجوم حسمت أمرها و قررت البحث عنه فى الغد و طلب مساعدته مرة أخرى فهى لم تأتى إلى هنا لكى تعبث ؛ لديها الكثير من العمل و عليها أن تنهيه فى أقرب وقت ممكن

نظرت من شق الباب الموارب إلى خالتها تتأكد من نومها و من ثم تسللت إلى الأعلى حافية القدمين تدعو الله فى سرها أن يكون ذلك الرابض فى الأعلى على قيد الحياه و قد انتظرت ساعتين بعد ذهاب الضباط حتى لا تشعر بها خالتها عندما تكون صاعده ؛وجدته قد ربط ذراعه بقماشة يبدو أنه شقها من ملابسه و قد وصل إلى حالة يرثى لها ؛ فالعرق يتصبب منه بغزارة؛ و عينيه زائغتان فى اللاشئ من الألم الذى لم يعد له طاقة على تحمله

- اصبر شويه أنا هاروح اجيب ست اعرفها هتعالجك

-إنتى نسيتى حظر التجوال و غير إن الوليه إللى هتجبيها.....

قاطعته قبل أن يتم حديثه و قد بدا أن الكلمات تخرج من فمه بصعوبه : الحظر مش مهم فى احتمال إنى افلت من الجنود.....و الوليه هدفعلها تعبها و كله هيكون فى الكتمان

و قبل أن يحاول الإعتراض كانت قد اختفت من أمامه فشعر بالندم لأنه لجأ إلى هذا المنزل و كان من الأفضل له أن يسلم نفسه على أن يقحم أناسا ليس لهم حول و لا قوه فى مواجهة مع الإنجليز . و يا لها من فتاة عنيده تصر على مساعدته حتى اللحظة الأخيره ؛ تذكر أن حسن لا بد أنه قد ذهب إلى القرافة منذ و قت و قد تواعد معه على الإلتقاء فى نهاية اليوم هل يا ترى لا يزال فى انتظاره ؛ حاول أن ينهض من مكانه و قد وجد أن عليه أن يذهب من هنا و لكن كيف فهو بالكاد يستطيع تمييز الأشياء حوله و قدماه تتخبطان فى بعضهما و قد بدأ يشعر برعشةٍ تسرى فى أنحاء جسده

سارت فى الشوارع الهادئة متلحِّفة بسواد الليل عاقِّدة العزم على فعل ما بوسعها لإنقاذ روحه و حتى لو قتلت برصاص الجنود فحياتها ليست أكثر قيمة منه بل لا بد أن ذلك الرجل هو أحد المناضلين المتسترين الذين يضحون بروحهم فقط ليخففوا عنهم بعضًا مما هم فيه ؛ و عند تلك النقطة التى وصلت إليها فى تفكيرها اشتعل حماسها و شعرت بأنها ستقوم بعمل جلِيل لأول مره ؛ وصلت إلى باب بيتها بأسرع من ما تظن و تمنت لو تعود بنفس السهوله ، همت بطرق الباب و لكنها تراجعت فالليل آذان صاغيه ولابد أن تلك العجوز الشمطاء تستيقظ فى هذا

الوقت لتحضر أعمال السحر التى اشتهرت بها و بصوت هامس: افتحى يا خالتى نبويه

-مين عالباب

- عاشه ام جاد

- خشى الباب مفتوح

ولجت إلى الداخل و هى تقرأ فى سرها الفاتحة و المعوذتين خوًفا من ما يقوله الناس من أن العارفيت تسكن هذا البيت لتجدها جالسة القرفصاء فى فناء المنزل و أمامها بعض الأعشاب لم تتبين كنهها تقوم بدقها باستخدام الهون فى طبق مجوف فاخرجتها من شرودها حينما سألتها: إيه إللى جابك السعادى

- فيه مريض محتاجك دلوقتى

- هما قالولك إن أنا الحكيم و أنا معرفش

- أنا اسمع إنك كنتى بتشتغلى ممرضه

- ده كان زمان يا شابه دلوقتى خرفت

- هديكى إللى إنتى عوزاه

- إذا كان كده ماشى بس هنطلع إزاى فى الوقت ده .....أنا مش مستغنيه عمرى

تحدثت فى نفسها : عمر إيه يا وليه ده إنتى رجلك و القبر

أعادتها إلى الواقع حينما قالت : قوليلى البيت فين و أنا هجيلك أول ما الصبح يطلع

نزعت من حول عنقها سلسلة ذهبية تأخذ شكل زيتونة صغيره : يا تيجى معايا دلوك و تاخدى السلسله.....يا تنسى إنك شوفتينى أصلا ؛ أخذت السلسله و خبأتها فى ملابسها مجيًبة إياها : و على إيه.....حد يقول للرزق لع

أخذت تتذمر و هى تتلفت حولها و قد بدأ الخوف يتمكن منها : أنا إيه إللى جابنى معاكى.....ملعون أبو الفلوس إللى بتخلى الواحد يعمل كده

- اتكتمى يا وليه هتفضحينا

- هاتكتم.....هاتكتم

لم تمضى خمس دقائق أخرى قبل أن تعاود نواحها مَرة أخرى: مقربناش نوصل يا أختى.....أنا خلاص ركبى سابت

تجاهلتها و هى تميل إلى المنزل تفتحه و أشارت لها بالدخول خلفها

- ما تقوليلى إن إحنا وصلنا أما انتى بت تجيب الهم صحيح

التفت إليها بسرعة لتضع يدها على فمها و هى تقول : وطى حسك يا وليه و من ثم أزالت يدها من على فمها فتحدثت المرأة بسرعه: حاضر هوطى صوتى.....ورينى المنكوب خلينى أخلص الشغلانه المهببه دى

- تعالى ورايا و من غير صوت

- حاضر هو أنا هاقول إيه غير كده يعنى

وضعت يدها على صدرها حينما رأت أمامها ذلك المستند على كومة القش : عشيقك ده يا بت

-بصى يا خالتى أنا جيباك تعالجيه..... عشيقى و لا مش عشيقى ده مايخصكيش

- و هو ماله جنابه

- مضروب بالنار

- يا لهوى أنا مليش فى الحاجات دى.....ده الحكومه تعدمنى فيها

أوقفتها قبل أن تذهب ممسَكة يدها : استنى عندك.....هاتى السلسله قبل ما تمشى

- خلاص سيبى إيدى.....هاتيلى قماش و سكينه

تحدثت إلى نفسها : أيوه كده اتعدلى يا وليه يا شوم و هى تومئ لها بالإيجاب ؛ وضعت قماشة ملفوفة داخل فمه و هى تهم بانتزاع الرصاصة التى استقرت داخل ذراعه بعد أن وضعت السكين على وابور بجانبها ؛ لتنظر إليه و ترى علامات الألم مقروئة عليه بوضوح : إنت يا أخينا امسك نفسك شويه أنا لسه ما عملتش حاجه

اومأ إليها برأسه و هو يشعر أن من يعالجه هو عزرائيل لتباشر عملها و قدأعطتهم عائشة ظهرها فلا تقوى على مشاهدة مثل هذه الأشياء

وضع طربوشه على رأسه و قد أرتدى بذلة رسمية و دأئما ما يحرص على أناقته عندما يكون ذاهًبا إلى الكتاب أو المدرسه فهو عندما يذهب الى هذا العمل يتجرد من كونه فتحى فحسب ليصبح المعلم الذى يجب أن يكون مهندما فى مظهره تقدًيرا للرسالة التى يؤديها؛ يدأب على استقبال تلاميذه بوجه بشوش و نفس صافية و قد بذل مع عقله مجهوًدا مضًنيا يخليه من أى منغص خوًفا من أن ينعكس هذا على تلاميذه ، و دوًما ما يجد نفسه رفيقا بهم فلا بد أن كلا منهم لديه مشاكله الخاصه على الرغم من حداثة سنهم ؛ و يستخدم جميع الطرق ليجعل الدرس مسًليا كى لا يضجروا ؛أمسك حقيبة يده و نزل على السلم فقابلته أمه فى الأسفل : مش هتطفر ياابنى قبل ما تمشى

- هاشريلى كوباية شاى عالقهوه و خلاص

وضعت له قماشًة ملفوًفة فى يده : طيب خد دى معاك.....حطتلك فيها جبنه قريش و رغيفين عيش

-ماشى يا أماه

لم نسى كعادتها كل صباح أن تشيعه بدعواتها : الله يكون فى عونك يا ابنى يبعد عنك ولاد الحرام

اقتربت منه وهو يرتدى حذائه منتهزة فرصة إنغماس زوجها فى تناول الطعام و همست له : ارجع بدرى النهارده أبوك غضبان على عاشه.....عشان تهديه بكلمتين مش عايزين صوته يسمع الجيران

- ليه إيه إللى حصل

- أصل بايته عند خالتها من امبارح و أبوك مشعلل من ساعة ما عرف

- حاضر يا أمه أول ما أخلص مع العيال فى الكتاب هرجع علطول

قطع حديثهما الهامس صوت جاد و قد كان منشغلا بتناول الطعام الموضوع أمامه: هاتلى معاك علبة سجاير و إنت جاى

نظر إليه مبهوتا فمنذ متى و والده يدخن و هو الذى كان من أشد المعارضين لهذه الأمور التى يسميها لهًوا و ضًربا من العبث فضلا عن كونها إهدًارااللصحة فما الذى

حدث ليجعل والده يتحول هكذا إلى النقيض ؛ ترجم أفكاره تلك إلى بضع كلمات قليله : السجاير هتضرك يا أبوى

نظر إليه بغضب و خرج صوته صارًما : إنت هتحاسبنى.....بعد ما ربيناكم و تعبنا عليكم

قاطع والده قبل أن يكمل كلامه فلطالما كان يخشى إغضاب والديه فإيمانه العميق بأن ذلك يستوجب غضب الله عليه يمنعه من ذلك : السموحه يا أبوى حقك عليا هاجيبلك إللى إنت عاوزه.....

لكن تلك الكلمات المعتذره لم تشفع له عند والده الذى عاود حديثه : عيال ماتجيش غير بالعين الحمره... .....عايزه تتربى من أول وجديد

شعر بالضيق فى قرارة نفسه و لكنه جاهد كى لا تظهر تلك الملامح على صفحة وجهه فهو فى النهاية الوالد و له الحق فى أى من ما يتحدث به

12

وقفت أمام المرآة تعقد ربطة العنق ذات اللون الكاكى على قميص أبيض وتنورة تصل إلى أسفل ركبتها من نفس لون ربطة العنق فيما يغطى بقية ساقها شراب أسود , و قد ارتدت حذاء ذو كعب و رقبة قصيره و هى تمثل الملابس الرسميه التى يرتديها جنود الجيش البريطانى ؛ و ما إن انتهت منعقد ربطة العنق الأمر الذى تعانى منه كل صباح فهى تجد أن هذه هى مشكلتها الأذليه التى لا تستطيع إيجاد حِل لها ؛ تأكدت من تصفيف شعرها ولم تمنعها عجلتها من تأمل ملامحها و عينيها الزرقاوتان لتتمثل أمامها صورة ذلك الشاب الذى قابلته و كيف عاملها بالأمس , و هى التى ينحنى الرجال لذكائها و جمالها و علمها فشعرت بشيئ من الضيق ، ثم ما لبثت أن تناست الأمر و قد ذكرت نفسها بأن هناك الكثير من الأمور التى يجب أن تهتم بها أكثر من شيئ سخيف كهذا ؛ نزلت إلى الأسفل و قد حملت بزتها العسكرية على إحدى ذراعِيها تنادى مربيتها التى أحضرتها معها من بريطانيا :
تريذا.....أين أنت

خرجت من المطبخ و هى تمسح يدها بفوطة صغيره : نعم يا ابنتى

- سوف اتأخر اليوم على الغذاء لذا تناولى غذائك و لا تنتظرينى

- و لكن يا ابنتى أنِت تتعبين نفسك فى العمل و هذا سيؤثر على صحتك لاحقا

اقتربت منها ممسَكة كفيها و قد شعرت بالتأثر كثَيرا فلطالما ذكرتها هذه المرأة بوالدتها التى فقدتها منذ طفولتها لتجيبها بعد أن قبلت ظهر كفها : لِإداعى للخوف فأنا صحتى كالحديد كما ترين.....و أنا لا أقوم بأعمال متعبة كالتى تقومين بها.....و كنت قد طلبت من الملازم هارولد أن يتدبر لى أمرخادمه ترفع عنك أعباء هذه الأعمال

- لا حاجة لى بذلك فأنا يسرنى أن أخدم سيدتى الصغيره و لا يشاركنى فى ذلك أحد

- حسَنا أيتها العنيده و من ثم مالت عليها تقبلها من وجنتيها و هى تقول: على الذهاب بسرعه قبل التأخر فلدى عمل كثير ؛ و قد كانت المربية تريذا امرأة عجوز قصيرة بشكل ملحوظ ذات شعر قصير عبارة عن خليط من اللونين الأبيض و الأسود ليعطى لونا رمادًيا و لا يكاد الشعر يلامس رقبتها ؛سارت فى الطريق الترابى متجَهة إلى المعسكر تشعر مع كل خطِوة تخطوها أنها على وشك السقوط حدثت نفسها: ما هذا الطريق البشع.....أفضل المشى على أسفلت ساخن فى نهار قائظ و بدون حذاء على أن اسير فى طريق غير ممهده ؛ لفت نظرها أثناء سيرها امرأة عجوز تقف أمام رجل جالس على الأرض و قد وضع أمامه بضعة أقفاص تحتوى على الخضار ويبدو جَليا من طريقة حديثه و علو صوته أنه ينهرها رغم أنها لا تفهم شيئا من ما يقول ؛ فتبادر إلى ذهنها و لسبِب ما صورة مربيتها تريذا فلم تكن تريد بأى حال من ألأحوال أن ترافقها هنا و لكن إصرار تريذا عليها و توسلها كثيرا و اعتيادها على وجودها بجانبها مذ أن كانت فى الرابعه جعلها ترضخ على مضض لمطلبها بالمجيئ معها ؛ و لكنها سوف ترسلها إلى بريطانيا فى أقرب فرصِة ممكنه فهذه هى نيتها منذ البدايه و خاصَة بعد سماعها أصوات الطلقات النارية بالأمس لتتأكد بأن هذا المكان ليس بآمن إطلاقا ؛ انتبهت من شرودها لدى وصولها إلى بوابة العسكر و قد ترائى لها الملازم هارولد واقفا مع أحد الجنود يتفحص بعض الأوراق فى يده فتذكرت ما بيتته فى نفسها منذ الأمس و سارت نحوه تحييه : صباح الخير أيها الملازم

حول نظره من الأوراق إليها: صباح الخير أيتها الطبيبة جانيت أرى أنِكن شيطه فقد جئت باكرا

- لا فلن أداوم اليوم حيث أن هناك عُمل عّلى إنجازه أولا

- ما هو هذا العمل ؟ و من ثم استطرد عنِدما أدرك أنه تدخل فيما لا يعنيه بسؤاله : فكرت أنه يمكننى تقديم المساعدة لك

- و أنا أظن أنى أحتاج إلى مساعدتك.....بالأمس قابلت شًابا و لكنى لا أعرف اسمه و ليس لدى أى معلومة يمكن أن تدلنى عليه.....و لا أعرف ماذا أفعل

- حسنا و لكن لماذا تريدين البحث عنه ؟

- إنه يتحدث الإنجليزية بطلاقه و أظن أنه سيفيدنى كثًيرا إن رافقنى أثناء إجراء بحثى

- يمكن أن نبرق لهم فى أسيوط ليرسلوا لنا أحد المصريين الجيديين فى اللغه

- لا أذا كان من أهل المدينة فسوف يساعدنى كثيرا فى الواقع انه بمثابة كنز بالنسبة لى

-إذا كان أمره مهما هكذا فلما لم تساليه المساعدة فى وقتها مقابل بعض المال تعطينه له فهو بالتأكيد لن يساعدك بدون مقابل

شعرت بالحرج أن تخبره بأنه رفض مساعدتها هذا غير معاملته لها بطريقة فظه فلا تريد أن تفقد احترامها أو تهتز صورتها عند الملازم أو أى أحد بشكل عام فأجابته: لقد غفلت عن الأمر و لم أدرك أهميته إلا عندما خلوت بنفسى فى المساء

-الحق أن المكان الوحيد الذى يمكن أن تبحثى عنه فى هذه المدينه هو الكتاتيب

شعرت بالضيق فى نفسها فهى لا تعرف كيف تسير فى هذه المدينه و يكفى أنها البارحة قد سارت على راسها مسافة طويله قبل أن تعثر على جندى يوصلها الى المعسكر ليخرجها من لجة خوفها عندما تابع حديثه: سأبعث بأحد الجنود ليرشدك ويمكنك أخذ إحدى سيارات الترومبيل معك

-شكرا جدا أيها الملازم

ندت منه نظرة أخيًرة إليها ليلحظ ما غفلت عنه عينيه أثناء حديثه فمط شفتيه و تحدث بامتعاض : سيده جانيت أين هى بذلتك

أشارت الى المحمولة على ذراعها بسذاجه فتمالك نفسه بصعوبة و هو فى حيرة عن ما إذا كانت غبية بالفعل أم أنها تتظاهر بالغباء : بذلتك العسكرية ترتدينها ...

ليس مكانها على ذراعك فأنت الآن فى الجيش وأى جيش انه جيش بريطانيا العظمى و حتى إن كنتى هنا للسياحة فقد أتيت تحت لواءهذا الجيش

أدركت خطأى هل يمكننى الذهاب الآن ، كان هذه كلماتها حينما ضاقت ذرعا بحديثه فلم تعتد على تلقى الأوامر و أرادت أن تنهى هذا الموقف السخيف بالنسبة لها و خصوصا أن بعض الجنود قد بدأوا باستراق النظر إليهما

13

داعب ضوء الصباح اجفانها فاجبرت الا ان تفتحهما و ما هى الا ثوان حتى ادركت مكانها و قد نامت متكئة على احد جدران السطح القت نظرة على التى افترشت الارض بجانبها و من ثم على ذلك النائم على القش و تذكرت كيف انه فقد وعيه بالامس عندما كانت نبويه تحسم مكان دخول الرصاصه بعد ان اخرجتها باستخدام سكين محماة تركتها على الجمر حتى استحال لونها الى الاحمر فزعت لذلك ظنا منها ان المنية وافته و لكن المراة طمأنتها بأن الإعياء قد اصابه وحسب ليمضيا بقية الليل و جزءا من وقت الفجر فى ترطيب جبينه بالقماش المبلل راجين ان يخفض هذا و لو قليلا من الحرارة التى اشتعل بها جسده و قد نجح ذلك بالفعل فلم تخلدا الى الراحة إلا عندما تاكدتا من خروجه من الحمى التى أصابته اشفقت من ان توقظه فآثرت ان تدعه على غفلته الى ما بعد الظهيره تململت النائمة بجانبها و هى تنقلب على جانبها الآخر إلا أنها لم تستيقظ و قد خلعت البرقع عن وجهها منذ ان همت بالنوم واضعة إياه كوسادة أسفل رأسها تأملت تمددها على الأرض و أريحيتها الشديده و كأنها فى منزلها وليست فى منزل غريب بل وفى نفس المكان مع رجل غريب و إن كان فاقد الوعى

طرق اذنها صوت خالتها تنادى من الاسفل: عاشه انت فوق يا بنيتى فهرعت الى الاسفل قبل ان تهم بالصعود اليها و ينكشف امرها فلسوف تتجادل معها و ربما تقاطعها فيها بقية العمر

- ايوه يا خالتى انا كنت بحط اكل للفروج

- ربنا يسترك يا بنيتى مش عارفه من غيرك كنت هعيش ازاى فى البيت ده وحدى انتى و فتحى ماليين الدنيا عليا بمرواحكم و مجيتكم عليا

شجن قلبها و عز عليها ان ترى خالتها حزينة هكذا فأرادت ان تهون عليها فقدانها لعائلتها و خصوصا ابنها الذى مات على يد جندى انجليزى تشاجرمعه و قد كان فى ريعان شبابه و لم يستطيعوا محاسبة ذلك الجندى : انا وفتحى و

صباح و طه كلنا ولادك يا خالتى و الولاد لازمن يسألو على امهم مش اكده يا خالتى

- اكده يا بنيتى استبشر وجهها و تابعت حديثها ربنا يسترك يا بنيتى ويرزقك بالزوج الصالح قادر يا كريم.... يا رب

يا رب يا خالتى لحسن أنا عايزه امشى من البيت قبل ما أبوى يطخنى ويجيب أجلى ،ارتاحت عندما رأت خالتها تضحك من أعماق قلبها على الرغم من قلقها من البقاء فى منزل والديها بقية عمرها فها هى على وشك بلوغ العشرين دون زواج إلا أنها أرادت ان تتخذ من هذا الأمر دعابة لتضحك بها خالتها

- يلا روحى يا بنيتى و سلميلى على فتحى و طه و امك وابوك والمزغوده صباح مع انى زعلانه منها عشان ما بتسالش عليا

- معلش يا خالتى هى مشغوله بجوزها و عيالها و مش بتجيلنا غير قليل ومن ثم تظاهرت بأنها تذكرت أمرا بالحق يا خالتى هو انت مش هتروحى السوق قالت ذلك و هى تعلم جيدا أن خالتها تتسوق فى هذا اليوم ربما لبقية الاسبوع

- أيوه لازم اروح عشان مفيش وكل فى البيت

- طيب روحى بسرعه دلوك قبل ما الدنيا تزحم بالناس و أنا هاكنس عبال ما تيجى

- حاضر يا بنيتى بس ما تفتحيش لاى حد غريب ان شاالله يكون العمده نفسه ؛ ضحكت فى نفسها على كلام خالتها فماذا سيفعل العمدة فى بيتهم وتقول لا تفتحى الباب للغرباء ايضا لترتسم علامات السخرية على وجهها وهى تحدث نفسها مسكينة انت يا خالتى لا تعلمين ان ابنة اختك تخبئ قبيلة من الغرباء فى الأعلى و مضت الى السطح توقظ النائمين ليخرجا قبل أن تعود خالتها من السوق

14

جلس على كرسى امام المقهى و قد ثنى ساقا اسفله بينما الأخرى متدلية على الارض و امامه ارنجيلة يدخن منها بين الفينة و الاخرى ينظر إلى الغادين و الرائحين أمامه بذهن شارد ربما فى اشياء تافهة لامعنى لها كتخمين ماذا ستعد له زوجته على الغداء او فى سبب تاخر الصبى حته الذى يعمل عنده فى المقهى فلم يكن هناك شيئ يمكن ان ينغص عليه فكره أو يجلب له الهم و الضيق و مردود

المقهى يكفى عائلته ينعمون برغد العيش بالإضافة إلى الإيجار الذى يحصل عليه من ساكنى الدور الأول و الثانى لبيته بينما يشغل هو الدور الثالث كان برعى فتوة من الدرجة الأولى و قد اتخذ بعضا من الشباب العاطلين اتباعا له و الذين كانوا فتوات من قبل يماثلونه فى قوته على الاقل حيث كان كل منهم يسيطر على الحارة التى يعيش فيها و ليس يوجد عامل مشترك بينهم سوى أنهم يعملون لصالح الإنجليز فيحصلون على مال يمكنهم من مواصلة العيش وعلى الرغم من اختلافهم استطاع أن يجمعهم فيكنون التبعية له و لم يكن ذلك بالأمر السهل فقد كان على برعى أن يخوض الكثير من المعارك معهم حتى يتمكن من اخضاعهم لسلطته فباتوا يحسبون له ألف حساب و حصد من الانجليز ما لا وفيرا مكنه من شراء المقهى الذى كان يعمل فيه و بناء منزله على ارض ورثها عن والده فتوضدت علاقته مع الإنجليز فى العشر سنوات الماضيه منذ أن وضع يده فى يدهم و قد كان حينها غير قادر على كسب لقمة عيشه و راى انها فرصة اكثر من رائعة و من الواجب استغلالها و كثيرا ما يجلس فى المقهى مع التجار و الأعيان و يحكى لهم قصصه و بطولاته فى فض المنازعات باستخدام نبوته الأثير و الحقيقة أن تلك الايام لم يبقى منها سوى القصص تروى بيد أن صحته تاثرت بعوامل الزمن فهو الان يناهزالخامسة و الخمسون من عمره و الاشتراك فى قتال بهذا العمر لن تكوننتيجته هينه فما كان منه الا الإكتفاء بالرهبة التى زرعها فى جميع من حوله حتى لا يستطيع أحد من أهل المدينة أن يرد له كلمة و خاصة تلك الطبقة الدنيا و التى تمثل الأغلبية الغالبه و هى الطبقة المستهدفة دون غيرها من قبل الإنجليز و التى يتوقع الضرر منها فى أى وقت تأفف لدى جلوس شاب على كرسى كان قد أخذه من الكراسى المرصوصة فوق بعضها بجانب باب المقهى من الداخل حيث وضعه على مقربة منه قائلا صباح الخير يا معلمنا

-صباح الخير يا أخويا معلش التربيذات و الكراسى ما اتحطتش اصل الواد حته لسه ما جاش

امسك بخرصوم الارنجيلة فى يده واضعا فوهتها فى فمه ليبدأ دخانهابالخروج من فتحتى انفه و قد تميز غيظا من تأخر حته و توعد له فى داخله بأغلظ الأيمان و لن يدع تأخره يمر على خير و لو أخبره انه كان فى جنازة امه

- هو الصبى بتاعك هيتأخر كتير يا معلم اصل أنا مستعجل شويه

نظر اليه شزرا و قد طاف به الكيل لو مستعجل قوى كده يا اخويا روح اعمل كوباية الشاى و لا الحياقه اللى هتطفحها و اتوكل

ندت عن الشاب ابتسامة على عكس ما كان يتوقعه منه: حاضر يا معلمنا دفعه

رد فعله الغريب الى السؤال عن اسمه هو انت اسمك ايه يا جدع

أجابه و هو يحدد مقدار السكر الذى سيضعه فى الكوب بملعقة صغيرة فى يده محسوبك فتحى:

-و بتشتغل ايه يا فتحى

-شغال مدرس فى اسيوط و فاتح كتاب هنا برخصه

-مش باين عليك مدرس خالص اللى يشوفك يقول خمرجى و لا شمام

-ضحك كثيرا و هو يدرك ان الهالات حول عينيه بسبب قلة النوم هو السبب فى وصفه بتلك الاوصاف: هو احنا لاقيين ناكل يا معلم عشان نشم

-شباب االزمن ده كسلان و عاوز الشغل يجيله لحد عنده احنا زمنا كنا نحفر فى الصخر عشان نجيب لقمة عيشنا

-ربنا يديك الصحه يا معلم و قد آثر بهذه الجملة ان ينهى الحديث برمته فرجل مثله الجميع يعلم عمله مع الانجليز و كسبه من ورائهم الكثير والكثير و يأتيه كل ما يريد و هو جالس محله لن يفهم ما يعانى هو منه

كانت قد بدأت تشعر بالملل بعد أن زارت معظم كتاتيب المدينه دون أن تتمكن من العثور عليه فى أى منها التفتت الى الجندى الجالس بجانبها على المقود :هل أنت متأكد أنه لم يتبقى سوى كتاب واحد

-قد تكون هناك أخرى لا أعلم

ارتفع حاجبيها تعجبا فكيف لا يعرف جندى تفاصيل المدينة التى من المفترض انه يعيش فيها فتبادر سؤال الى ذهنها: منذ متى و انت هنا؟

-مضى على وجودى هنا عشر سنوات

-أظن ان هذه المدة كافية كى تحفظ المدينة عن ظهر قلب

-فى الواقع نحن نمضى معظم وقتنا فى المعسكر و نكاد لا نخرج سوى فى حالات الطوارئ و ربما تكثف نشاطنا بعض الشيئ فى سنوات الحرب

-اوضاع طارئة كما حدث بالامس أليس كذلك

تجاهل استفسارها المبطن و تظاهر بمراقبة الطريق أمامه و لكن حركته تلك لم تفت عليها و قد أدركت جيدا تجاهله المتعمد لها فرأت أن تسأله مباشرة :ماذا حدث بالأمس سمعت أصوات إطلاق رصاص

توقفت سيارة الترومبيل أمام مبنى متهالك من طابق واحد ذو فناء صغير محاط بسور مبنى من الطين نظر إليها و قد شعر أنها حاصرته فى الزاويه :
أنا آسف أيتها الطبيبه فهذا الأمر أكبر منى و لا استطيع إخبارك به وعندما وجد عدم اقتناعها بحديثه أكمل راغبا فى عدم استمرار هذا التحقيق : إنها أوامر قطعيه بعدم التحدث بشئ من ما حدث فى الأمس ولو فيما بيننا

رفعت كتفيها باستهانه فالأمر لا يعد ذو أهمية تذكر بالنسبة لها : أنا التى من المفترض أن اعتذر لك فليس سوى الفضول هو ما دفعنى لسؤالك غير أنى لم أكن أعرف أن الأمر بهذه الأهميه هز لها رأسه فى قبول لعذرها : لا مشكلة سيدتى و من ثم أشار إلى المبنى الذى توقف أمامه: هذا هو الكتاب

مسحت بعينيها المكان و قد ملأ الفناء بأطفال يجلسون فى صفوف متوازيه بينما رأته جالس على رأسهم يردد كلمات بصوت عال و الاطفال يرددون خلفه و على الرغم من أنها لم ترى سوى جانب وجهه إلا أنها عرفته فصورته مترسخة فى مكان ما من عقلها- إنه الشخص المطلوب انتظرنى هنا

-لا سآتى معكى هذه مسؤليتى.....قد يكون مختلا و يتعدى عليكى

-افعل ما يحلو لك

كان منشغلا بالجالسين امامه و قد تفاوتت أعمارهم بين السادسة و التاسعة يتلو عليهم آيات سورة الإخلاص فريددون ورائه بصوت واحد بينما يتحرك جزع كل منهم الى الأمام و الخلف و كأنهم شخص واحد؛ رآهم بجانب عينيه واقفين عند البوابة ففهم انهم ينتظرون انتهائه فما كان منه الا أن صرف التلاميذ على أن ياتوا فى الغد و قد حفظوا السورة عن ظهر قلب و من ثم أشار إليهم بالجلوس أمامه: تفضلوا

خلعوا أحذيتهم و جلسوا أمامه على البساط الواسع و قد ثنى كل منهما ركبتيه اسفله و اخذ يعمل فكره محاولا معرفة سبب مجيئهما إلا أنه فشل فى ذلك

-بماذا يمكن أن اخدمكم

أهو حقا لا يتذكرنى أم أنه يتظاهر بعدم معرفتى ذاك ما دار بخلدها قبل أن تجيبه :تقابلنا بالأمس كنت قد صرفت عنى الصبية الذين كانوا قد التفوا حولى و قد تجنبت ذكر أنه رفض مساعدتها كى لا تشعر بالحرج أمام الجندى الجالس بجانبهم و لكننا لم نتعرف ثم مدت يدها لمصافحته اسمى جانيت

بادلها المصافحة :و أنا فتحى

-تشرفت بمعرفتك أستاذ فتهى

كتم ضحكته على طريقة نطقها لاسمه و قد ارتفع حاجباه عجبا فكيف يمكن لتلك الفتاة الرقيقة التى راها بالامس ان ترتدى ملابس الجيش بل و الادهى من ذلك أن تعلق سكينا على خصرها : آسف لم اتمكن من التعرف عليكى

-لا مشكلة فى ذلك .....دعنا ندخل فى موضوعنا

-تفضلى

-فى الواقع أنا اتيت إلى هنا من أجل دراسة الحياة الإجتماعية هنا و كذا رؤية ما يمكننى من الآثار الموجوده

-أرى من عدم استطاعتك الحديث بالعربية أنك حديثة العهد بالبلاد العربيه فماذا حملك على المجئ الى أسيوط بل إلى ديروط و هى مجرد مركز مغمور

-ليس لشيئ سوى أن قائد المعسكر هنا هو صديق لعائلتى لذا وجدت أنه من الأفضل أن تكون هذه هى نقطة الإنطلاق بالنسبة لى

- و ما المساعدة التى استطيع تقديمها

- احتاج إلى مترجم.....و ليس أى شخص بل أريده من الناس الذين سوف اتواصل معهم

- هذا يعنى أنك ترين أننى الشخص المناسب

- أجل استطيع فهمك دون صعوبه..... ..... سوف أعطيك ما تطلبه

ليست لديه مشكلة فى قبول عرضها فهو بلا شِك بحاجةٍ إلى كل قرش من أجل أسرته و لا يبدو أنها ستقوم بأمر سيئ..... و لكن ماذا عن الناس بالتأكيد لن يتركونه و شأنه فما إن يروه متجولا فى المدينة معها حتى يلصقوا به صفة الخائن بل الأدهى من ذلك أن ينتهى به الأمر مقتولا دون أدنى شفقةٍ تذكر و

عند تلك النقطة تملكه شعُور سيئ و سلم بأن هذه الأفكار لم تراوده إلا لتحذره من مغبة القبول بهذا العمل

- هل العرض إجبارى رافق تلك الكلمات نظرة ألقاها على الجندى الجالس بجانبها

- لا يمكننى إجبارك على عِمل تكرهه.....فأنا لست متوحشَّة يا سيد إلا أن جملتها تلك ألهمته بمخرجٍ من هذه الورطه فأخذ يحدث نفسه : ياإلهى كيف لم أفكر فى هذا

- أوافق على عرضك و لكن لدى شرط

- أتمنى أن لا يكون خيالًيا.....أستاذ فتهى

جاهد لكى يكتم نوبة الضحك أن تنتابه بسبب نطقها لإسمه كى لا تظن أنه يسخر منها ؛ تنحنح معطيا لنفسه فرصة ارتداء قناع الجديه : لا إنه شرط بسيط و لا أظن أنه سيصعب عليك تنفيذه

- اسمعك

- أود أن يتم نشر إشاعات فى المدينه بأننى قد أجبرت على قبول هذا العمل و حتى يمكنك أن تقولى أنى قد هددت بالحبس

- تخشى من تعرض حياتك للخطر

- أجل هذا هو ما أخشاه فالناس هنا لن يغضوا الطرف عن فكرة عملى مع فرد محسوب على الجيش و لسوف يتربصون بى و لن يهدأ لهم بال حتى يجهزوا على

- اعتبر شرطك قد نفذ.....يمكننا أن نبدأ الآن لا أريد تضييع مزيد من الوقت

أغلق بوابة المبنى و وقف مستَّندا عليها ينظر إليها نظرة تقيميه يراقبها و هى تحدث الجندى ؛ الأسورة التى تزين معصمها مزينة بفصوص من الماس ؛عقد لؤلؤى حول رقبتها يشيان بانتمائها لعائِلة فاحشة الثراء فما الذى يجعل من هم مثلها يبحثون عن المعرفه بل و يلقى بنفسه إلى التهلكة فى سبيل ذلك و الأدهى أن تكون سيده إنهم مختلفون عنا فى كل شيئ اختلافا يجعلهم يسبقوننا بأشواط

؛ غادرت السيارة و اقتربت جانيت منه و هى تقول : دعنا نقم اليوم بجولة فى المدينه.....و أريد أن أتعرف على كل شيئ نقابله فى طريقنا

- حسًنا ..... كما ترغبين

16

أخذ يجوب الغرفة ذهًابا و إيًابا و قد فاض به الكيل فمنذ الأمس و هو يحاول إيجاد مخرجٍ للورطة التى وقعوا فيها فضلا على أنه غير قادر على استيعاب أن اثنين من جنوده قتلا على يد رجل مدنى و يتمنى لو أن الأمر برمته لا يعدو أن يكون نكًتة سمجًة أو كابوس سيستيقظ منه بعد قليل ؛ ليت الأمر توقف على مقتل الجنديان فهم قد وصلوا إلى حٍد من العجز لم يمكنهم من الإمساك بالفاعل و يا لهم من حمقى ؛ نظر إلى المرآة المعلقة على الحائط ليبدأ بالحديث إلى صورته المنعكسة عليها : يا لك من فاشل يا جيف و من ثم علت نبرة صوته و كأنه يريد أن يحمل على نفسه بأشد ما يكون من اللوم و المعاتبه : هل تحمل الجنود جميع الخطأ فما كانوا ليكونوا أغبياء لولا أن قائدهم كذلك و عندما لم يستطع ضبط أعصابه و قد حمل نفسه مسؤلية ما حدث استقرت قبضة يده على المرآة مهشًمة إياها إلى قطع صغيره ؛ دخل الجندى المناوب على الباب لدى سماعه صوت تحطم الزجاج فهاله منظر الدماء المتقاطرة من قبضة يده و علا مات استفهام كثيٌرة فى رأسه حول ما حدث بالضبط و لكن الآخر لم يمهله السؤال و قد ثار فى وجهه : كيف تدخل بدون استئذان ؟ أين تظن نفسك ؟

تلعثم الجندى فى حديثه و قد نزل قلبه إلى قدميه من الخوف :
سمعت.....صوت
تناول فوطًة صغيًرة معلقة على حامل و وضعها حول كفه يمسح الدماء منها محاولا تمالك أعصابه : دعك من هذا الآن سأحاسبك عليه فيما بعد.....اذهب و أحضر لى هارولد
جلس على الكرسى خلف مكتبه فلم تمضى بضعة دقائق حتى مثل الملازم هارولد أمامه مؤًديا التحية العسكريه بينما أغلق الجندى المناوب باب الغرفه؛ نظر إليه بعينين حائرتين و ذهن مشغول فى كيفية الخروج من هذه لمعضله كما أن إخبار القيادات العليا بهذا الأمر قد يحوله إلى التحقيق بينما دفن الجثتين و التكتم على الأمر سيؤدى إلى عواقب أشد فداحه فسرعان ما سيتم اكتشاف هذا الأمر

- أرسل تلغرًافا إلى أسيوط تخبرهم فيه بكل ما حدث

- و لكن أيها القائد.....

- لا يوجد و لكن ؛ سوف نعلمهم بكل شيئ مع وعد بالإمساك بالفاعل فى غضون أيام

- أمرك سيدى

17

جلس متكئا على شجرة نبق يراقب الخضرة المترامية أمامه و العمال من أبناء بلده ينتشرون هنا و هناك و بينهم ابنه طه ؛ يشعر دائما بأن هناك شيئا ينغز قلبه و هو يرى فلذة كبده يعمل النهار بطوله دون فائِدة تذكر فمنذ أن خسر أرضه بسبب عدم قدرته على تسديد أقساط الأرض الذى أخذه من أولئك المرابين و يا للسخريه فقد أخذه ليسدد الضرائب كى لا يخسر أرضه!!

و عقد الآمال على المحصول الذى سيجنيه من الأرض نهاية السنه و لكن المحصولِ بيع فى النهاية بأخبث الأثمان تأثرا ببداية الحرب و اقتيد هو وابنه طه للعمل فى أراضى أولئك المرابين بالسخره استكمالا لفوائد القرض والضرائب المتراكمة الخاصة بالأرض التى أخذت منه بالفعل ! و باستجلابه للماضى الذى لا يحمل سوى الألم زاد كدًرا على كدر فأخرج سيجارة من جيبه كان قد أخذها من أحد أصدقائه أثناء مجيئه إلى هنا ؛ أشعلها بقداحٍة أحضرها معه من الحرب و هى فى الحقيقة تذكار من أحد أصدقائه القدامى؛وضعها فى فمه لينفث دخانها من أنفه و فمه فمرت على ذاكرته المرة الأولى التى تجرأ فيها على شربها حينما عرضها عليه فى القطار أحد الذين أخذوا معه إلى الحرب و قد تردد فى البداية إلا أن الرجل نجح فى إقناعه : يا راجل خدلك نفس مش هيضرك يعنى

و حينما ظهرت عليه علامات التردد شعر الرجل أنه غير بعِيد عن إقناعه : لوعايز تنسى خد و ما تترددش و من ثم تابع و هو يضعها فى فمه : هى أى نعم نوع أى كلام مش زى بتاعة الضباط و الناس الأبهه بس بتقضى المصلحه و حينما مد جاد يده إليه وضعها الرجل بين اصبعيه و هو يشعر بشيئ من الظفر و كأنما أقنع دولتين متحاربتين بعقد معاهِدة للسلام؛استيقظ من شروده ليجد أنه قد أتى بها على آخرها فدهسها بقدمه و هو يضحك ساخرا فبالأمس القريب كان يسعل حينما يستنشق منها مَرة أو مرتين و الآن بإمكانه أن يأتى على عِلبة بكاملها ، و لا يشعر سوى بالمتعه فلا مكان لتأنيب الضمير أو الخوف أو الماض عندما تكون عزيزته بين إصبعيه. اقترب منه رجُل يرتدى بالطو طويل أسفله

جلابيه و يضع طربوًشا على رأسه و على كتفه هناك بندقٌية رابضه : يا حاج جاد أنا مش كل يوم و التانى آجى و أمشيك من هنا

- هو أنا هاكل من الأرض حته يعنى

- أنا محترمك من زمان كنت راجل أبهه بأخلاقك و تعاملك ..... إنما أقول إيه الإنجليز خربوا مخك و ما بقيتش دريان بالدنيا حواليك

- عايز إيه عالصبح يا غفير الشوم

- كده يا جاد تقول عليا غفير الشوم.....بس الحق عليا أنا إللى عاملك

قيمه و ما كنتش راضى أقول للباشا على مجيتك و قعدتك هنا و هو إللى جايبنى أحرسله أرضه .....لكن يمين بالله لو شوفتك هنا تانى لهتشوف وش تانى عمرك ما شفته

- ماشى يا حضرة الغفير.....مش من حبى يعنى لشوفتك

ضرب كًفا على كف و هو يراقبه أثناء ابتعاده : الراجل خرف يا جدعان محدش بقى عارف يحدته

جلس برعى أمام إحدى طاولات المقهى و قد انكب على دفتر حساب يتفحصه بعٍين و العين الأخرى على صبيه يراقبه و هو ينظف ملًقيا عليه الملحوظات بين الفينة و الأخرى عن تركه بقعة هنا و غبرة هناك حيث كان هذا العقاب هو الحل الأمثل لتأخره عن المقهى هذا الصباح و فوق ذلك يأتي ويقول له أنه توقف عن مراقبة الرجل لأنه دخل بيت العمده ، و يا لها من حجٍة واهيه أفلم يكن يستطيع الإنتظار حتى يخرج عاد من شروده ليجده قد توقف عن العمل واضًعا يده فى وسطه : ارحمنى يا معلم .....الليل ليل و القهوه المعفنه دى ما رضياش تنضف

- إنت هتقل أدبك ياض .....و بعدين ما اهى معفنه من قلة اهتمامك بيها

- السموحه يا معلم مش القصد.....بس الوقت اتأخر و أمى هتقلق عليا

- لما تعرف شغلك و تعمل إللى أقولك عليه بالحرف هاعاقبك ليه.....لكن أقول إيه جيل أعوج.....أنا لولا معزة أبوك المرحوم عندى كنت مشيتك من زمان

- والله يا معلم أنا بعمل كل إللى بتقولى عليه بس أعمل إيه الغفير بتاع العمده الله يخرب بيته قالى لو شفتك معدى بس قدامى فى الشارع تقول :على روحك يا رحمن يا رحيم

نظر إليه متهكّما : ما أنت إللى مش وراك غير المشاكل هو يعنى هيعاديك من الباب للطاق

- يعنى خلاص يا معلم عفيت عنى أروح

- تروح فين يا كلب إنت ناسى إنك جاى متأخر و قال إيه راحت عليك نومه.....يلا نضف مش هتمشى من هنا غير لما القهوه تلمع و هاتلى الشيشه خلينى أروق دمى إللى محروق من الصبح و لا استنى هاتنيل أروح أشربها فى البيت بدل القعده فى وشك ؛ وضع الملحفة حول عنقه و سار متهاًديا فى الشارع كرشه العظيمة ممتدة أمامه يجزم من يراه أنه يعانى الأمرين كى يخطو خطًوة واحده ؛ رأى إحدى الدوريات أمامه فحياهم بيده و تابع سيره بزهو لإحترام الجنود له فبإمكانه السير فى أى وقٍت دون أن يتعرض أحٌد له وسرعان ما تغضن جبينه لدى تذكره استدعاء قائد المعسكر له و قد طلب منه العثور على ذلك المجهول الذى قتل الجنديين و فر هاًربا ، بدا الطلب تعجيزياً له فكيف يمكنه العثور على شخصٍ لم يستطع الجنود بعددهم و كثرتهم العثور عليه إنه لا يكن لهم الكثير من الحب فالأمر ليس سوى لمصلحته و معيشته

طرق الباب باستخدام حلقته المعدنيه ليأتيه صوت والده من الداخل و هو ينادى على أحدهم ليفتح الباب : افتحوا الباب يا ولاد الكلب لا منكم و لا من كفاية شركم واحده طفشانه من جوزها و التانيه دايره على حل شعرها

لم يلبث أن انتهى من كلماته حتى وجد طه أمامه بوجه مكفهر : اطلع ورايا علطول

فطن إلى أن والده غاضٌب فآثر اجتنابه و الإلتزام بكلام أخيه ليتفاجئ بوالده يتحدث إليه على غير العاده : خبر إيه يا فتحى طالع علطول.....معندكش أب تسأل عليه

شعر بالحرج من والده و لم يدرى ماذا يقول ؟ و أحزنه أنه أراد الصعود دون أن يسأل على حاله : السموحه يا أبوى أنا بس جاى تعبان و ما شايفش قدامى

تجاهل كلامه و غير مجرى الحديث : فين السجاير إللى قايلك عليها الصبح

اقترب منه و هو ينظر إليه فلاحظ السيجارة التى يضعها بين اصبعيه وتعجب كيف أحضرها !! و لكن الإجابة لم تكن عثيَّرة عليه فلا بد أن أحد أصدقائه أعطاه إياه ، و لكن الذى ضايقه بحق أن يسأله عن السجائر بينما هناك سيجاٌرة فى فمه مما جعله يتأكد أن والده مدخٌن شره ، أخرج من جيب معطفه ورَقة ملفوفه : جبتلك سجارتين لحد ما اقبض و حينما لم يجد منه أى رد أكمل قائلا : و الله يا أبوى مفيش حاجه تغلى عليك بس أنا مش معايا فلوس دلوك

انفرجت عن شفتيه ابتسأمة ساخره : كفايا عليك الكتب إللى ملهاش لازمه إللى بتجيبها.....لكن أبوك تصتخصر فيه قرشين

شعر بالضيق من استنقاصه لكتبه إلا أنه آثر عدم التناقش مع والده فهو لن يقتنع أًبدا بأهميتها بالنسبة له ؛ تغضن جبينه لدى انتبهاه إلى النار المشتعلة أمام أبيه : نحن لا نزال فى بداية الخريف و لم يصبح الجو باردا بعد فلما يصر على اشعال النار كل ليله !! لم يدرك أن ما يفكر به قد خرج من فمه إلا حينما التفت إليه والده بحده و كأنما بوغت بهذا السؤال ؛ شعر بأن والده سيوبخه جراء ما قاله و لكنه تنفس الصعداء حينما وجده قد التفت إلى أمامه مجدًدا و بدا له أنه عاد إلى شروده المعتاد فتنهد و قد بات والده بالنسبة له أشبه بلِغز عصِى على الحل

نظر إليه و هو يرتقى السلم إلى أعلى، كيف تريدنى أن أجيبك يا بنى على شئ أنا نفسى لا أستطيع تفسيره فلا يعرف سوى أن هناك خوفا ما يراوده عندما يحل الظلام فلربما خوٌف من برد صحراء سيناء و الذى كان ينخرعظامه كل ليله

تفاجئ بهم جالسين أمام غرفتة وبدو له كأشباح علي ضوء المصباح المنبعث من الدور السفلي كان طه جالسا علي كرسي مكتبه بينما أمه جالسة بجانب أخته عائشه وقد بدت الأخيرة في حالة غير طبيعية ضامة رأسها إلي ركبتيها بينما أخته الأخري صباح جالسة في وضع القرفصاء وقد وضعت يدها علي خدها ولكن ما الذي يبقيها حتي هذا الوقت مما جعله يجذم أنها تجاشرت مع زوجها ولكن إجتماعهم هذا لا يمكن أن يكون لهذا السبب فشجار صباح مع زوجها أمر معتاد حتي أنه قد يشعر بالإرتياب إن مرت ستة أشهر دون أن تأتي إليهم و مما عزز هذا الشعور لديه وجود أخيه طه وهو المعروف بطبعه بعدم التدخل في شئون المنزل

إقترب من عائشة فجثى علي الأرض بجانبها وهو ينظر إلي أمه: في إيه يا أمه مالها عائشة وهنا تعالي صوت عائشة بالبكاء ووجهها لا يزال مختبئا فى ركبتيها و قد عادت لتذكر ما حدث شعر بالحزن لحالها و قد فهم من آثار حمراء لاحظها على ذراعيها أن والده ضربها فلا يستطيع محاسبة والده ويعرف أن بفعلته هذه سوف يترك جروحا قي أعماقها قد لا تندمل مع مرور الزمن

أخرجه من أفكاره صوت صباح :تستاهل حد قلها تبيت عند خالتها ..... مش كفاية كل يوم والتاني عندها قال يعني بتساعدها
زادت عائشة في بكائها مما جعل فتحي ينهي صباح : صباح إتكتمي وخليكي في نفسك

- علي الأقل أنا إتجوزت أمال هي قربت تعنس

شعر بالضيق كثيرا من كلامها الجارح لعائشه صحيح أنها دائما ما تسمعها هذا الكلام و لكن الأخيرة فى حالة يرثى لها و لا تستطيع تحمل سماع شيئ
: انزلى تحت يا صباح

- خلاص مش هتكلم تاني بس سيبني هنا لو نزلت أبوي هيديني كلمتين فى جنابى ، يعلم أنها لن تصمت فالأحجار قد تنطق ولكن صباح لا يمكن أن تمسك لسانها : إنزلي يصباح مش هقول تاني

نزلت علي مضض منها فهي لم ترى فتحى غاضبا بهذا الشكل من قبل و لا تريد أيضا أن يراها أباها فمنذ أنا أتت من منزل زوجها وهي جالسة بالأعلي خوفا من أن يسمعها كلامه اللاذع و رأت أن أسلم شئ هو الجلوس علي السلم إلي أن يأوي والدها إلي فراشه و تبعتها بهية بعد أن أوصت عائشة بأن لا تكرر غلطتها مرة أخري فلطالما كانت لا تهتم كثيرا بمشاعر أبنائها و تري دائما أن واجباتها المنزلية هي فوق كل شي وبعد أن تأكد الأخير أن أمه وصلت إلي الأسفل إحمر وجهة غاضبا وكأنه كان يخفي مشاعره خلف قناع متقن : لولا إنه أبويا كنت كسرتله رجله التانيه

نظر فتحي إليه بمزيج من الصدمة والإستهجان : إيه الكلام الغريب إللي بسمعو ده يا طه ؛ نهض من علي الكرسي متأفأفا وأخذ يلوح بيديه قائلا :
هتقعد تتفلسف علي وتقولي أبوك و مش أبوك..... أنا هنزل أنام ،دني من السلم ومن ثم إلتفت إليه يلوح بسبابته :قسما عظما يا فتحي لو مد إيدو علي أمي أو حد من إخواتي تاني مش هرحمو

ذهب وتركه خلفة هبَاءا منثورا ، كيف يكون طه المتدين عنهم جميًعا عاقا لوالده يتمنى أن يكون الأمر مجرد كابوس ؛التفت لعائشة المستمرة فى بكائها فأخذ يهدئها محاولا تناسى ما سمعه قبل قليل : كفايه بكا ياعاشه.....أنا مش هخليه يعملك حاجه تانى و لكن هيهات أن تتوقف عن البكاء فيبدو أن هناك تراكماًت كثيره غير ضرب والدها لها ؛ فلم يجد حلا سوى أنه جلس بجانبها آخًذا إياها فى حضنه ريثما تهدأ و لسانه يردد بضع آياٍت متفرٍقة لعلها تهدئها فلم يمضى الكثيرقبل أن يخفت بكائها فتحدثت بصوت مط مبحوح من فرط البكاء مع بضعة شهقات تخرج بين الفيِنة و الأخرى : خلاص يا فتحى سيبنى أنا بقيت كويسه

ابتسم على حالها ليبتعد عنها و هو يعلم جيًدا أنها لم تتوقف عن البكاء إلا لشعورها بالخجل من بقائها فى حضنه : ماشى بعدت خلاص.....ها قوليلى بيتى ليه عند خالتى إمبارح

تحفزت كل حواسها و جلست على ساقيها و بدأت بالتلويـح بسبابتها : والله يا فتحى غصب عنى راحت عليا نومه

- مش عاوز تبريرات اعتبرى إللى حصل ده ما حصلش لكن لو عايزه تروحى أى مكان تقوليلى أنا و وعد مش هخليه يعاتبك حتى مجرد عتاب .....مفهوم
- مفهوم بس أنا عايزه أروح أقعد عند خالتى كام يوم علشان مغمومه و مش عايزه اقعد فى البيت

- إللى إنتى عيزاه مش هجبرك تقعدى هنا بس هاجى معاكى بكره أوصلك أومأت برأسها و هى تهم بالنهوض فنهض معها يساعدها : ودينى عند خالتى دلوك

- بتهزرى يا عائشه و لكن ملامحها لا تبدو كمن يمزح على الإطلاق فتنهد من هذه العنيدة و يبدو أنها ورثت رأسها القاسى من جدتهم والدة والدهم رحمها الله فلو كانت صباح فى محلها لما غادرت عتبة الباب بعد كِل ما حصل ؛يتمنى أن لا يوقعها عنادها هذا فى أِمر غير محمود فأراد أن يخيفها : نروح فين دلوقتى يا عائشه و الدوريات ماليه البلد ما سمعتيش عن حظر التجوال إللى اتفرض إمبارح

ذكرها قوله بمصاب ليلة البارحه و شعرت بالفضول لمعرفة ما إذا كان قد تمكن من الفرار أم أنهم أمسكوا به : هو إيه إللى حصل إمبارح أنا سمعت ضرب نار كتير

- مش عارف يا عائشه بس الناس بيقولوا إنه واحد كان بياخد بتاره

جزمت فى نفسها بأن الإنجليز هم من أطلقوا هذه الإشاعات بين الناس إذا فلا بد أن هذا الشخص فدائى فعلا و ليس من المستبعد أن يكون قد قتل أحدا منهم فسألته بحذر : طب هما مسكوا حد من البلد

- مش عارف حاجه عن الموضوع بس لو كانوا مسكوا حد كنا عرفنا و بعدين من امتى و إنتى بتهتمى بالحاجات دى

تنفست الصعداء لأنه تمكن من الفرار و شعرت بالفخر لكونها عاملا أساسيا فى إنقاذه و تعتبر هذه هى أول مغامِرة بالنسبة لها فى حياتها

- الضرب كان جنبينا

و تجنبت أن تخبره أن الشرطة داهمت المنزل كى لا يطول الموضوع و يبدأ بالتحقيق معها فيذل لسانها و قد اعتادت على إخبار فتحى بكل شيئ حتى و إن كان أمًرا بالغ التفاهه وصلها صوته و هو يتحدث و لكنها لم تعى كلًمة مما قال و وجدته يوليها ظهره فأوقفته قائله : انت رايح فين

- ما تشغليش بالك بيا السطح واسع أنام فى أى مكان ؛ ادخلى إنتى نامى فى أوضتى أنا عارف إنك مش عايزه تنزلى تنامى تحت عشان صباح

- خلاص أنا داخله أنام.....عاوز حاجه أعملهالك

جلس على الكرسى أمام مكتبه و أمسك ببضعة أوراٍق موضوعٍة على المكتب يقلبها بين يديه : لا أنا ساعه كده و هنام عندى شوية ورق لتلاميذ عايز اصححهم

- ماشى ربنا ياخد بيدك.....تصبح على خير

- و انتى من أهله

بدأ فى قراءة أول ورٍقة على ضوء شمٍعة كان قد أشعلها بجانبه و شرد ذهنه مع أول سطر و لكن لم يفته تكرر كلمة الوطن أمامه أكثر من مره فتذكر أنه أعطاهم موضوًعا عن الوطن و معظمهم يعرفونه على أنه البيت الذى يعيشون فيه أو ربما الحارة التى تحوى منازلهم و أنهم مستعدون للتضحية من أجل وطنهم ضحك ساخًرا من نفسه لأنه جعل الأطفال يكتبون عن هذا الموضوع فهل يا ترى يجعلهم يحملون السلاح فى الحصة القادمه و يحاربون الإنجليز و

يصير هو قائد المقاومة الشعبيه ؛ طوى الأوراق و وضعها فى أول كتاب وقعت عينه عليه و قد قرر أن لا يكمل قرائتها فهذه الأمور تكدره و لا يعلم أين كان عقله عندما طلب منهم أن يكتبوا عن هذا الموضوع الحساس بالنسبة له

بسط حصيرًة على الأرض و وضع بردًعة قديمة كوسادة له ؛ و تمدد على ظهره بحيث يرى النجوم فوقه و أخذ يعيد شريط اليوم من أوله فتذكر جانيت و ذهب خياله إلى شعرها الذهبى كخيوط الشمس و عيناها الزرقاوتان بلون البحر يخاف فى كل مرة ينظر فى عمقهما الغرق فى أمواجهما المتلاطمه ؛ اصطحبها إلى القناطر الخيرية و قد أشادت بتصميمها و شعرت بالإنبهار لدى علمها بأن مهندسين مصريين هم من أشرفوا على إنشائه و سارا فى الطرقات يعرفها على كل شيئ مجهولٍ بالنسِبة لها بداية من بائع الفول و الترمس و بائع العرق السوس المنتشرين فى كل مكان و كم ضحك كثًيرا حينما رفضت شرب عرق السوس و قد مد لها الرجل أحد الأكواب و لكنه أقنعها أن عليها أن تتعرف على مذاق هذا المشروب حتى تتمكن من الكتِابة عنه و قد تعجبت كثًيرا من السقا الذى يدور على البيوت فيملأ للناس أوانيهم انتهًاءا بأبراج الحمام و كم كانت سعيًدة بدخولها وكأنها طٌفل صغير حصل على لعِبة جديده ؛ إنها من وجهة نظره طاٌلبة مجده تستحق التقدير لمجيئها إلى هنا و لكن جهدها ضعيف و لا يعتقد أنها ستتمكن من تحمل الصعوبات كثًيرا و قد طلبت منه أن يأخذها إلى أحد منازل أهل المدينه كى تتعرف عليهم عن قرب فوعدها بأخذها فى الغد و هوالآن فى حيرٍة من أمره بين أن يحضرها إلى منزله أو يأخذها إلى منزِل آخرو الخيار الأخير سيكون شًاقا عليه بالتأكيد ففضل أن ينام مؤجلا الأمر إلى الصباح حتى يتمكن من اتخاذ قٍرار بذهٍن متيقظ

20

جلسا حول النار و قد طفا على وجهيهما الوجوم بينما ثالثهم مستلقٍى داخل الخيمة المنصوِبة بجانبهم ؛ تناهى إلى مسامعهما صوت أقدم خٍيل تقترب منهم فنهض أحدهم و كان مفتول العضلات ضخم البنيان موجًها فوهة بندقيته ناحية القادم و لكن ما إن تبين له أنه صديقهم حسان حتى أنزلها واقترب منه يمسك بلجام خيله : جبت الأعشاب المطلوبه

- أيوه إيه إللى حصل يا ياسين أنا أول ما جالى الراعى و قالى إن على متصاب و أنا مش على بعضى.....إللى خلانى اتأخرت إن كان فيه عشبه نقصانى و رحت أجيبها من المكان إللى بتطلع فيه و من ثم دخل مسرًعا إلى الخيمه فقام

بقياس مؤشراته الحيويه و أخرج عجيَّنة مصنوَّعة من الأعشاب و دهن بها ذراعه و هو يحدث ياسين و حسن الجالسين بجانبه :
شكله مرهق بس و تقرَّيبا إللى عالجه حد عارف شغل كويس فاطمنوا مفيش خطر على حياته و نظر إلى الجالس بجانبه : إيه إللى حصل يا حسن

- علمى علمك يا حسان كنا متفقين إنه يروح للعمده يراجع معاه كشوف أسماء الناس إللى صرفنالهم معونه طول السنه إللى فاتت و بعدين أقابله بالليل عند القرافه بتاعت البلد و فضلت مستنيه لحد ما غفلت و لقيته بيصحينى تانى يوم الضهر و كان شكله تعبان جدا و عرفت منه إنه قابل جنود و كانوا هيقتلوه لولا إنه ضرب عليهم نار و وقعهم ميتين فى ساعتها ده يعتبر نجى بمعجزه و عبال ما ركبنا الخيل و وصلنا هنا كان بالحاله إللى أنت شايفها دى

- إن شاء الله على الصبح بالكتير هيكون فاق

انشغلوا فى حديثٍ آخر فنهض ياسين من جانبهم متململا فسرعان يضيق ذرعا بالإجتماعات مفضلا البقاء منفرَدا غالبية الوقت ، وقف يتطلع إلى الصحراء المترامية أمامه فترائى له صورة و الديه و أخواته الخمس و أخذت تتابع عليه صور من الماضى البعيد كصورتهم و هم ملتفون حول النار فى ليلة بارده و أحس للحظِة بالإشتياق إليهم و الرغِبة فى الذهاب لرؤيتهم ولكنه سرعان ما أخمد تلك الرغَبة مذكِّرا نفسه أن وجوده بينهم لن يكون إلا سببا فى تعاستهم إنه على الأقل هنا يمثل شَّيئا ذا قيمه و لو لمِرة واحِدة فى حياته و لا شك أنهم سعداء بدون مشاكله التى لطالما أثقل كاهلهم بها ؛ انتبه إلى حسن يقف بجانبه فالتفت إليه : إحنا كده هنوقف الشغل لحد ما على يفوق

- سواء على فاق أو لع إحنا مضطرين نوقف لأن حظر التجوال اتفرض

- فيه ناس كتيره بتستنى المعونه دى من الشهر للشهر .....لازم نلاقى حل فى أسرع وقت ممكن

- هنضطر نوزع المعونات فى النهار

- إنت عارف مستحيل أروح البلد بالنهار الناس كليتها عرفانى

- أنا ما قولتش إنك هتروح و أظن إنى أنا برضو مش هاعرف أوزع بسبب عدم معرفتى لطرق البلد فأظن إنه الأفضل ما نتصرفش غير لما نستشيرعلى

أومأ برأسه و من ثم اتجه إلى أحد الخيول المربوطة فى شجيرة يمتطيها :

هاتمشى بالفرسه شويه علشان مخنوق

- بتفكر فى أهلك و عايز تروح تشوفهم صح

تجاهله و كأنه لم يسمع ما قاله و قد لكز الفرس بساقه لينطلق عاًديا مع الريح فتنهد و هو ينظر إلى الغبرة التى تركتها حوافر حصانه : ربنا يريحك يا ياسين و يرجعك لأهلك فى أسرع وقت

21

كان يسير بسرعة فى الشارع و جانيت خلفه تحاول اللحاق به و مجاراة مشيته و لكن كعب الحذاء الذى ترتديه مثل إعاًقة لها إلى حٍد ما أما بالنسبة له فكان الأمر بمثابة تسليه ينظر لها بطرف عينه بين الفينة و الأخرى يتعمد أن يسير بهذه الكيفية و يوسع بين خطواته ليرى ردة فعلها و كانت هذه إحدى أساليبه لجعلها تتراجع عن مساعدته فهو لا يزال متحيرا و خاًئفا من عاقبة مساعدة شخصٍ محسوٍب على الإنجليز وصله صوتها و هى تنادى عليه : توقف يا أستاذ فتهى

التفت إليها ليجدها قد توقفت بالفعل على بعد منه و يبدو أنها لا تستطيع أخذ نفسها من المجهود الذى بذلته ؛ اقترب منها واضعا يده فى جيوب بنطاله : إذا كنتى لا تستطيعين المشى فيمكننا أن نعود أدراجنا فلا يزال الطريق طويلا بعض الشيئ

نظرت إليه و الشرر يتطاير من عينيها و قد فطنت إلى نيته : سوف تأخذنى إلى منزل الأشخاص الذين اتفقت معهم الآن و إلا سوف أصرخ و عندها سيعلم الجميع أنك تضايقنى

جحظت عيناه من جرأتها فآخر ما كان يتوقعه أن تكون هذه ردة فعلها ولكنه واثق أنها لا تستطيع التنفيذ : لا يمكنِك فعل ذلك

همت بفتح فمها فخانته شجاعته و وجد نفسه يطبق على فمها و هو ينظرحوله حامًدا الله أن هذا هو وقت الظهيرة حيث لا يتواجد أحد فى الشارع فى هذا الوقت ؛ عاود النظر إليها و لا تزال يده موضوٌعة على فمها بينما هى تحاول التخلص من قبضته : اهدأى أيتها المجنونه سوف آخذك إلى حيث تريدين ؛ ثم من قال أنى لن آخذك أنت تتوهمين

هدأت الإنفعالات على وجهها فأزال يده و تابع طريقه لتسير خلفه و هى تسعل : أنا لست مجنونه كما أنه يظهر جيًدا أنك لا تريد اصطحابى فلا داعى لأن يخبرنى أحدهم بذلك

تجاهلها متأبعا سيره و قد شعر بالغضب لأنها انتصرت عليه يخالطه شعُوربالندم لأنه تصرف معها هذا التصرف الهمجى بالنسبة لشخصه المتعلم

وجدا صاحب البيت فى انتظارهما أمام الباب بوجه مرحب : أهلا و سهلا يا أستاذ فتحى.....شرفتنا إنت و ضيوفك

و من ثم تقدمهم إلى الداخل : اتفضلوا ..... اتفضلوا بيتكم و مطرحكم ؛أجلس فتحى على دكة موضوعة فى فناء البيت بينما تحدث إلى جانيت وهى تهم بالجلوس : اتفضلى إنتى يا ست الكل جوه

نظرت إليه بحيرة و لا تعلم ماذا تفعل فيبدو من نظره إليها أن الكلام موجٌه لها فما كان منها إلى أن التفتت إلى فتحى بعينين متسائلتين : ماذا يقول ؟

اجلسى و دعك منه أنا سأتحدث إليه.....استريح يا عم عامر الخواجيه ما بتفهمش عربى فما تتعبش نفسك

- طب مش إنت قلت إنها عاوزه تعمل مقابله مع أهل البيت

- ما تركز معايا يا عمى عامر شويه.....أنا وظيفتى إيه هنا هترجملها

- و ماله يا أستاذ فتحى ده أنت من العيله برضك

-اتفضلوا ادخلوا هما قاعدين فى الأوضه إللى عاليمين دى و أنا هستناكم هنا حكم أنا ما بعرفش أجاوب عالأسئله و من ثم أتبع كلماته تلك بقهقهات عاليه ارتجت لها كرشه الضخمة البارزه من تحت جلابيته

شعر بالحرج من دخوله على أهل الرجل و لو كان الأمر يخص العمل و ندم كثيرا لأنه لم يأخذها إلى بيته فغضب و الداه منه أهون عليه من هذا الحرج الذى لقيه : الله يكرمك يا عمى عامر

جلسا على الحصيرة أمام المرأة و بناتها الخمس فبدأت المرأة الحديث : أهلاو سهلا يا أستاذ فتحى شرفتنا و نورتنا.....أنور عامل معاك إيه

- ماشى كويس فى الحفظ يا حجه ربنا يباركلك فيه

- و الله بيحبك واصل و طول الوقت ما بيبطلش كلام عنك

- أنا بكون حريص دأيما إنهم يحبوا الكتاب و يرحولوه من نفسهم من غير إجبار

- ربنا يكتر من أمثالك يا ابنى

تنحنحت بجانبه ففهم أنها تريد البدء بالمقابله فما كان منه إلا أن همس لها: لا داعى للخوف فالسيدة لن تطير

تجاهلته و وجهت حديثها إلى المرأه : أنا ادعى جانيت هل يمكن أن تعرفينى على نفسك و على بناتك

نظرت المرأة إليها بارتياب فاسرع بدوره يترجم لها: دى الدكتوره جانيت يا أم أنور بتقول إنها سعيده بشوفتك

فأجابت المرأة بعفويتها : و أنا اتشرفت بطلتك الحلوه عليا يا ضكتوره و استمر الحديث بينهم على هذا المنوال و فتحى هو الوسيط بينهم فاشتكت المرأة من الإنجليز من أنهم أخذوا بقرتهم التى كانت مصدر رزقهم ؛ تذرعا بالمجهود الحربى و من ثم بدأ يعرفها على كل شيئ فى البيت بداية من الزير و القله مروًرا بوابور الجاز و الفرن البلدي و القربه و كيفية استخدامها انتهًاءا بعش الدجاج و البط البلدى و قد خضبت المرأة يدها بالحناء كعربونٍ للمحبة بينهم و ودعهم عامر بعد أن أن أصر عليهم أن يتناولوا الغداء و هو يهمس فى أذن فتحى : ما تنساش المعلوم يا أستاذ فتحى.....أنا ما وافقتش إلا على شرط إن الخوجايه تدفعلى فلوس

- ما تقلقش يا عمى عامر الفلوس هتوصلك بكره

- الله يكون فى عونك يا أستاذ فتحى.....لما عرفت إن الإنجليز ولاد الكلب مشغلينك معاهم غصب رحمت حالك

جاراه فى الحديث : هما أسبوعين بالكتير و الشغلانه دى تخلص فما تخفش عليا ياعمى عامر

22 .

جلست القرفصاء أمام إناء نحاسى متسع و فى يدها أحد أثواب خالتها تفركه على معصم يدها و بجانبها إناء يحتوى على ماء مغلى قد وضعت فيه ظهرة فتضع الملابس فيها لتخرج منها أى بقعة يمكن أن تحتويها لم تعد تذكر عدد المرات التى غسلت فيها منذ الثلاثة أيام التى تواجدت فيها هنا فمنذ أن أتت و هى تشغل نفسها بعمل أى شيئ فقلبت الدار رأسا على عقب ؛ حتى خالتها بدأت تشعر بالقلق عليها تريد أن تعمل كالطاحونة ليل نهار فيهلكها التعب عندما يحل الليل و بذلك سيكون أفضل شيئ لإبعاد التفكير و كل شيئ يمكن أن يحزنها إعادته أمام عقلها و ربما وجدت فى عملها المتواصل متنفسا للغضب و الضيق الذى تشعر به فهكذا هى عائشه تبلغ الذروة فى كل شيئ فى غضبها فى حزنها فى

فرحها و مشاعرها المرهفة دائما ما تكون محل سخط منها فتتمنى لو أنها خلقت من حجر أو أن لديها بعضا من القوة كأختها صباح وصلها صوت خالتها من داخل غرفة الفرن :
يا عاشه مش سامعه الباب و هو بيخبط شوفى مين

ألقت العبائة التى كانت تمسكها فى إناء الغسيل فتناثرت بعض من مياهها على ملابسها فازدادت غضبا على غضب حيث أن عدم سماعها لصوت الباب على الرغم من أنها بجانبه دليل قوى على استغراقها فى التفكير وضعت شالا على رأسها و أخفت وجهها به و من ثم فتحت الباب تنظر من شقه فترائى لها رجل يحمل قربة فى يده

- استنى يا بتاع الميه هاروح أجيب المجور ؛ همت بغلق الباب ففوجئت به يضع يده على الباب يمنع إغلاقه : استنى دقيقه نظرت إليه بغضب : عاوز إيه !

- أنا إللى انقذتى حياته من يومين

نظرت إلى وجهه فتذكرته على الفور فلم تكن من النوع الذى ينسى الأشخاص الذين يقابلهم و لو لمرة واحده ؛ فحمدت الله فى سرها أنها تمكنت من إنقاذ حياته و قد كانت قلقة عليه من أن يمسك الجنود به أو أن تكون الإصابة سَببا فى موته و لكنها لا تزال لا تفهم سبب مجيئه هنا فالتزمت الصرامة فى حديثها خوفا من أن يكون مجيئه إلى هنا بدافع العبث : ممكن أعرف حضرتك جاى ليه هنا تانى

- إنتى بتحبى ديروط

- أيوه بحبها طبعا أكيد هاحب البلد إللى انولدت فيها .....شعرت بأنه تم تشتيتها و أنه بدأ الحديث معها بدون وجه حق : إيه علاقة ده بمجيتك

- أنا عايز منك خدمه بس مش ليقاطعهما صوت خالتها: مين يا عاشه

- السقا يا خالتى

فهمس لها : ادخلى هاتى حاجه أملالك فيها عشان ما تشكش خلع القربة من على كتفه و جلس على عتبة الباب ؛ و هو لا يزال يفكر فيما إذا كان يمكنه الإعتماد عليها وخصوصا أن العمل الذى سيوكله إليها ربما سيكون سببا فى تعرضها للمشاكل و لكنه يعلم جيدا أنه ما كان ليلجأ إليها إلا عندما رأى بعد تشاور من

أصدقائه أستحالة أن يقوم بهذا العمل أى منهم عادت إليه ممسكة بوعاء فخارى فى يدها فوجه فم القربة ناحية الوعاء و هو يتحدث بصوت خفيض : إحنا بنوزع معونات زى القمح والشعير و دره على الناس المحتاجه هنا كنا بنوزع بالليل بس بعد فرض الحظر بقينا مش عارفين نوزع

- يعنى كده المفروض أنا إللى أعمل كده بدالكم

- يعلم ربنا إنى ما كنتش عايزه أدخلك فى الأمور دى بس إحنا لو اشتغلنا فى النهار الناس هتلاحظنا و هنتكشف لكن إنت مش هتكونى معروفه للناس بس لازم تعرفى أى حد هتديه إنك من طرف العمده و تم الإتفاق بينهما على كل شيئ

23

وقف فتحى مستندا الى حائط منزلها ينتظر خروجها مكث بعض الوقت ينظرالى ارتفاع الشمس ليجد أنها تأخرت عليه فهو يريد أن ينطلقوا قبل ان تشتد حرارة الشمس وفى نفس الوقت يشعر بالحرج من طرق باب امراة وخصوصا أنه فى بلده و ليس فى القاهرة حيث كل شيئ مباح تقريبا انتبه إلى صوت الباب و هو يفتح فحمل حقيبته الجلدية على كتفه و هو يقول للتى ظهرت من خلف الباب ؛اهلا يا سيده جانيت كنت أكملت نومك ابتسمت له فاغلقت عينيها وصارت كخطين على وجهها ؛ فشرد فى تلك الابتسامة التى تسحره و لم يعى شيئا من ردها عليه يراها تحرك شفتيها و لكن لا يستطيع أن يستجلب ذرة واحدة من الانتباه ؛ و سرعان ما تمالك نفسه و عزم على أن لا يقول شيئا يضحكها مرة اخرى و كانا قد تآلفا على الحديث فكونهما يقومان بعمل معا جعل منهما صديقين و خصوصا كون جانيت من مجتمع غربى متحرر تحول الى معاتبتها كى يغطى شروده بها ألم نتفق على أن
نخرج من هنا مع شروق الشمس فالجبل يبعد عن هنا مسافة ليست بالهينه

-آسفه كنت انتظر أن تطرق عليا الباب؛ تجاهل الامر برمته فقد تأخرا وكان ما كان و الحديث فى الأمر لن يغير من الواقع شيئا ؛ التفت خلفه على صوت صهيل خيل ليجد الجندى مقبلا نحوه و قد جر خلفه ثلاثة خيول فابتسم بسخرية قائلا: يبدو أنه هو الآخر قد استيقظ متأخراً

-ابتسمت باحراج : يبدو انك لن تتوقف عن توبيخى

وضع يده فى جيوب بنطاله و لايزال يراقب الجندى المتقدم نحوهما: يبدو أنك لا تحبين المزاح

-هذا لا علاقة له بالمزاح أنت لا تصدقنى كنت مستيقظة المشكلة أنك لم تطرق الباب فكيف إذا اعرف أنك واقف تنتظرنى

امسك بلجام احد الخيول ما إن وصل الجندى و امتطاه و هو يجيبها دعينا لا نتحدث فى هذا الأمر مجددا فهو يعلم جيدا أن عقليتها الغربية لن تفهم ولن تستطيع مواكبة عقلية رجل شرقى مثله حتى أن ديانتها بعيدة كل البعد عن عقيدته

-لحقت به وقد ركبت حصانها لماذا ؟

-لا داعى لأن اتحدث لن تتمكنى من فهمى

-سوف أتفهم أى شيئ يكفى ان تشرح

-هناك امور لا يمكن شرحها

لاذت بالصمت بعد ان فقدت الامل فى استجلاب كلمة منه و كما يقولون : هناك افواه لا تفتحها السكاكين ؛قطعوا الطريق إلى الجبل فيما يقارب الثلاث ساعات و قد كانوا يتسابقون فيما بينهم لتمضية الوقت فقرروا التخييم فى بقية اليوم وصعود الجبل فى وقت الفجر على الرغم من أنها اصرت على الصعود ما إن وصلوا إلا أنه أصر عليها متعللا بالاستراحة من الطريق و فى الوافع كان يخشى من أن يصيب أحدهما ضربة شمس فيجد نفسه منتظرا حبل المشنقة كما حدث مع أهالي دنشواى و الذى ابتسم بسخرية ما ان تذكرها فالناس بدل ان ينتفضوا لاجل ما حدث فضلوا النسيان تاركين للزمن مهمة محو آثارها حتى اصبح هناك جيل جديد لا يعلم عن الحادثة شيئا

24

جلس على الأرض متكئا على كومة من القش و وضع فأسه بجانبه بعد أن انهكه التعب وقد جاء وقت الاستراحه أخيرا حيث يستيقظ كل يوم فى الرابعة فجرا يتناول إفطاره و يتجه الى الأرض ليعمل الى آخر النهار عدا بعض الوقت المخصص لاستراحتهم نفس السيناريو يتكرر معه كل يوم وكأنها مشاهد معادة من فيلم صامت لا يرى لحياته أي ثمن أو فائده و ربما لو اخبروه أنه سيموت بعد عدة أيام فإنه سيقيم الأفراح و الولائم يتمنى لو يستطيع التعبير عن مشاعره ان يبكى كعائشه او أن يقول كل ما فى قلبه كما تفعل أخته صباح ، انتبه لجلوس

صديقه فرغلى بجانبه و قد أمسك كوبشاى فى يده :إيه يا عم ما تيجى تقعد معانا قاعد لوحدك ليه

-انت عارف إنى مش باحب اقعد مع العيال دول

-هو أنت اصلا بتحب تقعد مع حد

-طالما انت عارف طبيعتى بتيجى ليه كل شويه و تقولى تعالى اقعد معانا روح كمل معاهم و من ثم نظر إليهم فرئاهم يضحكون :شكلهم بيقولوا نكت روح سلى نفسك

-يا عم أنا عايز أخرجك من الهم اللى انت معيش نفسك فيه ده احنا صحاب من واحنا فى اللفه و من ثم أخذ يضحك كثيرا فانتظر طه توقفه قبل ان يقول يا ريتنى ما كنت عرفتك يا أخى

-كده يا طه تقولى كده و احنا اصحاب عمر و أنا اللى علطول بحاول ابسطك بس انت تقولى حرام و الشيخ قال و الشيخ عاد و ماشيلى ورا كلامه مغمض سكت على مضض منه فهو غير حافظ للأحاديث التى يمكن أن يرد بها عليه و إنما يعرف معانيها فحسب فلعن أميته و كل شيئ تسبب فى وضع الحياة التى يعيشها ولم يرد فى نفس الوقت أن يكون شيخه الذى يحبه محط ذم من أحد :انت ما تعرفوش فما تتكلمش عليه كلام و حش يا إما تنسى ان عندك صاحب اسمه طه

-خلاص يا عم هو احنا غلطنا فى الخديوى يعنى تحدث بحزم و قد احمر وجهه من الغضب: فرغلى

-فكنا من السيره دى أنا رايح اسهر عند واحد صاحبى و لو إنى عارف إنك مش بتحب تروح أماكن الفجور قالها وقد نمت عن شفتيه ابتسامة ساخره بس برضو واجب عليا اعزم عليك كل مره ساد الصمت المكان و انشغل فرغلى بشرب كوب الشاى فى يده بينما أخذ طه يقلب الافكار فى عقله وعقد مقارنة بينه و بين صديقه لترجح كفة صديقه بسهوله فها هو صديقه يفعل كل ما طاب له من المنهيات و لا يزال منشرح الصدر بينما هو يكاد يموت من تعاسته ثم أين ضيق الصدر جراء المعصية الذى يتحدثون عنه :حقا إنه يريد تجربة الامر
-خدنى معاك

-شرق جراء سماعه تلك الكلمات و بصق ما كان فى فمه على الارض : انت قلت إيه دلوك

-عايز اروح معاك فيها حاجه دى مش انت إللى عزمت عليا

-لا يا باشا مفيهاش حاجه ده احنا هنحتفل على شرفك الليله و من ثم امسكه من منكبيه : مكنتش اعرف إن زنى عليك هيجيب نتيجه بس أنا برضو بذلت مجهود بقالى تلات سنين بتحايل عليك يا راجل

25

ضرب بقبضته على المكتب و قد استحال بياض و جهه إلى اللون الأحمر واظلمت عيناه : يعنى إيه يا برعى الكلام اللى بتقوله ده

شعر برعى بأنه قد تم وضعه بين حجرى الرحى و منظر القائد أمامه لا يبشر بخير فأراد أن يزيد من تبريراته لعلها تكون المنجية له : و الله يا بيه أنا ما سبتش مكان فى البلد إلا لما دورت فيه و هو زى ما يكون اتبخر

-مش يخصنى الكلام إللى انت بتقوله هو أسبوع واحد و تعرف كل المعلومات..... مفهوم

-مفهوم يا افندم ..... مش هتعوز أى حاجه تانى منى

-نفذ مهمتك فى الأول و الا انا ممكن استبدلك بسهوله

-امرك يا فندم

نزل على السلم ليقابل الملازم هارولد على بوابة المبنى فأراد ان يتحاشاه متظاهرا بعدم رؤيته فلطالما كان دائما على خلاف معه ؛ فالاتفاق و الاحترام معدوم بينهما و لا يلبثا أن يتشاجرا ما إن يجمعهما مكان واحد على الرغم من عدم معرفة الملازم للغة العربية إلا من سوى بعض الكلمات و التى غالبا ماتكون سبابا وكلمات نابيه و التى يكاد يجزم بأنه تعلمها خصيصا من أجل إغاظته استغفرالله فى سره عندما وجده قد وقف سادا الطريق امامه و قد فتح ذراعيه قائلا بلهجة ساخره: برعى خبيبى

جاهد لاخفاء انفعالاته و رسم الجمود على وجهه :ملازم هارولد....هلو

و فى الحقيقة كانت هذه هى الكلمة الإنجليزية الوحيدة التى يعرفها فانتظر أن يفسح له الطريق و لكن الآخر بدأ بنعته بالفاشل و الإشارة المعتادة إلى كرشه غير أن برعى أصر على وضع قناع الجمود و هو يعلم جيدا أن هذا الأسلوب القذر الذى يستخدمه معه دائما ليس لشيئ سوى خوفه من ان يصبح مقربا للقائد أكثر منه لانشغال عقله بالمهمة التى كلفه القائد بها و قد أصبحت

علاقته بقائد المعسكر على المحك و لكن نفسه ضعفت و أراد أن يغضب الملازم و لو قليلا فأشار الى صدغه و هو يحدث صوتا من فمه مذكرا إياه بالإصابة التى على جبينه و التى سببها شجارهما الأخير ليضع الملازم يده على صدغه تلقائيا و قد اختفت الابتسامة من على وجهه :اهمق؛نعته بهذا الوصف و ولى دبره عنه فتنفس برعى الصعداء لأنه تمكن من الخروج من هذه المواجهة بأقل خسائر ممكنه حيث أنه دائما ما يتعمد التقليل من شأنه أمام الجنود ؛ ابتسم بتشفى عندما تذكر أول شجارلهما بالأيدى معا و كيف أنه تفوق عليه تبعه عدة شجارات أخرى حتى أن الأمر وصل إلى القائد فغضب كثيرا و حذرهما من أن يفقدا وظيفتهما لينتقلا إلى الشجار بالكلمات و الإيمائات و كأنهما يستمتعان بذلك ؛عاد اليه الكدر مجددا عندما تذكر أمر مهمته و كيف أنه كلف جميع من يعملون تحت إمرته بالأمر إلا أن أحداً منهم لم يصل الى نتيجه ؛ هو يريد فقط أن يعثر على طرف للخيط و قد يكون هناك من ساعده على الهرب بل لا بد أن هناك من ساعده

26

جال بها كثيرا طوال الأيام الماضيه و قد استمتعت برؤية المقابر و سائها كثيرا أن ترى بعض الرجال يستخدمون الديناميت لتفجير القبور بحثا عن المومياوات أو أى كنوز أثريه يمكن بيعها و هو فى الحقيقة يعلم جيدا أن الأمر برمته خطأ و لكن فى النهاية هذه لا تعد مشكلة كبيرة بالنسبة لأناس لا يستطيعون أن يجدوا لقمة عيشهم وصل الى مسامعه صوت تأوهها فنظر خلفه ليجدها قد سقطت على ركبيتها و يبدو أن قدمها تعثرت فى أحد الأحجار اقترب منها قائلا : هل أنتِ بخير

مدت قدميها امامها و هى تتأوه و من ثم خلعت حذائها وقد ظهرت قدمها مليئة بكثير من التقرحات : لست بخير أبدا

-أنا لا اجبرك على شيئ أنت دائما ما تصرين على الضغط على نفسك و كأنك تسابقين الزمن

-لا داعى لأن تلومنى مع كل فرصة تواتيك

-اسمعى اعلم جيدا أنك ترغبين برؤية كل شيئ و لكن الجبل الكبير والصحراء واسعه قد يستغرق الأمر منك بضعة شهور و حينما وجد تجاهلها و تظاهرها بالانشغال بساقها علم أنها مصرة على ما فى عقلها ففكر أن يشغلها بشئ كى تصرف ذهنها عن هذه الفكرة الجنونيه: ما رأيك لو آخذك إلى كهف مميز:-انه موجود اسفل الارض سوف تنبهرين عندما ترينه

-حسنا انا موافقه

-و لكن بشرط

-ما هو؟

-أن لا نذهب إلى هناك حتى تتعالج قدمك

-لكن بهذه الطريقة الوقت سيضيع منا

-لن يضيع تستطيعين كتابة كل شيئ شاهدته منذ وصولنا الى الجبل خلال هذه الاستراحه

-فكرة جيده

نظر اليها و هى تلملم شعرها المبعثر فى كعكة صغيره : إنها طفلة حقا يسهل اقناعها بسرعه نظرت اليه على حين غفلة منه فجفل و ابعد نظره سريعا وهى تقول :هيا لنعد الى المخيم

-سنذهب و لكن ليس قبل أن نعالج قدمك

اسندت يدها على الارض محاولة النهوض و لكنه اوقفها بنبرة صارمه : جانيت ماذا تفعلين اجلسى مكانك ؟

-علينا الذهاب لا حل آخر فلا يمكننا المبيت فى العراء

-سوف اجلب لك بعض الأعشاب و من ثم نظر إلى الجندى الجالس على الصخرة أمامهما : ابقى منتبها الجبل يحوى ذئابا

-اجابه بسأم ظاهر :إنها مهمتى و من ثم ابتسم بسخريه و هو يتابع تمكنا من السيطرة على أوباش مثلكم فبالتاكيد لن يصعب علينا أمر ذئب

سبه باللغة الفرنسية و ضحكت جانيت فاحتقن وجه الاخر غضبا و هو ينظر إلى كلاهما و قد تعثر عليه فهم كلام فتحى و لكن جانيت أرادت احتواء الموضوع قبل أن يتفاقم فتوقفت عن الضحك : أنت من بدأت يا برنالد ووصفتهم بالهمجيه و لكن فتحى رد عليك بطريقة تثبت لك أنهم ليسوا كذلك حدثك بالفرنسية للتو و هو يجيد شيئا من الايطالية

شعر بالحرج و لكنه أراد أن لا يكون فى موضع الأحمق :أنا لا اهتم حتى ولو كان يتكلم بكل لغات العالم فأمر معروف أن شعبنا اكثر تحضراً منهم ؛ شعر فتحى بأن النار تسرى فى عروقه و أراد أن يقول بأن تحضركم الذى تتبخترون به ليل نهار موصوم بالعار و مسقى بدماء طاهرة ذكيه لا تفقه من الدنيا شيئا و لكنه آثر السلامة فى اللحظة الاخيره و هو فى الواقع ليس من اولئك الثائرين الذين تجرى فى دمائهم حمية للوطن فلربما يشعر بالسخط على الاوضاع التى يعيش فيها الناس و لكنه فى النهاية لا ينوى أبدا أن يحاول التغيير او الإعتراض على أى شيئ

27

جلس فى ركن من أركان المسجد منكمشا على نفسه و ليلة البارحة تعاد أمامه بكل لحظة فيها ؛ رهبته و هو ذاهب مع فرغلى إلى صديقه حيث كان مكان اللقاء فى حظيرة حقيره تابعة لأحد الخواجات و و كان قد أعد لهما زجاجتى بيره بالإضافة إلى لعبة الدومينو ؛ شعر بالحرج فى البدايه و لكن ما إن حل منتصف الليل حتى أتى على الزجاجة بأكملها و لم يدرى بنفسه إلا عندما أيقظته شمس الصباح ليجد ذلك السائس عاًئما فى دمائه فشعر بالذهول و من ثم وجد نفسه يجوب الشارع كالمجنون إلى أن أخذته قدماه إلى المسجد إذ أن شعوره بالأمان فى هذا المكان هو ما جعله يذهب إليه دون وعى منه؛ إنه لا يعلم إلى الآن هوية القاتل انتبه الى الشيخ قادما ناحيته فقام يسلم عليه وهو ناكص راسه أرضا ليصل له صوته قائلا: مالك يا طه مش على بعضك النهارده جاي لي بعد الصبح ما صبح راحت عليك نومه ولا إيه ؛ لم يجد الشيخ سوى الصمت جواب له ليفاجئ به يضع يده على وجهه مخفيا عينيه وقد بدأ بالبكاء : إيه ده يا طه انت بتعيط في إيه يا ولدى

بكا كما لم يبكي في حياته مطلقا بكى الندم والخوف واليأس و شريط حياته يمر أمامه ليجد أنه بلا فائده وهو الآن قد زاد الطين بله ؛ وفقد شرفه بقتله لإنسان من دم ولحم و ارتكب معصيه كان فعلها بالنسبه له في الماضي امرا مفزعا علاوة على أنها كبيره من الكبائر؛ اخذ الشيخ برأسه تحت إبطه حينما وجد أنه لا يريد التوقف و أخذ يمسح على ذراعيه وهو يقول :في إيه يا طه انشف شويه انت هتعيط زي الولايا

اجابه من بين بكائه :إذا كان البكا هيريحني أنا عايز أكون وليه و أعيط للصبح

-تعال اقعد يا ابني استعيذ من الشيطان و احكي لي إيه اللي كدرك يمكن نلاقي حل

-ما فيش حل يا شيخ محمود أنا ضيعت نفسي يوم ما سمعت وسوسه الشيطان

- ضيعت نفسك إيه و وسوسة شيطان إيه .....أنا مش فاهم حاجه يا طه

تمالك نفسه وبدأ بسرد كل شيء للشيخ من بداية عرض فرغلي عليهم يغلبها البكاء بين الفينة والاخرى ثم يهدئ من نفسه ويكمل السرد وما إن انتهى حتى رفع عينيه المحمرتين من أثر البكاء إلى وجه الشيخ يقرأ انفعالاته ولكن تعابير وجهه الجامده لم تمكنه من معرفه ما ستكون ردة فعله فعاد ينكس رأسه أرضاً منتظراً تأنيب الشيخ له ولكنه تفاجئ بوقوفه وهو يقول: هاروح اجيب لك ميه زمانك عطشان

ابتسم ساخرا وهو موقن بأنه قد ذهب يختلي بنفسه ويفكر في حل لهذه المشكله لم ينتهي من أفكاره حتى وجد الشيخ أمامه يحمل كوب الماء في يده فرفع حاجبيه متعجبا وعلم انه أخطا في تفكيره يؤكد له هذا الاستنتاج قول الشيخ له : افتكرت إنى بتهرب منك صح

-أيوه افتكرت انك هتسيب الجامع ومش بعيد تروح تبلغ عني أنا آسف على سوء ظني

-عيب عليك يا راجل ده احنا حتى بقالنا تلات سنين عارفين بعض

ابتسم في صمت وقد شعر بالخجل من ظنه الغريب هذا في الشيخ شرب كوب الماء على ثلاث دفعات متتاليه مع التسميه في كل مره وهو ينظر الى الشيخ ليعود بذاكرته إلى ذلك المكان الذي قابله فيه وقد كان يوما سيئا حقا حيث عاقبهم مأمور الفلاحين بالضرب بالسياط هو ومجموعه من العاملين لتراخيهم عن العمل؛ العشرون جلدة التي أخذها كانت كافيه لجعله عاجزا عن الحركة فاستلقي بجانب شجره نائية عن الطريق يريد العودة الى المنزل ؛ ولكن أنى له ذلك والدماء تخرج من ذراعيه وقدميه والجميع مشغول بمصابه من يأتي لأخذ ابنه أو والده أو أخيه إلى أن اصبح وحده المصاب لا يجد من يحمله إلى بيته؛ ووالده كان ذاك الوقت قد أُخذ الى الحرب وفتحي في عمله في أسيوط أما أمه و أخواته فهن هم آخر لايريدهن أن يرينه و هو بهذه الحاله و خصوصا أمه التي سوف تنهار ما إن تسمع أمر جلده فكيف إذا رأت ؛ و فتحى لن يعود قبل يومين و طال به الأمر إلى أن حل الليل ؛ حتى رآه الشيخ وهو مار فعرف منه مكان بيته وأخذه إليهم ومن ثم أحضر له الحكيم ولم يقف عند هذا بل بقي يعوده ليتأكد من صحته؛ ورويداً رويداً اصبح يذهب الى الجامع يزوره و يسأل عنه وبدأ ينتظم في الصلوات بالمسجد بعد أن كان يكتفي بآدائها في البيت؛ أو ربما التكاسل عنها أحيانا و كان يؤديها بطريقة خاطئه فعلمه الشيخ وحفظه بضعة قصار السور عدم قدرته على القراءه :بس عرفت ازاي انى ظنيت بيك سوء

-ابتسمت حتى بدت نواجذه وشك اتلون لما قلت لك إني هروح اجيب لك ميه

- ضحك طه كثيرا وهو يتعجب في نفسه: كيف لهذا الرجل القدره على اضحاكه وهو الذي لا يبتسم مع أحد ولو كانوا أقرانه عاد إلى كدره حينما تذكر أمر القتيل فكيف يتسنى له الضحك بعد ما حدث البارحه: هو في حل للي أنا فيه ده أنا مستعد اروح اسلم نفسي

-ما فيش حاجه اسمها تسلم نفسك وخصوصا إنك مش فاكر إذا كنت عملت كده ولا لع

-طيب اعمل ايه

-هتروح الأرض و تشتغل عادي و كأن ما فيش حاجه حصلت وأنا متأكد انك هتلاقي صاحبك فرغلي ده هناك حاول تعرف منه أى شيء من اللي حصل امبارح

-يا شيخ محمود مش معقوله يعني هيجي يقول لي أنا اللي قتلت السايس ده مش بعيد يتهمها في

-خليك واثق فيا طالما هو كان معك في نفس المكان هيخاف يتاخذ في الرجلين

سمع كلام الشيخ وذهب الى الارض وما إن حل وقت الاستراحه حتى اتجه إليه حيث كان جالسا مع أصدقائه كالعاده رفع حاجبيه متعجبا عندما رآه يضحك ويمزح معهم وكأن شيئا لم يكن مما جعله يتسائل عن ما إذا كان يعلم بما حدث البارحه هل يعقل أنه غادر الحظيره قبل ان تحدث الجريمه ؛ ولكن لا ريب أنه يعلم بأمر مقتل السائس فالخبر قد وصل إلى جميع أهل البلد صغيرهم قبل كبيرهم اظلمت عينيه عند ذلك الاستنتاج وتقدم إليه :فرغلي

نهض قائما ما إن رآه يحتضنه :هلا يا ابو الصحاب أخيرا جيت تقعد معانا ومن ثم أشارإلى مكان فارغ على الأرض في الحلقه التي يشكلونها وهويقول: تعال اقعد هنا وأنا هاجيب لك كوبايه شاي حالا

أراد أن يأخذه إلى مكان منعزل ليتحدث معه على انفراد وفي نفس الوقت لا يريد لاصدقائه أن يثيروا حولهم تساؤلات : أنا عايزك يا فرغلي تشوفلى الفاس بتاعتى فيها مشكله

سارا ناحية متعلقات طه الموضوعة بجانب شجرته الأثيره فوصله صوته :ايه المشكله اللي في الفاسه بتاعتك

-كفايه تمثيل يا فرغلي

-تمثيل إيه يا طه أنا مش فاهم حاجه

وقف أمامه وهو ينظر حوله آخذا في الإحتياط أن لا يكون هناك أحد بقربهما وتحدث بهمس: السايس اللي كنا سهرانين معاه امبارح بالليل اتقتل

-مش غريبه يعني أكيد حد من أعدائه هو إللي قتله

نظر إلى حديثه بكل هذه الأريحيه وكان شيئا لم يكن؛ هل هذا هو صديق طفولته حقا كان يعزى سهراته تلك في الآونة الأخيره الى نزوات الشباب التي تصيبهم بين الفينة و الأخرى ولكن أن يصل الأمر إلى هذا التبلد فى المشاعر تجاه من كان يسهر معه كل يوم تقريبا لم يكن في الحسبان ولو كان هو من قتله فستكون هذه هي الطامة الكبرى

-أنا مش فاهم انت إزاي مرتاح بالشكل ده و إحنا إللي كنا سهرانين معاه إمبارح و إحنا أول ناس هيحققوا معاهم

- محدش يعرف إن إحنا كنا سهرانين معاه

-حتى لو ما حدش شافنا لما روحنا له أكيد الناس عارفه إن عنده صاحب مكنش بيفارقو اسمه فرغلي

-قليلين اللي عارفين صحوبيتنا وبعدين أنا معملتش حاجه عشان يحققوامعايا

قرأ على وجهه علامات القلق فأيقن أنه كان يضع قناع لا مبالاه :ليخفي خوفه منذ البدايه ويبدو أنه متخبط ولا يعلم ماذا يفعل فأراد أن يحسم الأمر قبل أن يتطور: اسمعني ما فيش وقت زمانهم دلوقتي راحوا يسألوا عليك في بيتكم

-إزاي يعني هو انت مش كنت معايا برضه ولا هتستعبط

-أنا كنت سكران ليلتها يا فرغلي ومش دريان بأى حاجه حوليا ومش عارف إيه اللي حصل

-أنا كنت سكران زيك برضو و صحيت الصبح لقيت نفسي في الدار

- بص يا فرغلي انا مش فارق معايا حاجه أنا ممكن اسلم نفسي في أى وقت واقول إن أنا اللي عملت الجريمه دي من الآخر بايعها إللي فارق معايا بجد إنى اعرف أنا عملت كده ولا لع و عندما قابل كلامه بالصمت التام شعر بالضيق

فتحدث بحزم:يمين بالله يا فرغلي ان ما قلتش إيه اللي حصل هاروح اسلم نفسي واقول إنك شريكى فى الجريمه..... أظن إنك خابرنى كويس

-خلاص يا طه هاقول لك على كل حاجه بس ما تفتحش بقك ولا تقول لمخلوق

- أنا عمري ما هاعمل كده

-بعد ما انت سكرت امبارح اغمى عليك مكانك قعدنا نضحك شويه عليك بس بعد كده مش عارف اتعاركنا على إيه راح سحب المطوه في وشي وأنا مسكت حديده كانت جنبي ومش عارف إيه اللي أنا عملته خلاه وقع غرقان في دمه ولقيت نفسي بجري على البيت: والله يا طه ما كنش قصدي كنت بدافع عن نفسي

تسمر في مكانه فقد كان يعلق ولو قليلا من الأمل ألا يكون أحدهما هو القاتل و أن يكون شخصاً آخر ولكنه سرعان ما ضبط انفعالاته كى لا يثير القلق فى نفس فرغلى : هتعمل اللي هاقول لك عليه بالمللى و إلا هتروح في داهيه

-تحت امرك

تاخد بعضك دلوك و تروح عالقرافه و إياك حد يشوفك: إن شاالله تدخل جوه قبر و لما يجى الليل تروح عالجبل تقعدلك شهر شهرين لحد ما الدنيا تهدى و بعدين تهرب بجلدك على مصر فهمت

- فهمت يا طه و جميلك على راسي من فوق

-أنا ما عملتش حاجه ده أقل واجب لصحوبيتنا بس انت بطل نمرده ومش هاقول حاجه تاني غير ربنا يهديك ويهدينا

28

جلس على الفراش و قد شعر بالسأم فمنذ ما يقرب الساعتين و هو يتقلب يمنة و يسره ولكن هيهات فيبدو أن النوم لن يزور جفنيه هذه الليله وهو يعلم السبب جيدا ألا و هو انشغاله بتلك الجالسه أمام النار لا يعلم هل نبض قلبه حقا عندما رآها تسقط أمامه هذا اليوم أم أنه تهيأ ذلك ولكنه متأكد بأن هناك مشاعر غريبه بدأت باجتياحه صحيح أنه الف وجودها ولكن شعوره بالغيره عندما قام ذلك الجندي بمساعدتها على تضميد قدمها امر يدعو على الغرابه هو لا ينكر انه معجب بشخصيتها وربما شكلها ولكن ان تكون لديه مشاعر من ناحيتها أمر لم يكن في حسبانه ؛ و بوصوله بالتفكير إلى هذه النقطه تنهد وهو عازم في نفسه أن

يئد هذه المشاعر في مهدها فلا ينقصه سوى أن يحب امرأة اجنبيه بل و تحمل اسم المحتل ؛ خرج الى خارج الخيمه وقد أيقن أنه لن يستطيع النوم ؛ جلس على الرمال في مقابلها يفصل بينهما نار موقده ، كانت جالسة على بساط خفيف ذو لون احمر تثنى ساقيها بجانبها وقد وضعت على قدمها ورقه تكتب فيها ،لم تنظر اليه و لكن أتاه صوتها : أهذا أنت يا فتهى .....ألم تستطع النوم

ضحك بداخله علي عدم قدرتها على نطق اسمه بشكل صحيح ولكن العيب عليه فهو الذي لم يصحح لها نطقه ابدا و كأن طريقتها فى نطق اسمه أعجبته فأراد أن يسمعه هكذا على الدوام: لم استطع..... فالأرق يأتينى أحيانا

أجابته وما زالت تنظر إلى الورقه التي أمامها : لابد أن هناك أمر ما يشغل بالك

عقد لسانه فلم يعلم بما يجيبها فتهرب من السؤال بآخر: كيف حال قدمك ؟هل لا يزال هناك ألم ؟

نظرت إليه فعكست عينيها لهيب النار ليشعر بدقات قلبه تعلو فما كان منه إلا أن نظر إلى الأرض سريعا : يا إلهى هذه المرأه سوف تقتلنى قريبا.....يجب أن أنهى هذه المهمة فور عودتنا و اصرفها عنى بأى شكل ؛وجد نفسه رغما عنه يتأملها و الصحراء مترامیه خلفها فتمنى لو كان رساما ليرسم لوحة لها الآن و لكانت ستنافس أجمل لوحات العالم ؛ ارتبك عندما نظرت إليه و قد همت بترتيب أوراقها فشعر و كأنه لص أمسكوا به و هو يسرق: لقد انتهيت من عمل هذه الليله ما رأيك لو نتحدث قليلا

تشاغل بوضع المزيد من الحطب فى النار و هو يجيبها : بالتأكيد هذا إذا كنتى لا ترغبين فى النوم

- لا يزال الوقت مبكرا و الآن أخبرنى ما هو رأيك فى الحرب

نسي ارتباكه فهو دائما ما يحب الحديث عن هذه الأمور : انا في الحقيقه لست ضمن أي من الفريقين الدوله العثمانيه كانت تريد الحفاظ على خلافتها بينما بريطانيا وفرنسا احلامهم ومن هم على شاكلتهم في الاستعمار لا تنتهي وقد خدعونا شر خديعه عندما وعدونا بالاستقلال وخلفوا وعدهم..... الجميع كان يحلم بالاستقلال وظنوا أنهم سيحصلون عليه ما إن تنتهى الحرب ولكن يبدو أنه حلم بعيد المنال أو أن البريطانيين من يجب أن يحلموا وحدهم

قاطعته وهي تنظر الى الجندى النائم بمكان ليس ببعيد عنهم : هل يمكن أن نتحدث الفرنسيه فأنا لا أريد أن تحدث بينك انت و برنالد مشاكل مره اخرى

-كما تريدين سيده جانيت

ضحكت من طريقه قوله للجمله بتقليده لأفراد الطبقه الارستقراطيه حينما يتحدثون : يبدو أنه لا يزال لديك الكثير في جعبتك لم أطلع عليه

-علمتني القاهره الكثير من الأمور فالسنوات الست التي قضيتها فيها ليست بالقليل

-ولكن لماذا عدت الى اسيوط أليست القاهره تحوي فرصا أكثر حظا

-أنت على حق ولكني الابن الاكبر لعائلتي لذا أردت ان اكون بجانبهم اهتم بهم والرزق من الله كما أن الأصيل هو من يعود الى بلده في النهايه ليخدم أبنائها

- هل كانت الحرب قاسية عليكم

-اظن أن الاحتلال اظهر وجهه القبيح منذ أن بدأت هذه الحرب قاموا بمصادره كل شيء المواشي والمحاصيل لأجل الحرب جعلوا الفلاحين يعملون كعبيد عندهم وأجبروهم على زراعة الحبوب حتى من زرع القطن حصد خسائر كبيره بسبب انخفاض اسعار القطن العالميه ؛علاوة علي الفلاحين والصبيه الذين أُخذوا من جميع أقطار البلد مقيدين بالحبال من أجل القيام بأعمال النقل والحفر ووالدي كان من ضمنهم و أكاد اجزم لك أنى لم أعد اعرفه بعد عودته لقد تحول إلى مريض نفسي إنه انسان في النهايه هل عليه ان يكون بريطانيا كي تتم معاملته كانسان

-كل ما تقوله صحيح أعدك أني عندما أعود إلى لندن سوف اعمل على التشهير بهم

ضحك بسخرية في نفسه: إنها بالتاكيد تشبههم لا يمكنها ان تتحدث ضدبلدها..... إنها في الحقيقه بريطانيه حتى النخاع..... حتى ولو كانت متعاطفه معهم ،جاملها :سيكون ذلك أمرا مفرحا لنا جميعا و من ثم تابع :عندما تسمعينني سوف تظنين أنني أريد رحيل الانجليز في أقرب فرصه ممكنه ولكن في الحقيقه أنا أجد نفسي مترددا أمام تأييد رحيلهم أو معارضته حيث أن مصر لا تستطيع الاستقلال بنفسها حاليا فهي ليست قوية بعد

- الحق أنك حيرتني أظن أني سأقضي الليل كله في التفكير في كل ما قلته

29

جلس محمد سعيد باشا رئيس وزراء مصر الأسبق و المرشح لتولى الوزارة الجديد فى صدر البهو الواسع بقصره بالقاهره يجلس على جانبيه مجموعه من أعيان مصر

منهم الشيعى باشا و كامل جلال و مصطفى ماهر و توفيق شهاب الدين و محمد هلال و كان محمد سعيد باشا رجلا مليئ الوجه ذو شاربين مفتولين يرتدى بذلة رسمية وطربوشا و كان قد جمعهم من أجل التشاور معهم و الطلب منهم لتشكيل وفد ثانى لمواجهة حزب الوفد الذى يقوده سعد زغلول و قد اتفق معهم على تسميته بنادى الأعيان فكان فى سريرة نفسه يرغب فى إضافة شرعية على تحركه ضد حزب الوفد و قد كان صديقا حميما للإنجليز أمسك فنجان القهوة يرتشف منه حينما وصله صوت أحد الأعيان : أنا عارف الشخص إللى ممكن يمثل نادى الأعيان فى الصعيد

-مين هو؟

- أبو زيد بك على

برم طرف شاربه بيده و قد زاغت عيناه باديا على وجهه علامات التفكيرقبل أن يقطع صمته : بس ابنه خليل رفض يساعد المدير الزراعى كوكسن باشا و أنا شايف إن من شابه أباه فما ظلم فتكلم أحدهم : أنا متأكد إنه مش هيرفض طلب يرضى عنه السلطان فؤاد

- ممكن ؛ اعرض عليه الطلب فض الإجتماع وانتهى بتأسيس نادى الأعيان.

30

جلست عائشه على دكة فى فناء منزل خالتها و قد ارتدت ملابسها مستعدة للعودة إلى بيت والدها فها هو قد مضى أسبوع و ثلاثة أيام أو ربما أسبوعين أو أكثر لا تذكر عددها فلم تشعر بالوقت بسبب أعمالها التى تقوم بها تستيقظ كل يوم و تذهب إلى القرافه لتحضر السبت الذى يحوى طحينا يتركه لها على كل يوم لتعطيه للمحتاجين و كانت تشعر بالدهشة لأنه يعرف أسماء الكثيرين منهم و أماكن تواجدهم كان هذا العمل شاقا أرهقها نفسيا و جسديا فتضطر كل يوم لحمل هذا السبت الثقيل؛ و أما نفسيا فهو من ناحية شعورها بالذنب طوال الوقت لكذبها على خالتها كل يوم حيث تخبرها عند خروجها كل يوم أنها ذاهبة لرؤية والدتها و أيضا لم تخبر فتحى على الرغم من أنه قد قطع عليها وعدا بإخباره فى كل شيئ تريد فعله ؛ و لكن فتحى على الرغم من تحضره و سعة أفقه فهو ليس مثل الباقين هنا يرى أن النساء عار يجب التخلص منهن عند أول خطأ ؛ إن علم بما تفعله فلن يستطيع التسامح معها ؛ أفزعها صوت الطرقات الشديدة على باب البيت فأنزلت برقعها على وجهها و قفت متسمرة مكانها قلبها يرتفع

وينخفض بين أضلعها ؛ لا تعرف ماذا تفعل ؟ طرق الباب بهذه الطريقة يذكرها بذلك اليوم الذى جائوا للبحث عن على فيه ؛ خرجت خالتها من غرفتها و قد كانت نائمه فأيقظها صوت الباب : فى إيه يا بنيتى

- مش عارفه يا خالتى

و ما لبث أن فتح الباب على مصرعيه و برز من خلفه ضابط و ورائه اثنين من العساكر : فين عائشه جاد عبد الحق

- عاوز إيه من بنيتى هى ما عملتش حاجه

كانت تقف مبهوتة و كأنها ليست معنية بالأمر تكاد تجزم فى نفسها أنهم يبحثون عن واحدة أخرى لها نفس الإسم و لكن. عندما وجدت الجدل محتدم بين خالتها و الضابط تقدمت إليه قائله : أنا عائشه

نظر إليها الضابط بعينين تحملان السخريه : اتفضلى قدامى عالقسم يا حضرة المحاربه الفدائيه

استيقظت عند تلك الجملة و بدأت غرائزها الدفاعية بالعمل : قسم إيه ومحاربة فدائيه إيه.....أنا ما عملتش حاجه يا حضرة الضابط

-هتعرفى إذا كنتى بريئه و لا لع فى القسم.....يلى قدامى من نفسك بدل ما أخلى العساكر دول يجرجروك و يفرج عليكى أمة لا إله إلا الله

سارت أمامهم على مضض منها فلم يكن هناك من خيار لها بعد هذا التهديد و ما زال لديها أمل أن يكون هناك تشابه فى الأسماء و لكن ما لبثت أن ضحكت بسخرية من نفسها فمن سيكون المحاربة الفدائية غيرها تعلم جيدا أن والدها عندما يعلم فسوف يقتلها شر قتله و ربما يغضب منها فتحى ولكن عزائها الوحيد أنها فعلت و لو شيئا مفيدا فى هذه الحياه و هى فى الحقيقة لم تكترث يوما و لن تكترث بحديث الناس و هذه الأمور التى لا تعد ذات وزن بالنسبة لها 31

رمال ممتده فى الأفق تنعكس عليها اشعه الشمس فتعطيها لونها الذهبي لا يوجد هنا سوى الرمال حتى الهواء مشبع بدقائق الرمال الصغيره تهب عليهم رياح الصحراء الخفيفه وهم يمتطون خيولهم الراكضه بمحاذاة الجبل التفتت اليه بضجر : متى سنصل لقد بدأت أشعر بالملل

- اصبرى قليلا و من ثم سكت هنيهة قبل أن يتابع و هو ينظر على الطريق أمامه : يبدو أنك اعتدت على نيل كل شيئ بسهوله

- لست كما تظن فلو كنت كذلك لما أتيت الى هنا وكنت بقيت في بلدي

- لا فرق بين وجودك هنا او هناك فما مصر الا مستعمره ضمن الامبراطوريه البريطانيه التي لا تغرب عنها الشمس

شعرت بالغيظ و أرادت أن ترد له الإهانه : إذا فلتحيا الامبراطوريه البريطانيه التي مكنتنى من المجيء الى هنا

ضحكا كثيرا و قد باتا يشبهان الاطفال في عراكهما ليجيبها ما إن توقف عن الضحك وقد أراد أن لا يظهر بمظهر المغلوب أمامها: لتحيا الامبراطوريه البريطانيه التي لا يستطيع أحد مجابهتها

شعرت بالحيرة من أمره فصحيح أنها نسيت أو تناسيت أمر أول لقاء بينهما و باتت تعامله بأريحيه إلا أن جزئه الساخر منها يطفو على السطح بين الفينة و الأخرى و فى الحقيقة لا تعلم لهذه السخرية سَببا محددا ؛ وصلها صوته وهو يشير إلى تجويف يظهر بصعوبه على سطح الأرض: لقد وصلنا ها هو الكهف

ربط الخيول ببعض الاعشاب الصحراويه النابته فسألته وهما يقتربان من الكهف: كيف سندخل فتحته صغيره

- سندخل حبواً

وقبل أن تستوعب جملته كان قد جثا على ركبتيه ودخل إلى الداخل ؛شعرت بالتردد لأول وهله ولكنها ما لبثت أن تبعته بنفس الطريقه :لمعلوماتك انا اخاف الاماكن الضيقه
- لن تشعري بالسعاده إن لم تخاطرى
-ألم تلاحظ أنك تلقى على مسامعي الحكم منذ الصباح

وصلها صوت ضحكه من الداخل وهو يقول: اسرعى المنظر هنا لا يقاوم وصلت إلى الداخل لتجده يتحسس جدار الكهف فهمت أن تسأله عن ما يفعل ولكن منظر الصخور المتدليه من أعلى السقف كما لو كانت بللورات جليديه أو شلالات مياه متجمده ينعكس عليها شعاع الشمس الداخل وقفت تتأمله لبعض الوقت وكأنها تأخذ له صورة في عقلها تحاول حفظ جميع التفاصيل؛ اقترب منها قائلا : هل اعجبك؟

- إنه رائع يا فتهي

انفجر ضاحكا فنظرت إليه وقد ارتفع حاجباها تعجبا : على ماذا تضحك؟

- لا شيء..... لا تهتمي لأمري تابعي تأملك

- لا يجب أن اعلم فليس هناك أحد يضحك بدون سبب

- حسنا لا داعى لأن تغضبي سوف أخبرك سكت قليلا يحاول صياغه جملته فهو لا يستطيع تخمين ردة فعلها : لن اكذب عليك أنت تنطقين اسمي بشكل خاطئ

- كيف.....لم أفهم !!

- أنت تقولين فتهى و لكن النطق الصحيح فتحى

-وما المضحك في هذا انا بالكاد اتمكن من نطق الكلمه

- الذي يضحكني أني لم اسمع بهذا الاسم من قبل!؟

شعر بسخافة ما يقول حينما لم تجبه فتنحنح وأراد أن يغير الموضوع: دققي النظر في الجدران ستجدين نقوشا من العصر الحجري

-حقا

- انظري بنفسك

اقتربت من الجدران في لهفه وهي تشعر بأنها حازت شرف رؤيه هذه الأمورعن قرب؛ فلطالما قرأت عنها في الكتب و اكتشافات العلماء كان الكهف مجوفاً مرتفعاً سقفه من الداخل باختلاف منظره الخارجي وقد نقشت عليه رسوم من قبل الإنسان البدائي دلاله على أن هذه المنطقه كانت مأهولة فى البدايه الانسانيه ؛ جلس على الرمال أمام الكهف تاركا إياها في الداخل تتفحصه كما يحلو لها لا يعلم لما يشعر بالسعاده عندما يكون قريبا منها وكأن قلبه يضخ الحياه فتستحيل دنياه الى جنه خضراء ، عندما فكر قليلا مع نفسه ليلة البارحه وجد أن شعور السعاده ذاك كان يداهمه منذ وقت ولكن الغريب أنه لم يلحظه إلا البارحه وصله صوت فحيح الأفعى يليه صراخها فشعر بأن جسده قد سرت فيه الكهرباء ؛ انتفض بسرعه وهم بالدخول وقد اعتصر قلبه من الخوف ليفاجأ بها جاثية بجانب الافعى المغروز في عنقها سكين فالتفتت إليه : هل تعرف نوع هذه الافعى

احمر وجهه غضبا كرد فعل للخوف الذي انتابه منذ قليل : لا اعرف ولا أريد أن اعرف..... أنا المخطئ لاني أحضرتك الى هنا من الاساس، هيا حان وقت الذهاب

تبعته وهو يخرج من الكهف : ولكننا اتينا للتو

- لما لا نبيت فى الكهف سيدة جانيت

- انا لا أمانع من ذلك على الأقل سوف يعطيني ذلك وقتا أكبر لتامل الكهف

وضع كلتا يديه في فروة رأسه يكاد يمزقها وقد بدا في الشهيق والزفير لتهدئة نفسه تكاد تصيبه بالجنون وهي تتصرف وكأن شيئا لم يكن

- حسنا لا داعي لهذا الغضب.....افهم أنك قلقت عندما صرخت ولكن شيئا لم يحدث هذا هو الإيجابي في الموضوع ؛ جلس على الرمال وهو يمسح وجهه بيديه فاحضرت قربه ماء كانت تحملها و أمرته أن يفتح يده لتصب له بعضا منه : اغسل وجهك بهذا الماء سوف يهدأ أعصابك ففعل كما طلبت منه و من ثم نهض واتجه إلى الخيل في صمت فتبعته على رغم منها وقد ضاقت في قراره نفسها بردة فعله المبالغ فيها من وجهة نظرها و لو كانت تعلم أن هذا ما سيحدث لكتمت تلك الصرخه بأى وسيله ؛ سارت الخيول بهما مسافة لا بأس بها على الرغم من تعبها الظاهر و قد انتصف النهار والجو يكون حًارا فى ذلك الوقت قبل أن يقطع فتحى ذلك الصمت الذى كان ملازماً لهما : كيف قتلت تلك الأفعى ؟ ألم تشعري بالخوف !!

- لدى عمى الكثير من الأفاعى كل واحدة منهن بنوع مختلف و كنت أساعده فى تربيتها لذلك أستطيع التعامل معها و لكن الأفعى التى رأيتها اليوم كانت مختلفه

- إذا كنتى حًقا لا تخافين منها لماذا صرختى؟

- انا لا استطيع ذبح دجاجه حتى ولم أستخدم سكينا من قبل وهذه السكين لأبى أحملها معى حتى أشعر به بجانبى دائما

- ولكنك طبيبه فكيف تقولين انك لا تستطيعين ذبح دجاجه

-هناك فرق شاسع بين المداوة و القتل بل لا مجال للمقارنه

- أنِت على حق

صحيح انه شعره بالراحه عندما رأى أنها نجت ولكن شعور الغضب وعصبيته تلك كان لها عامل اخر ألا وهو خوفه علي نفسه بعد ما اختبر مشاعر الغيره والسعاده والخوف بوجودها ليجزم على أنها استوطنت قلبه الأمر الذي يجعله في أشد حالات الخوف فهو ليس على استعداد لخوض معركه تكون فيها احتمالات كبيره للخساره

-لم تحدثني عن عائلتك

شعر بالسعاده لأنها اهتمت لأمر يخصه ولكنه أراد أن يخفي لهفته لإخبارها عنهم: وما الذي جاء بأمر العائله الان!

-فكرت أنه يمكننا أن نتحدث قليلا لقطع الوقت

- لدي ثلاث أخوه صباح و عائشه وطه و أبي و أمي ولدي خاله ،ماذا تريدين أن تعرفى ايضا؟

- أريد أن اتعرف عليهم هل هذا ممكن؟

الجمه ما قالته فكيف يمكنه ذلك وعائلته قد تغيرت كثيرا بسبب الاحتلال فهم لن يفهموا أن جانيت ليست سوى باحثه لا تمت للجيش البريطاني بصله أراد أن يخبرها الحقيقه مباشره دون مراوغه: أهلي لن يتقبلوا أن يدخلوا أى اجنبي منزلنا وخصوصا.....

قاطعته : أن يكون تابعا لجيش بريطانيا أليس كذلك ؟

- أجل وأنا احترمك يا جانيت ولا أقلل من شانك بكلامي هذا

- أنا اعلم اقدر الأمر فهذا ما سيحدث لو كنت أنا محلهم وأنا اتمنى حقا أن يبدأوا بالدفاع عن وطنهم فيثوروا ضد هؤلاء البربريين في أى وقت

- أما أنا فلم أعد اهتم للأمر كثيرا.....عندما ولدت كان الانجليز يعيشون معنا وبت أشعر بالياس من مغادرتهم ولكن إن قامت ثورة أو ما شابهها فسوف اتفرج عليهم من بعيد وادعوا لهم بالنصر وربما أشعر بالغبطه و لكنى أجد أمر نصرهم مستبعدا

- ألا تحب التضحيه من أجل وطنك

- دمائي ليست رخيصه لكي اهدرها في اللاشيء فوجهه نظري ان قوتهم تفوقنا كثيرا بل لا يمكن أن تقارن

- ألا ترى أننا كنا نتحدث عن عائلتك وفجأه دخلنا في موضوع الاحتلال ضحك كثيًرا و هو يقول : حقا لقد غلبتني سوف اعرفك على عائشه وستحبينها كثيرا إنها طفلتي الصغيره يفصلنا عشرة أعوام

- - هل يمكن ان تتكرر لي اسمها مره اخرى

- عا.....ئ.....ش.....هـ

- عائشه

استغرب من نطقها للكلمة بشكلٍ صحيح : احسنِت.....لقد نطقت اسمها من أول مره فما الذي يجعلك تنطقين اسمي بشكل خاطئ

- لا اعلم ربما لانني احببت عائشه بحديثك لي عنها أما انت فقد قابلتني بشكل سيء في البدايه لذا نطقت اسمك بشكل خاطئ

ضحك كثيرا على طريقه تفكيرها الغريبه وكيف أنها أنبته على ما حدث فى أول لقاء بينهم ولكن بطريق غير مباشره: أنا آسف حقا..... لقد اعتذرت لك من قبل ولكن يبدو أنك لا تريدين مسامحتى

- استطيع مسامحتك إن اخبرتني بسبب تصرفك معي بهذه الطريقه

- لا أعلم ان كنِت ستفهمينني و لكننى سأخبرك على أية حال..... كنت أريد أن اصرفك بسرعه فلم أرد أن يظن الناس أني اتعامل مع الأجانب بأريحيه ثم إنني لم استطع أن.....

قطع حديثه عندما صرخت فجأة لدي هيجان حصانها رافعا قوائمه الأماميه؛ اقترب منها محاولا الإمساك بلجامه ولكن الحصان كان أسرع منه فاطلق أقدامه للريـح وسار في اتجاه منحرف عن طريقهم لكز حصانه واسرع خلفها مناديا : اهدئي يا جانيت..... امسكي بلجام الحصان جيدا إياكى أن تفلتيه

وصله صوتها الباكي: اوقفه يا فتهي لم أعد استطيع الصمود اكثر

-لا تخافي سوف يهدأ ويقف من تلقاء نفسه

قال تلك الكلمات كى يهدأها ريثما يصل إلى الحصان و ما إن أصبح بموازاته حتى مد يده وفي اللحظه المناسبه حملها الى حصانه و وضعها امامه كان يلهث من فرط المجهود الذي بذله وهو يسألها :هل أنت بخير

كان الصمت هو الإجابة التي حصل عليها فنظر اليها ليجدها قد وضعت يدها على وجهها فأوقف الحصان وانزلها فما لبث أن وصل إليه صوت نشيجها فرحم حالها وتمنى لو ربت على كتفها أو أخذها في حضنه ولكن بأى حق يفعل ذلك فالحب لا يمكن أن يكون مبرراً له أبدا ليفعل ذلك في بعض الكلمات المواسيه وقد رأي أنها بخير فها هي واقفه أمامه على الأقل :هدأى من روعك يا جانيت لقد مضي الأمر
أراد ان يفتح معها موضوعا للحديث كي تهدأ و تتوقف عن البكاء: هل هذه هي أول مره يهيج فيها حصانك

مسحت دموعها و أجابته من بين شهقاتها: لم يكن ابي يسمح لي بإمتطائه لوحدي أبدا

-فهمت..... ولكنك كنت شجاعه كالعاده

- أنت تكذب..... أنا متأكدة أني لم اصرخ هكذا من قبل في حياتي

- أجل أنا متأكد من ذلك..... صوت صراخك كان عاليا درجه أني اشك أنه قد يكون وصل لعائلتك في بريطانيا

ضحكت كثيرا واضعة ظهر يدها على فمها : أنت غير معقول حقا

صفف شعره الى الوراء بكف يده وهو يقول: أنا رائع اعلم ذلك مثقف ووسيم أيضًا و لا تنسى شجاعتى ؛ الفتيات ما إن يرينى حتى يعجبن بى استمرت في الضحك وهي تقول: يا لك من مغرور كنت أشك على الدوام بأن لديك جانب مغرور في داخلك والآن تأكدت من ذلك

-إنه ثقة بالنفس و ليس غرورا يا عزيزتي

تحدثت من بين ضحكتها التي لا تستطيع إيقافها: أرجوك يكفي معدتى بدأت تؤلمني

تحول وجهه الى الجديه وهو يقول: هل تشعرين بأى ألم

-لا لقد انقذتني في الوقت المناسب

- بالتأكيد.....أنا رجل المهمات الصعبه

- حسنا يا رجل المهمات الصعبه هلا نذهب

- لن نعود قبل أن نجد الحصان

- حسنا

أمسك لجام الخيل وطلب منها أن تصعد ولكنها أبت ذلك متعلله بأنها تحتاج إلى استراحه قبل أن تعاود امتطاء الخيل مرة أخرى ؛ فامسك بلجام الحصان يسيره خلفه بينما تسير جانيت بمحاذاته من الناحيه الأخرى

سارا فتره ليست بالقصيره قبل ان يترائى امامهما خيمة يجلس أمامها بضعة أشخاص فشعر بالحيره بين أن يمر بهم فلربما يجد حصانه عندهم أو يتجنبهم خوفا من أن يكونوا أصحاب أذى لتترجم جانيت أفكاره بصوت عال: ماذا سنفعل ؟ هل نذهب و نسألهم ؟

- أظن أننا إن أبدينا لهم مسالمتنا فلن تكون هناك أية مشكله

كان على و أصدقائه يعدون غدائهم حينما لاحظوا شبح شخصين قادمين من بعيد فأمسك حسن بندقيته و ما إن اقتربا حتى وجه لهم فوهة بندقيته : وقفوا عندكم .....إيه إللى جابكم

رفع فتحى ذراعيه بتسليم فقلدته جانيت : إحنا بندور عالحصان بتاعنا شرد مننا من شويه

أنزل بندقيته و قد ارتفع حاجبيه تعجبا: انت مصري

- أيوه من ديروط

-وإيه عملك مع الأجانب قالها وهو يشير إلى جانيت

- هي جت هنا بغرض الزياره والاستكشاف وانا بساعدها بحكم إنى عايش هنا و عارف لغتها

- - اتفضلوا عالغدا معانا

- تسلم يا أخويا احنا لازم نمشي علشان نلحق الحصان

وما إن أدار ظهره إلى الجهه الأخرى ناويا البحث فيها بما أن الحصان لم يمرعلى خيمتهم حتى؛ وصل الى مسامعه صوت مألوف بالنسبه له ينادي باسمه فلم يصدق أذناه بادئ الامر وظن أنه شخص آخر له نفس نبره الصوت ولكنه تفاجئ حينما التفت و وجد صديق غربته في القاهره أمامه فتقدم منه مهرولا بينما الآخر فتح ذراعيه يتلقاه في حضنه: على.....اتوحشتنى يا أخويا ؛ طالما جيت هنا ما سألتش عليا ليه هانت عليك عشرتنا

- يا عم هو أنت داخل فيا شمال كده ليه على طول..... نقعد نشرب قهوه و نرجع أيام زمان وبعدين احكيلك كل حاجه

- ماشى يا عم ومن ثم نظر الى جانيت ليجدها ولا زالت على ذهولها فرحم حالها فلابد أنها خافت عندما رفع أصدقاء على البندقيه في وجههم زد على ذلك حادثة الحصان: أعرفك يا علي هذه جانيت

- -هى باحثه؟

-أيوه عرفت إزاى !

- مفيش حد بيجى الصحرا غيرهم بس باين عليها التعب

-أيوه مرت بكام حدثه كدا ثم ما لبث أن نادى على حسن : جهز الأكل للست جانيت وحطهولها فى الخيمه و روح دورلهم عالحصان

- حاضر يا أخويا

همس لها : اذهبى و اجلسى فى الخيمة يا جانيت سوف يحضرون لك الطعام هناك و يمكنك أن ترتاحى بعضا من الوقت ثم ننطلق

- لا نذهب الآن .....أنا لست مرتاحة لهؤلاء الأشخاص

- ليس كما تظنين.....هؤلاء أصدقائى و حدث سوء تفاهم و حسب

- لو كانوا أصدقائك حقا لما رفعوا فى وجهك السلاح ثم إننا سنتأخر و سيبدأ برنالد بالقلق

- لقد عرضنا عليه المجيئ معنا و لكنه قال أنه يريد النوم و التقصير منه فليتحمل ..... ثم إنك متعبه ثقى بى و افعلى ما أقوله لك و أيضا سوف يبعث على بأحد أصدقائه كى يحضر الحصان فهم خبرة أكثر منى

قرأت فى عينيه خوفه عليها فآثرت التوجه إلى الخيمة ويكفيها اعتراضاً إلى هذا الحد؛ تحدث فى نفسه متنهدا : أشعر و كأنى أتحدث مع أولاد أختى صباح و ليس مع امرأة ناضجه و لكنه لا ينكر أنه يحب معاندتها له ، جلس هو و صديقه على بساطين متواجهين و قد اضرمت نار صغيره بينهما وضعت عليها كنكة القهوه حيث ظلوا يتذكرون الأيام الخوالى عندما كانا يجلسان على مقاهى القاهره يتسامران جزءا من الليل أو ربما يذهبان إلى الجيزه لرؤية الأهرامات و

السير فى شارع الهرم أو إلى كورنيش النيل أو إلى المسرح ربما قليلا و كل ذلك عندما يكونان متفرغان فعمل على كجندى فى الجيش و دراسة فتحى و عمله بجانب دراسته يجعل اجتماعهما معا أمرا صعبا و مع ذلك لم يكونا ليدخران جهدا كى يتقابلا و حتى فى الأوقات التى لا يتثنى لهم الإجتماع يتبادلون الرسائل فيما بينهم فكان كل منهما أنيس الآخر فى غربته

تناول فنجان القهوة من يده و هو يقول : قولنا بقى إيه إللى رماك وسط لصحرا و من ثم تابع بنبره ساخره : و لا القائد بتاعك بعتك فى مهمه خاصه

- أنا أصلا سبت الجيش بقالى خمس سنين

شعر بالتعجب فقد أخبره على من قبل أن الجيش كان حلمه منذ أن كان صغيرا : إيه إللى حصل و خلاك تسيبه

- و الله الواحد زهق منه و من معاملة الضباط الأجانب الزفت لينا أو من المصريين إللى طول عمرهم متربيين فى النعيم و عمرهم ما حطوا نفسهم مكان الجنود و غير كده واقفين مكانا محلِك سر مفيش ترقيات و لا حاجه فقولت أرجع بلدى

- انت بتقول بقالك خمس سنين هنا.....يعنى راجع بعدى بسنه

- أيوه والله سارح فى الصحرا من ساعتها

- مش هتضحك علي بالكلمتين دول يا على أنا عارف إنك مستحيل تقعد كده من غير ما تعمل حاجه؛ كنت بتعمل إيه الفتره دى كلها و ما فكرتش ليه ترجع القاهره

- الحقيقه أنا لما جيت هنا كنت ناوى أزور قبر أمى و أرجع القاهره أدورلى على أى شغلانه بس لما لقيت الناس بتعانى و خصوصًا الفلاحين إللى هما يعتبروا تلتين الناس إللى عايشه هنا تعبانين و بيلاقوا لقمتهم بالعافيه والإستغلال إللى بيشوفوه من الإقطاعيين و المسئولين الأجانب قررت إنى أعمل أى حاجه علشان أساعدهم حتى لو كانت المساعده بسيطه و فعلا روحت اتكلمت مع العمده

-عمدة ديروط

- أيوه و وافق على فكرتى إنى أوزع معونات على الناس

- غريب إنه يوافق يساعد الناس و هو بياخد ضرايب منهم و غير كده بينفذ أوامر الإنجليز بحذافيرها

- أنا أقنعته إنه لما يساعد الناس من غير ما يعرف الإنجليز هيكسب الطرفين بحيث الناس تفضل تحت جناحه الموضوع مش فعال قوى بس أفضل من إحنا نقعد و نحط إيدنا على خدنا ومن ثم أشار إلى اصدقائه وقد كانوا منشغلين بطبخ الطعام ودول الشباب أصحابي بيساعدوني حسن اللي بيقلب في الاكل ده هو من قبيله امي و صاحب عمري واللي ماسك السلاح بينضفه ده ياسين من ديروط بس طفشان منها و حسان التالت بس هو فى القبيله دلوقتى لما بنحتاجه بنبعتله مرسال و هو متخصص أعشاب بيعرف يعالج بيها

- انتم بس ما حدش بيساعدكم في شغلكم

- احنا بنوزع في ديروط و اتكلمنا مع شباب تاني وعرضنا عليهم و دلوقتي بيوزعوا في مراكزهم وبنتابعهم من وقت للتاني و في بنت شجاعه بتساعدنا من وقت للتاني علشان حظر التجوال فالتوزيع بيتم في النهار

- - طيب واهل البنت دي موافقين

- لا ما يعرفوش ولا ايه لازمه ان الموضوع يكون سري

- غريب إن في بنات في الزمن ده تكون بالعقليه دي

- لا هي بنت اصيله وشجاعه و بتساعد أى حد تقابله من غير مقابل و من غير أى خوف من العواقب

- شكلك كده معجب بيها يا أبو علي

-هي في الحقيقه تستاهل إن أى شخص يصادفها يعجب بيها

-عندك حق..... بس المجتمع بتاعنا ميقبلش إن أى ست تكون بالجرأه دى

-بس يقبلوا العوالم وبيوت الدعاره عادي

-انت عارف ان الكلام ده في القاهره يا فتحى.... ما عندناش هنا الكلام ده

-يا عمي في القاهره ولا هنا الست بتتحاسب على كل حركه بتعملها ودائما الراجل هو اللي صح في كل حاجه

-عالم جاهله يا اخي إلا قولى صحيح انت ما فكرتش تيجي تسأل على في ديروط ليه بما إنك موجود هنا من بدري وغير كده رسايلك ما اتقطعتش عنى

-كنت بابعتها بطرقى الخاصه.....وغير كده أنا ما قولتلكش إن على تار قبل كده والناس أصحابه عايشين في ديروط فما كنتش بروح هناك غير في الحالات الطارئه بس زي الأوقات اللي بقابل فيها العمده وكنت باقول على روحى يا رحمان يا رحيم لما بقابل برعي

-اوعى تقول ان الفتوه برعي هو صاحب التار

-هو بعينه..... ابوي زمان كان طايش اتخانق هو واخو إللى ما يتسمى برعى وموتوا بالغلط و بعدين أبوى مات بأزمه بعد اللى حصل بأيام فمعرفش برعى ياخد بتاره منه وامي من ساعتها بعتتني على القاهره لما سمعت إن برعي ناوي ياخد تاره كان عمري ساعتها قول سبعتاشر سنه وبعدين اضطريت أدخل الجيش عشان أوفر مصاريف للعيش ليا و كنت حاطط أمل إنى اترقى بس ده ما حصلش

- بس ما اعتقدش إن برعى لسه فاكر شكلك

-فاكر لما أمى ماتت و نزلت من القاهره علشان أحضر الجنازه اتفاجئت بيه هناك و عرفنى فى ساعتها و قالها فى وشى إوعى تكون فاكر إنك فلت أنا ساكت النهارده احتراما للجنازه بس هيكون لينا حساب بعدين و أنا متأكد إن الراجل التعلب ده مستحيل ينسى شكلى

-ربنا يعينك يا على قال تلك الكلمات و هو يضربه على ذراعه المصابه وعندما رأى على وجهه علامات تألمه: في إيه يا على دراعك بيوجعك وعندما وجد صمته ورغبته في عدم الحديث فهو يعلمه دائما كتوما بشان نفسه ولكن من حقه أيضا ان يطمئن على صديقه : اتكلم و إلا يمين بالله امشى و ما اتغداش معاك

تحدث بضيق : أخدت رصاصه في دراعي من يجي اسبوعين

- من الجنود

- ايوه بس الحمد لله ربنا سترها و فلت منهم

-الحمد لله

تحول وجه على إلى العبث ومال إلى فتحي يهمس بالقرب من اذنه: بس إيه حكايه الخواجايه دي شكلك معجب بيها تفاجئ من تصريح علي فهل يظهرعليه

حقا ما يشعر به أم أن على يلحظ أكثر من غيره لأنه صديقه تحول إلى الإنكار : إيه الكلام اللي بتقوله ده يا علي ده شغل وهخلصه

- انت بتقول كده بس عينك إللى ما تشالتش من على الخيمه و تصرفاتك بتقول حاجه تاني خالص

لاذ بالصمت وقد شعر أنه حوصر في الزاوية فأراد على أن يغيظه : مش هتقولنا الفرح إمتى

- فى إيه يا على ما تروح تجيب المأذون أحسن

- خلاص يا عمى فتحى بضحك معاك..... ربنا يعينك يا صاحبي على الإبتلاء ده

-لما نرجع إن شاء الله اعتذر منها و كل واحد يروح لحاله ابتسم على بظفر :

يعنى بتعترف إنك بتحبها

نفذ صبر فتحي وقد شعر بأن على يحقق معه فأراد ان ينهي هذا الحديث الذي اصبح سخيفا بالنسبه له

: أيوه باحبها يا علي والحب ده غلط في غلط كانت غفله منى

ساد الصمت بينهما فلم يعد هناك ما يقال ومن ثم ودعهم على أمل اللقاء مره اخرى

جلس جاد على الطبلية ووضعت بهيه أمامه أطباق الخيار والطماطم والبيض المقلي وهي تنادي على ابنها: تعال يا طه كل لقمه يا ابني

-حاضر يا امه أنا جاي أهو

نظر إليه جاد و قد رفع حاجبيه متعجبا و هو ينزل من أعلى : جاى من امتى

- لسه جاى من شويه

- إيه أخبار الشغل معاك

شعر بالدهشة لأنه تحدث إليه بل و يسأله عن حاله أيضا: الحمد لله

- قالولى إن صاحبك فرغلى هربان من البلد عشان قضية قتل

-امسك بخياره يتناولها إظهارا لعدم مبالاته وهو يحدث نفسه : يا لك من خبيث لم تسألني عن حالي إلا لتفتح تحقيقا معي :مش عارف أنا قطعت صلتى بيه من وقت طويل

-يعني مش عارف هو قتل مين

- بيقولوا قتل واحد صاحبه

- أمال فتحي فين مش عوايده يتأخر

كانت بهيه واقفة بجانبهم إلى أن ينتهوا من طعامهم فهذه هي العادات عندهم فلا تجلس المرأه مع الرجال وتظل واقفة بجانبهم إلى أن ينتهوا ثم تتناول طعامها في وقت لاحق أجابته : ده بقاله اسبوعين فى الصحرا و أنا قلقانه عليه

- بيعمل إيه و إزاى ما يجيش يستأذن منى

- مع الخواجيه هيفرجها قال على الصحرا وبعدين الاستئذان منك يا أخويا وعدمه واحد طالما الانجليز جبرينه على الشغلانه المهببه دي ؛ عقد حاجبيه و هو يحاول أن يتذكر متى رأى فتحي آخر مره بعد أن حادثه عن أمر عائشه ولكن لم يستطع وشعر بالدهشه أنه لم يلحظ غيابه كل هذه المده فيبدو أن الأيام اصبحت تمر عليه دون شعور منه التفت إلى طه بعد أن تذكر أن عائشه لا تزال في بيت خالتها :روح هات أختك المضروبه اللي شكلها مش ناويه تيجي من عند خالتها

نهض من على الطبليه وهو يكتم غيظه كي لا يخطئ معه فقد يقول كلاما سيئا عليه من خلفه ولكنه لا يستطيع أن يقلل من احترامه فمهابة الوالد متغلغلة في قلبه ولكنه اضمر في نفسه أنه لن يتركه يضرب عائشه مرة أخرى حتى ولو كلفه ذلك الوقوف في وجهه ؛ وصل إلى بيت خالته ليجد الباب مفتوحا و لا أثر لها أو لعائشه فذهب إلى الجيران يعلم منهم ما حدث : يا خالتي فتحيه هو فين عاشه و خالتى

- ما تعرفش باللي حصل يا ضنايا..... العساكر أخدوا اختك النهارده الضهر

و خالتك راحت وراها عشان تحاول تخرجها

- إزاي يعني حصل كده.... انت خرفتى يا وليه

- خرفت إيه يا ابني هو ده اللي حصل البلد كليتها ما ورهاش غير السيره دي ؛ توجه إلى قسم الشرطه وهو يضرب اخماسا في أسداس فما الذي فعلته عائشه كي يأخذوها وكيف مضي كل هذا الوقت من الظهر إلى المغرب ؛ ولم يسمع بالأمر فتذكر أن أحد معارفه ناداه وهو عائد الى البيت ولكنه لم يعره اهتماما هل كان سيخبره بأمر اخته يا ترى ؟ووالده اليوم أيضا لم يخرج من البيت ترائى له من بعيد خالته جالسه على الأرض بجانب مبنى المخفر فتوجه إليها بسرعه: إيه اللي حصل يا خالتي

- ما اعرفش يا ابني..... اللي يقطعهم حكيم خدوها من غير ما يعرفوها هي عملت ايه و أنا قعدت اتحايل على الضابط يدخلني ليها أو يقولى هما حبسينها لي مخدتش منه عقاد نافع زمان سيرتها دلوك في البلد على كل لسان

-اهدى يا خالتي أنا هدخل و ربنا يسهل

سأل عن الضابط سعد وكان على علاقة جيدة مع أخيه ولحسن حظه كان ما يزال في القسم فألقى عليه التحيه :أنا اخو الأستاذ فتحي و جيت اسال عن اختي إللى أخدوها انهارده

- أنا عارف إن أختك عائشه جت النهارده هما دلوقتى حطينها فى زنزانه إنفرادى ما سمحتلهمش يحطوها مع الولايا التانيين

- يعنى هيا بخير

- أيوه ما تخافش أنا ضمنت إن ما حدش يهينها و لا يأذيها بأى كلمه

-طب وهي محبوسه ليه دلوك

-أنا زيي زيك وما فيش حد هنا يعرف هي محبوسه ليه بالضبط غير إن جالنا أوامر بالقبض عليها من المعسكر الاإنجليزي وبيقولوا التهمه إنها بتساعد ناس خارجين عن القانون

- بس دي اختي عمرها ما تعمل كده يا حضره الضابط دي ست في النهايه هتساعد خارجين عن القانون إزاي.....إيه الكلام الماسخ ده

- أنا قلت لك ما اعرفش حاجه والمفتش هيحقق معاها بعد شويه و قائد المعسكر هيجي بنفسه يحضر التحقيق أنا مش في إيدي حاجه اعملهالها غير إني احاول بقدر الامكان إن ما حدش يأذيها

سقط قلبه في قدميه وقد أدرك من كلام الضابط أن الأمر جدي فوق تصوره ولا مناص من التخلص منه سوي بمعجزه ؛ تمنى لو كان فتحي هنا فهو بالتأكيد كان سيجد حلا لهذا الأمر ولا يعرف حتى متى سيعود ولا يمكنه البحث عنه في هذه الصحراء الشاسعه ؛ امسك بيد خالته يعيدها الى منزلها على رغم منها وقد كانت تريد المبيت بجانب القسم لولا إصراره عليها أن تعود ؛ و قد طمأنها أن عائشه ستعود قريبا وأنها بخير ؛ وكان يريد كثيرا أن يراها ليطمئن عليها ولو قليلا ولكن الضابط أخبره أن الزياره ممنوعه فخاب أمله في رؤيتها وما يهون عليه هو وجود صديق شقيقه الذي وعده أنها ستكون بخير؛ و كما توقع هاج والده عندما علم بالأمر وأخذ يسب فيها ويترحم على تربيته وأما والدته فقد اعلنت أنها لم تكن لها ابنه بهذا الاسم والحقيقه أنه لم يتوقع ردة فعل امه ؛ ولكنه لم يفاجئ بها كثيرا فامه لم تكن أبداً لتضع المشاعر في خانة اهتماماتها وكأنها تخبرهم أنهم مجرد تماثيل من شمع فعلى الرغم من اهتمامها بملبسهم ومأكلهم ، إلا أنها غفلت جانبا مهما من دورها فلم تمنحهم الحنان والعطف والاهتمام أو أى من تلك المشاعر التي تزخر بها وظيفه الأمومه ولكنها تبقى الام التي انجبتهم وتعبت معهم في بدايه حياتهم ليتمكنوا من شق طريقهم ، وقد اصاب والده في تلك الليله أزمه في تنفسه واحضروا له جارهم وكان قد عمل دهرا من الزمن مع الحكماء فاسعفه وساعده على تجاوز الأزمه ونصحه بعدم مزاوله التدخين أو التعرض للانفعالات ،شعر طه بالقلق في تلك الليله ينهش قلبه وهو يرى والده يتلوى أمامه وأحس وكأن الموت يحاصرهم من كل ناحيه

32

بعد يومين عاد فتحي برفقة جانيت والجندى و أوصلها الى منزلها قبل أن يتجه إلى بيته وقد جاء في نفسه أن يذهب إلى بيت خالته، كي يطمئن عليها وربما يجد عائشه عندها فيأخذها معه في طريقه؛ وكان الوقت ظهرا حيث الشمس في كبد السماء فتفرغ الشوارع في هذا الوقت؛ ويأوى الناس إلى منازلهم هربا من حراره الشمس ؛دق الباب باستخدام حلقته المعدنيه الموجوده عليه ليأتيه صوتها من الداخل وهي تستعلم عن الطارق فابتسم ابتسامه المشتاق وقد شعر بأنه لم يرها منذ سنوات وليس منذ اسبوعين و كان معتادا على زيارتها مرتين في الاسبوع يسأل عن حالها وينال دعواتها ونصائحها ؛ برزت له من خلف الباب وهي تقول :مين انت عماله اقول مين من جوه

-حبيت اعملها لك مفاجأه يا خالتي

رفعت رأسها الى الاعلى بعد أن كانت تنظر إلى الأرض لتجده فتحي فارتمت في أحضانه تبكي وكأنها عادت بالزمن ثلاثين أو أربعين سنه إلى الوراء ؛ فاستحالت فتاه فى العشرينيات من عمرها ترتمى فى حضن حبيبها ؛ تفاجئ حقا من ردت فعلها فما لبث أن طوقها بذراعه وهو يدخل بها الى داخل البيت: بتعيطي ليه يا خالتي ومن ثم شعر بنخذة في قلبه و بدأت الافكارالسيئه تطرح في عقله واحده تلو الاخرى و بدأت تظهر صور والديه واخوته واحدا تلو الآخر؛ فهل يمكن أن تبكي امرأة في الستين من عمرها دون أن يكون هناك أمر جلل قد حدث ولا يعلم كيف خرج هذا السؤال من فمه : حد جراله حاجه

- عايشه يا ابني

اترتخت يداه بجانبه و تراجع الى الخلف حيث الدكه الموضوعه في الفناء يجلس عليها فلم تعد قواه كافيه لتمكنه من الوقوف على قدميه ؛ و لم يستطع أن يستفسر منها أكثر وشعر أن لسانه قد تيبس أو أنه قد نسي كيف تنطق الحروف، يبحث بعينيه عنها في أركان المنزل ويبدو أن خالته رحمت حاله فأجابت السؤال الذي تنطق به عينيه الزائغتين :العساكر جم خدوها يا ابني و بيقولوا إنها بتساعد الفدائيين و سيرتها على كل لسان فى البلد

توقع كل شيئ إلا أن تكون الشرطة قد قبضت عليها كيف و لماذا؟ و السبب أغرب من الحدث نفسه و شعر لوهلة أن خالته تحكى له عن أحداث رواية بوليسيه و ما إن أظهر تعجبه من الأمر برمته لخالته حتى أجابته : أنا ماخبراش يا ولدى.....عقلى هيطير منى بس طه قالى إن فى واحد صاحبك هناك هيخلى باله منها

تذكر صديقه سعد و شعر بالامتنان له فلطالما كان شهما معه ورأى من الأفضل أن يذهب ويطمئن عليها بنفسه : خلاص يا خالتي أنا هروح اشوف الوضع وما تخافيش أكيد الموضوع فيه سوء تفاهم إحنا عارفين عائشه لا يمكن تعمل حاجه زى كده دى بتخاف من ضراها ضحكت كثيرا على قوله و شعر بالسعاده أنه تمكن من طمأنتها33

جلست علي أرضيه الزنزانة البارده وقد ضمت قدميها بيديها تتصاعد إلى أنفها بين الفينه والأخرى روائح كريهه تنبئ عن أن الزنزانة مليئة بالكائنات الميته؛ لا نافذه أو شيئ يطل على العالم الخارجى فلا تستطيع تبين ليل من نهار سوى من حركة العساكر فى خارج الباب الحديدى المغلق للزنزانه فكرت كثيرا طوال الثلاث

أو أربعة أيام الماضيه لا تعلم عددها بالضبط وحاولت تخمين ردة فعلهم فى المنزل كيف ستكون ؟ و لكن لم يكن أى من تلك التخمينات مبشرا لها

والسؤال الذي يحيرها أكثر هو عدم مجيء أحد لرؤيتها هل يكونوا حقا قد منعوهم من الزياره كما فعل مع خالتها عندما أرادت دخول القسم معها في ذلك اليوم الذي أخذت فيه و إلى متى ستظل على هذا الحال، و من ثم مرت بفكرها المشعوذة نبويه فأخذت تلعن فيها فى سرها فلا بد أنها هى من وشت بها و توعدت لها فى داخلها فستأخذ ثأرها منها ما إن تخرج ؛ انتبهت على صوت مزلاج الباب و هو يفتح فوضعت برقعها على وجهها و ما إن فُتح حتى تسرب ضوء إلى عينيها وكانت اجفانها قد تعودت على الظلام فشعرت بصعوبة تمييز الداخل و سرعان ما شعرت بالفزع حينما سمعت صوت إغلاق الباب و أصبحت معه فى الغرفة وحدها و لكنها عادت و سخرت من نفسها فهو سيفعل بها ما يحلو له سواء أكان الباب مغلقا أم مفتوحا و تراجعت إلى ركن قصي من الزنزانه كي تكون بعيده عنه بقدر الإمكان فتناهى إلى مسامعها صوت ضحكاته : هتهرب منى فين

علمت أنه ضابط انجليزي من طريقه حديثه الركيكه وشعرت أن أجلها قد دنا فلو كان ضابطا مصريا لكان لها فرصة في النجاه ؛ ولكن ان يكون من الاحتلال فالعفو عنها و تركها و شأنها بعيد بعد السماء عن الأرض ؛ وقد ذهبت بذهنها الى قصص فتحي التي كان يحكي لها فيها عن أهل دنشواي وما تعرضوا له من التنكيل فتخيلت نفسها معلقه فى حبال المشنقه و أحست بأن روحها تسحب منها ببطء فلم تكن تتخيل ولو في أسوء كوابيسها أن تكون هذه نهايتها ولكنها عادت وذكرت نفسها أنها منذ أن قررت مساعدة على وهي تعلم جيدا أنها تقف أمام وحوش لا ترحم فلتتحمل ما سيحدث ولم ولن تشعر بالندم على أى شيء فعلته ولتكن روحها حره أو لتصعد إلى السماء

اقترب منها بسرعة البرق و أزال لثامها فزعقت و أخفت وجهها بيديها ليضحك ساخًرا من ردة فعلها : -إنت حلوه عائشه.....حاطه ده على وشك ليه

أظلمت عينيها عندما سمعت تلك الكلمات و لوحت له بسبابتها : إياك تقرب منى

فواصل ضحكه و من ثم أمسك وجهها بقبضته يعتصره و جز على أسنانه :إنت حشره عائشه.....و أنا مش ببص لحشرات

لم تجبه و قد بدأت بالبكاء فأمسكها من معصمها يعتصره بيده : فين الهارب إللى ساعدتيه

_ ما ساعدتش حد..... ما اعرفش حاجه ومن ثم جثت على ركبتيها وهي تحاول استعطافه: الله يكرمك يا بيه سيبني امشي أهلي مش هيرحموني لوفضلت هنا..... انا بريئه اللي قال على الكلام ده أكيد بيتبلى عليا

شعر بالغضب لانكارها فكان يظن أن حربه النفسيه سوف تخضعها وتجعلها تعترف ولكن يبدو أنها متمسكة بالبقاء على قيد الحياه ؛ صرخ فيها عندما رآها مستمره في التوسل ولا تريد أو تنوى التوقف : سكوت

و من ثم نادى على الجلاد الذى كان رابضًا فى الخارج منتظرا إشارة منه والذى بدأ بجلدها فى مناحى كثيره من جسدها و هى معتصمه بصمتها فقد كانت تفضل أن تقطع قطعه قطعه و لا يصل صوت صراخها إلى خارج الزنزانه أو حتى إلى ذلك الضابط اللعين و الذى يبدو أنه يستمتع بمشاهدتها و هى تتألم و لم تعلم كم عدد الجلدات التى أخذتها فقد توقفت عن العد بعد العاشره و لم تعد تشعر بشيئ حولها سوى ذلك الألم الذى يقطع أوصالها وبات حديث الضابط معها مجرد أصوات غريبه تسمعها دون أن تعى شيئا منها: إلى أن غاب عقلها و تعبت عيناها فأغمضتهما على رغمٍ منها 34

نظر إلى مشربيه منزلها يحاول أن يتبين إن كانت واقفه فيها أم لا ولكن خصاصها كانت مغلقه فشعر بخيبة الأمل فأن تشير له وتدعوه إلى بيتها أفضل من أن يفعلها هو ولكن لن يعود أدراجه قبل أن يراها فهو احوج ما يكون الآن إلى أحد يشد على أزره وخصوصا إن كانت هي ؛ فتحت له الباب امرأة عجوزه ترتدي فستانا يصل إلى أسفل ركبتيها فخمن أنها مربيتها التي حدثته عنها: هل السيده جانيت هنا

-نعم يا سيدي من اقول لها

- فتحى

- هل أنت مرشدها

- نعم

استبشرت المرأة وانبسطت أساريرها فتعجب لذلك: لقد حدثتنى جانيت عنك كثيرا وأنا احببتك من خلال حديثها

كان ليشعر بالفرح لو كان ذلك الكلام قد قيل له في وقت الصفوه ولكن الآن هيهات أن يسمح لذرة فرح بأن تدخل قلبه قبل أن تخرج حبيبته واخته عائشه من ما هي فيه أجابها مجامله: سررت بلقائك سيدتي

-تفضل معي إنها جالسة في الأعلى فتناهى إلى مسامعه وهو صاعد على الدرج صوتها : من الذي جاء يا مربيتي ولم تكمل كلمتها عندما رأت فتحي واقفا أمامها وقد كانت جالسة على كرسي في صالون متسع وبيدها فنجان من القهوه وقد وضعت أمامها مجموعة من الأوراق وضعت الفنجان على الخوان بجانبها و نهضت مقتربه منه و علامات التعجب مرتسمة على وجهها :ماذا هناك يا فتحي؟

كان متأكداً جدا من أن تكون هذه رده فعلها فهو قد ودعها في الصباح علاوة على أنه لم يسبق أن دخل منزلها من قبل رغم أنها دعته لشرب الشاي مرات عديده ولكنه كان يتعذر دائما بأعماله ؛ رسم ابتسامة مصطنعه على وجهه : تذكرت أنك دعوتني لشرب الشاي من قبل وقد كنت متفرغا هذه الساعه فرأيت أن ألبى دعوتك

لم تقتنع بكلامه و هى متيقنة بأن هناك أمر جلل و لكنها جارته حتى ترى نهاية هذا الوضع الغريب : بالتأكيد و أشارت إلى الكراسى المتراصه بجانب بعضها يتوسطها أريكه : تفضل بالجلوس واعذرني على فظاظتى فقد غلب على الخوف من أن يكون شيئا ما قد حدث

نظرت إلى تعبيرات وجهه كي ترى تأثير كلامها عليه فلم ترى سوى الجمود فابتسمت محاوله تبديد هذا الجو الذى شعرت بأن الكهرباء تسرى فيه :سوف أحضر لك قهوه فقد نفذ الشاي من عندي
ابتسم بفتور على عكس ما توقعت: يمكنني شرب أي شيء حتى لو أحضرت لى كوباً من الجاز

جلست بجانبه على الأريكه : ما الذي يضايقك يا فتحي هلا اخبرتنى وضع يديه

على وجهه وبدأ بالنشيج وكتفاه تهتزان مع كل أنةٍ تخرج منه

اقتربت منه تربت على كتفه فلم يحاول أن يمنعها فقد كان محتاجا لأى نوع من المواساه فعائشة كانت مسؤليته كيف تركها إلى أن وصل بها الأمر إلى السجن ؛ كان يعلم أن لديها طبيعة معانده ولكن ليس لدرجه الاشتباك مع العساكر...؛ صوتها و هى تهدأه و تخبره بأن الأمر مهما كان صعبا فسوف يحل حتما كان يخفف عنه نوعا ما ؛ استمر على هذه الحال قرابة العشر دقائق قبل أن تجف دموعه ولا يجد ما يزرفه ؛ ناولته كوب ماء كانت قد احضرته المربيه بجانب القهوه فشربه دفعه واحده وطلب منها ان ترشده إلى الحمام ؛ غسل وجهه يحاول إزالة آثار البكاء و أخذ ينظر إلى عينيه المحمرتان فى المرآه ؛ فأحس بالخجل لأنه بكا أمامها ولكن سرعان ما أزال هذا الخاطر من عقله فمن قال أن

البكاء عيب على الرجال و كأنه فعل قبيح إنه لا يعدو في قاموسه سوى أن يكون تعبيرا عن ما تجيش به النفس من أحزان ولكن ظلال المجتمع الذي يعيش فيه تجبره على التفكير احيانا بشكل سلبي، جلس مع جانيت وحدثها عن كل شيء فلم يكن يريد أن يتركها فى حيرة من أمرها وبعد أن انهي فنجان القهوه التي احضرته له و أصرت عليه أن ينهيه ،وقف في المشربية ينظر الى الطريق بين ما هي جالسه على أريكه موضوعه داخل المشربيه تصلح عقدها الذي انقطع وتناثرت حباته : ولكن ألا تعلم هويه الشخص الذي ساعدته

-لا اخبرنى الضابط أنها عالجت رجلا أصيب برصاص أحد الجنود و أخفت عن العساكر أمر التجائه إلى منزل خالتى

- ولكن هذا الشخص لا يبدو خطيرا فقد كان سائرا في الشارع في أوقات الحظر

- اخبرنى الضابط أنه قتل اثنين من الجنود

- هل هذا مزاح؟ لا بد أن هذا الرجل لديه خبرة فى السلاح و إلا لما استطاع النجاح فى قتل رجلين دفعة واحده

- و كأن كلمات جانيت نبهت فتحى إلى ما كان غافلاً عنه فربط بين ما حدث و إصابة على و قصته في أن هناك فتاه في المدينة ساعدتهم شعر بالغباء لأنه لم يدرك الأمر من أول وهله إذا فعلي صديقه المقرب هو من اقحم اخته في كل هذه المصائب و عند وصوله بالتفكير إلى هذه النقطه خرجت عيناه من محجريهما وشعر بأنه طعن فى ظهره من أقرب الناس إليه ؛ أسرع إلى أسفل تلحقه جانيت و هى تحاول إيقافه : انتظر يا فتحى إلى أين أنت ذاهب و حينما لم تجد ردا سبقته إلى باب المنزل تقف أمامه فاردة ذراعيها :لن تذهب قبل ان تخبرني ما تريد فعله

- هناك حساب يجب على تصفيته

- هل هو مع الجنود؟

- لا مع أحد اصدقائي

تنحت له ليعبر من الباب وقد مدت له مفتاحا وهي تقول خذ الترومبيل سوف تتمكن من الذهاب والعوده أسرع

هم بأخذ المفتاح من يدها فأمسكت بقبضة يده و هى تقول : ارجوك لا تفعل شيئا تندم عليه لاحقا

نفض يده متجاهلا كلامها فوضعت يدها على الصليب المعلق فى رقبتها وهى ترجو أن يعود دون أن يزيد الوضع تعقيدا

كان هناك غشاوة على عينيه وهو يقود السياره لا يعلم كيف تتمكن من الوصول إلى خيمتهم ولا يهتم المهم أن ياخذ بثأر اخته المرميه في السجن وهو جالس هنا يحتسي القهوه مع اصدقائه ليقترب منهم دون ان يلقي السلام فنهض على وقد كان ينظف مسدسا في يده: فى إيه يا فتحى ما فيش سلاموعليكم ده اللي بيدخل على الناس القبور بيسلم عليهم

عاجله فتحي بلكمة في انفه و هو يهتف : هاسلم عليك إن شاء الله لما أوديك القبر

ذهل حسن وياسين من ذلك الهجوم الغير متوقع فتناول ياسين بندقيته ووجه فوهتها ناحيته :وقف مكانك يا فتحي

ولكن على أوقفه بإشارة من يده: نزل سلاحك يا ياسين و من ثم نهض وهو يبصق الدماء التي خرجت من فمه على الأرض ومسح الدماء التي وصلت إلى وجهه بكم جلابيته ومن ثم تابع حديثه : فتحي صاحبي وما حدش يقوله تلت التلاته كام في وجودي

اقترب منه مسددا له عدة لكمات: صاحبك يا ريتك كنت احترمت الصحوبيه دى يا أخى وما لبث أن تقهقر على و سقط على الأرض فقد كان جسد على هزيلاً مقارنة بجسد فتحي الضخم علاوه على عدم مقاومته ؛ استلقى عليه يكيل له اللكمات وهو يتابع : اختي مرميه في السجن زي ما يكون عامله جريمه وانت اللى مفروض تكون بدالها

امسك حسن وياسين بذراعي فتحي كل من ناحيه يرفعانه من فوق على وقد رحما حاله بعد أن سمعا سبب غضبه ؛ قاومهما ولكن قواه كانت خائره فلم يستطع الافلات منهما ليتفل على وجه على قبل أن ينهض ويقف جانبا متابعا حديثه :أنا كنت فاكرك صاحبي لكن أنت طعنتنى و أذتني في شرفي يا خسيس ثم ضحك : وأنا قال كنت مطاوعك لما حكيت لي عنها أتاريها اختي يا ناس لعب بعقل أختى ودلوقتى ما بقيش فيه فاصل بينها وبين حبل المشنقه

خرج صوت على متحشرجا وهو يلهث من فرط الإجهاد : أنا مستعد أروح اسلم نفسي وأقول إني معرفهاش

- فكرك هيصدقوك ده هيكون أكبر دليل ليهم إنها شريكتك.....يقتل القتيل و يمشى فى جنازته

و فى تلك الأثناء كان يحاول الوقوف على قدميه و لكنه لم يستطع فنظرإليه بسخريه : أصلا الضرب فى الميت حرام ..... اوعاك تفكر إن شوية الفتافيت إللى بتوزعهم على الناس هتغير حاجه لو عملت كده يبا أنت عايش فى الوهم و للأسف خليت أختى تعيش فى الوهم زيك و الله أعلم إيه الكلام إللى سممت مخها بيه

- استنى يا فتحى انت اتكلمت بس ما سمعتنيش

- هو انت لسه عاوز تبرر ده أنت طلعت بجح قوى يا راجل .....و أنا بقى مش عايز اسمع منك حاجه تانى و مش عايزه أعرفك تانى ده انت تحمد ربنا إنى سيبتك حى ؛ أخذ السيارة و ذهب بها إلى القرافة و هناك وقف على قبر جدته يدعو لها بالرحمه و من ثم أخذ يحدثها و لا يعلم إن كانت تسمعه أو لا : وحشتينى يا ستى فين أيامك لما كنتى بتلمينا حواليكى و تحكيلنا حكياتك كنا ساعتها صغيرين لا عارفين احتلال و لا حرب و لا كلام من ده كله كانت نفوسنا صافيه و لا فى أى حاجه مكدرانا ؛ أنا جيت انهارده علشان أقولك إن شبيهتك و سميتك عاشه بين الحيا و الموت ما عرفينش نتصرف إزاى ؛ استمر على هذه الحال من الشكوى بعضا من الوقت قبل أن يناله التعب فنظر حوله ليجد أحدهم يسقى بعض النباتات المزروعة هنا فطلب منه بعض الماء يتوضأ به و وقف يصلى و قد رأى أن جميع السبل مغلقة فى وجهه إلا سبيل خالقه و أخذ يتضرع إلى الله كثًيرا أن يرد إليه أخته و ينقذها من ما هى فيه و لم يشعر بالوقت إلا عندما وجد السماء قد أظلمت فقرر أن يعود على الرغم من رغبته فى المبيت عند قبر جدته هذه الليله و لكنه فضل أن يعود كى لا تقلق عليه جانيت و ربما تبعث قوة عسكريه للبحث عنه إنها مجنونه و يتوقع منها أى شيئ توقف بالسياره أمام منزلها و قد نوى أن يذهب إلى البيت عندما رأى خصاص المشربية مغلقه ودون أن يطرق عليها الباب فقد تكون نائمة الآن و حتى لو كانت مستيقظه فستطمئن عندما ترى السيارة أمام الباب ولكن ما إن هم بالذهاب حتى فتح الباب وخرج منه رجل اجنبى يمسك حقيبه سوداء في يده ففهم انه طبيب ولكن من المريض هل هي جانيت؟ لقد كانت بخير قبل ان يذهب إذا ما الذي حدث؟ اقترب من المربية التي خرجت مع الطبيب تودع فأتاه صوت الطبيب وهو يتحدث إلى المربيه : لا تقلقوا سوف تستعيد عافيتها خلال اسبوع على الأكثر

اقترب من المربيه وهو يحدث نفسه هذا ما ينقصني أن تمرض جانيت هى الاخرى: ما بها السيده جانيت

- إنها تنتظرك فى الأعلى

لم يفهم شيئا من ما قالت و لكنه صعد إلى الأعلى ليجد الصالون الذى استقبلته فيه فارغا فنادى عليها : هل أنت هنا جانيت ؛ جاءه صوتها من غرفة جانبيه فشعر بالتوجس من أن يكون حدث لها مكروه ولكن المفاجأه كانت أكبر من تخمينه حيث وجد أخته عائشه مجثاه على الفراش الذى يتوسط الغرفه ففهم حديث الطبيب بالأسفل و اقترب مسرعا منها و دون أن يسأل عن كيفية مجيئها أمسك يدها يتحسسها بينما يده الأخرى تملس علي جبينها وكأنه يتأكد أنها موجوده أمامه حقا وليست خيالات يتخيلها :إنها عائشه حقا أليس كذلك يا جانيت

ضحكت جانيت ضحكه صغيره قبل أن تقول: إن كنت تشك في أنها اختك يمكننا أن نعيدها حيث وجدناها..... أنا شخصيا لم أرى اختك من قبل

-ولكن كيف حدث هذا ؟هل تبين أنها بريئه؟

- ليس بالضبط في الواقع ذهبت إلى قائد المعسكر وتحدثت معه عن معرفتى بعائشه و أنها تعمل عندي خادمه منذ مجيئى

اكمل عنها بعد أن فهم الكذبه وأنها كانت موجوده في منزلك في ذلك اليوم

-نعم

شعر بالعجب من تصرفها و أراد أن يحاصرها فى الزاويه كى يعلم إن كانت تكن له نفس المشاعر التى يكنها لها : لماذا ساعدتنا ؟

- بدون سبب لا يمكنني رؤيه أحد يحتاج إلى المساعده واتخاذل عن مساعدته ما دمت أستطيع

رأى علامات الحيره على وجهها ففهم أنها لا تستطيع ايجاد تفسير لفعلها

- و لكن هذا سيعرضك للخطر بل قد يصل الأمر إلى اتهامك بالخيانه

- أنا أتيت إلى هنا و رأيت الناس الذين يعيشون هنا.....هم ليسوا متوحشين أو غير متحضرين كما أحب أن تسميهم بريطانيا و لو كان لديهم حكام يحبونهم لكانوا مثلنا أو ربما تخطونا بمراحل

شعر بالتفهم لموقفها كثيرا أكثر من ذي قبل في فالنهايه موقعها هنا مثل أى جندى انجليزي عليه الطاعه و إلا فسوف يهدر دمه ولن يلتفت أحد له؛ تنبه إلى همهمةٍ صادرة من عائشه وشعر كأنها تناديه فاقترب من رأسها: أنا هنا يا عائشه..... في حاجه تعباك

ذهل من الدموع التي تتساقط منها وقد بدا صوتها أوضح له وهي تتمتم معتذره له فكسى صوته بشيء من الحزم: مش وقته يا عائشه استردي عافيتك الأول و بعدين نتحاسب

اغمضت عينيها مجددا في وهن فاقترب منها يقبل جبينها وقد أراد أن يطمئنها فلا بد أنها خائفه من أن تكون رده فعل سيئه معها ،طلبت منه جانيت الخروج كي يدعها ترتاح جيدا ، فدثرها وخرج هو وجانيت واغلقا الباب خلفهما

-ما الذي حدث يا جانيت؟..... هل هو ارهاق؟

لم ترد أن تخبره بما تعرضت له و لكن معرفة ما حدث هو من حقه : قاموا بتعذيبها

شعر بأن الكلمات تنطق بلغه لا يفهمها: ماذا تعنين؟

- ما الذى لا تفهمه يا فتهى.....إنه أمر متوقع فالقضيه ليست هينه مسد

شعره إلى الخلف و قد بدأ صبره ينفذ منه : ماذا فعلوا؟

- كان هناك آثار سوط على جسدها وقد سألت احد الجنود الذين كانوا وقت التحقيق فأخبرني أن القائد أحضر لها جلادا عندما استنكرت اتهامها ؛ شعر بأن راسه يدور عندما وصل تفكيره إلى احتمال تحرش أحد الجنود بها أو ربما ذلك الخنزير قائدهم وجاهد نفسه لكي يستفسر منها عن الأمر: هل تعرضت لاعتداء او ما شابه

- لا داعى للقلق.....لم يحدث شيئ من هذا

شعر بالكثير من الراحه فكم كان خائفا كثيرا وتذكر صلاته منذ قليل و كيف أنه كان خائفا من كل شيء ولكن الله استجاب دعائه في ساعة صدق وفك كربه بأسرع من ما كان يتصور والله وحده أعلم أنه لم يكن يستطيع تحمل ضغط أكثر من هذا ؛تذكر أمرا كان قد نسيه لماذا الطبيب يا جانيت أليست هذه مهنتك!

-نعم ولكن عندما لم تستيقظ في البدايه أردت الاستعانة بالطبيب الموجود هنا لكي أشعر براحة أكثر فأنا لست ضليعه في مهنة الطب ما زلت ذات حداثه..... وأنا اعلم أنكم أنتم العرب لا تحبون أن تُكشف نسائكم أمام أحد فلا تقلق جعلته يقيس مؤشراتها الحيويه وحسب ولكن تضميد الجراح كان مهمتي

- أنتِ على حق أنا لا أحب أن تكشف اختي على أحد ولكن إن كان هناك ضروره بالتأكيد سوف احضر لها طبيب ثم تعالي إلى هنا يا سيده جانيت هل اصبحت تعرفين الآن شرقاً و غرباً يبدو أنك ستتحولين إلى عنصريه؛ ضحكت على مزاحه وسعدت لأن حزنه قد زال : لقد حضر طعام العشاء تتناوله معي ولا أريد أي اعتراض..... فأنا متأكده أنك لم تتناول شيئا منذ الصباح

قبل عرضها بصدر رحب وجلس مقابلها على المائده وقد صفى ذهنه من كل شيء فما المانع لو ينسى قليلا كل تلك التعقيدات التي تحيط به و يتناول طعامه مع الفتاه التى يحب

-أنت تجيد استخدام أدوات المائده

- كان لدي اصدقاء أجانب في القاهره تعلمت منهم اللغه وطريقة تناول الطعام و أشياء أخرى كثيره عن الحضاره الغربيه

- إنى لأعجب كثًيرا من تعلمك الدائم لأمور حضارة و تقاليد لأناس ليسوا سوى أعداء لكم

- كونهم أعداء لى لا يفوق حبي لتعلم تقاليد الشعوب المختلفه فلو تعلمين أن حلمي منذ الصغر هو الدوران حول العالم ورؤيه عادات الناس وطرقهم المختلفه في العيش..... ربما يرى الأغلبية من الناس هنا أن نتعلم لغة الاحتلال أمر مهين ولكني لا أرى في الأمر بأسا كما أن نبينا صلى الله عليه و سلم أمرنا بذلك فقال "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم "

- إني لشديدة الاعجاب حقا بطريقة نظرتك للأمور من حولك و فلسفتك وأظن أنك الهمتني كثيرا وفي الحقيقه أرى أنه يجدر بك أن تكون ملهما للناس من حولك وربما تكون شخصية قياديه في حاله حدوث ثوره على الأوضاع الراهنه

ضحك ساخرا من نفسه فجميع من حوله يرون فيه أشياء غير موجوده بلا لا يمكن أن توجد بأى حال فدائما يصف نفسه بأنه ليس سوى قشرة تختفى أسفلها

شخصيته الضعيفه الجبانه الخائفه والتي تحسب حسابا لكل أحد ولكل خطوه تخطوها فأجابها بشيئ من التحفظ : أنا سعيد لأنى الهمتك ولكن أعارضك فيما قلت فأنا لا يمكن أن اصبح أنا ومصطفى كامل مثلا أو محمد فريد أو سعد زغلول في مرتبة واحده فأين أنا وأين هم

-لا تستهن بنفسك فكل تلك الأسماء اللامعه لم تكن لتكون لولا وقوف الناس خلفهم ومساندتهم لآرائهم

- أنت على حق.....ولكني لا أرى أنه باستطاعتي معارضة الوضع الحالي فأنا لا أملك الشجاعه الكافية لذلك

- أنت صريح حقا

ضحك كثيرا حتى أدمعت عيناه : الصراحه راحه يا سيدة جانيت ابتسمت وقد

انتوت التطرق إلى موضوع اخر: هل ستذهب إلى أسيوط

-للأسف مضطر للذهاب فى الغد فالأجازة التى أخذتها من المدرسة انتهت اليوم على ما أظن

- هل يمكنني السفر معك إلى أسيوط أريد بشده أن أرى معالمها

-حسنا ولكن من سيهتم بعائشه

- مربيتى تريذا سوف تهتم بها على أكمل وجه

رأي أنه ليس من حقه أن يعطل عملها من أجل بقائها مع اخته ثم إن المربيه معتاده على هذا العمل وسوف تهتم بها أفضل من جانيت : كما تريدين

- لا تقلق سوف أعود إلى هنا بعد يومين

وقد كان فتحي يقضي ثلاثه أيام في أسيوط يدرس في مدرسة الامريكان و الثلاثه الباقيه فى ديروط أما اليوم الأخير فكان يمثل يوم الراحة بالنسبة له و قد مضى عليه ست سنوات و هو يدور فى هذا الروتين اليومى

35

نزل بفأسه في الأرض يحفرها وقد انتفخت أوداجه وبرزت عروق رقبته وكتفيه وكانت فورت الغضب بداخله تأبى إلا أن تظهر رغم مجاهدته كي لا تطفو على السطح ومحاولته المستميته لتفريغها في العمل فمنذ أن أتى فتحي بالأمس إلى

المنزل و أخبرهم بخروج عائشه من السجن وهو يشعر بمشاعر سلبيةٍ تجاهها صحيح أنه كان حزينا وخائفا عليها عندما اخذوها ولكن لحظة سماعه بخروجها تبدلت مشاعره بقدرة قادر كما يقولون إلى مزيج من الغضب والاحتقار لأخته وكأنه لم يفكر سوي الآن في فعلتها فكيف تتجرأ أن تتخطى عاداتهم وتقاليدهم و ما تربوا عليه فلم تفرق بالنسبه له في فعلتها بينها وبين العاهره ؛ جاء وقت الاستراحه فرمى بالفأس التي شنجت يده وتركت احمرارا عليها وتوجه إلى مجرى الماء الصغير الذي يسقي الارض فغسل وجهه ليرى على صفحة الماء الصافي أحد العاملين معه واقفاً خلفه فعلم أنه يريد سؤاله عن فرغلي أخذ غرفه من الماء في يديه ووضعها على وجهه وهو يقول: عايز إيه يا زهران

- هاكون عايز منك إيه يعني يا وش الفقر

أراد أن يصرفه فهو دائما ما يشعر بالغيظ منه عندما يتحدث معه: كويس إنك عارف إني وش نحس فمتهوبش ناحيتي تاني علشان ميصبكش النحس اللي عندي

- انت هتستعبط ياض..... ما انت عارف إني جاي اسال عن فرغلي

رغب فى انتهاء هذا الحوار برمته فهو ليس لديه طاقه لأي شيء: ما اعرفش عنه حاجه..... لو عايزه روح دور عليه بنفسك

-بس اختك عايشه طلعت مش سهله ياض وغمز له وهو يضحك ضحكة ذات معنى فالتفت إليه بعد ان كان معطيا ظهره له منذ البدايه ليسدد له لكمة أطاحت به أرضا وبدأ العراك بينهما فلم يفصلهما سوا حضور الخفير: انتم نسيتوا نفسكم ولا إيه لو الباشا عرف باللي حصل هتكون ليلتكم سوده

اندفع زهران صائحا :هو اللي ضربني في الأول.....يعني كنت اسيبه يضربني من غير ما ادافع عن نفسي

-جرى إيه يا طه.. ....ما انت كنت في حالك يا اللي حصل

لم يستطع أن يجيبه فكيف يخبره أنه فعل ذلك لأن هناك من تجرأ وأهان اخته فلابد أن قصتها قد اصبحت معروفه للجميع ولكن براءتها ظهرت فلماذا يصر الناس على الخوض فيها إن التفكير في الامر وحسب يصيبه بالجنون ويشعره في نفس الوقت بمزيد من الغضب من عائشه فلن يغفر لها ما حدث أبدا و حينما وجد الخفير صمته اكمل حديثه: بص انت شغال كويس وما بتعملش مشاكل عشان كده هاعديهالك المره دي وكمان أنا محترم ابوك جدا وبعزه رغم إنه من

ساعة ما رجع من الحرب وهو مش على بعضه وانت يا زهران لو جيت جنب طه تاني هوريك النجوم في عز الضهر أنا عارفك كويس واحد بتاع مشاكل

تنفس طه الصعداء لأنه أفلت من العقاب و لكن ها هو الآن يقع عليه أن يعتاد على نوع آخر من التعذيب المعنوى فيسمع الناس يتحدثون عن أخته ويصمت وكأن شيئا لم يكن ربما السياط التي يضرب بها أهون عليه كثيراً من هذا العذاب

36

دخل برعي إلى الضابط بعد أن ترك الباب وهو يحاول الحفاظ على رباطة جأشه فاستدعائه له دائما يكون وراءه أمر ما حيث العاده أن يقدم له تقريرا كل شهر أو شهرين بالأوضاع الساريه أشار له بالجلوس وهو ينظر إلى ملفات موضوعة أمامه ويبدو أنه مشغول بها فحمد الله أنه لم ينظر اليه بتلكم العينين الحادتين كالصقر ،مضى عليه نصف ساعه قبل أن يرتب الضابط الاوراق وهو يوجه إليه الحديث: عامل إيه برعي

-بخير يا حضرة الضابط طول ما سعادتك بخير

-كفايه كذب ونفاق برعى

- ليه بس كده يا بيه هو أنا كدبت عليك امتى

- البنت اللي قلت لي إنها ساعدت الهارب طلعت ملهاش دعوه بالموضوع أصلا

- يا بيه الصبى بتاعى شاف الوليه نبويه داخله للجواهرجى تبيع سلسله وهى وليه كحيانه هيكون معاها دهب منين و لما حققنا معاها قالتلى بلسانها إن إللى اسمها عائشه جاد هيا إللى خدتها فى الليله دى علشان تعالج واحد مضروب بالنار مقابل السلسله

- أنا مش أعرف نبويه و غير نبويه دكتور جانيت قالتلى إن البنت شغاله عندها و يوم الحادثه كانت موجوده فى بيتها

- إزاى يا حضرة الضابط ممكن تكون الضكتوره دى بتدارى عليها

- برعى دكتور جانيت جايه هنا زياره محدده حتى عربى ما بتعرفش و أنا واثق فيها و عارفها كويس.....و كفايه خيال كتير

- السموحه يا حضرة الضابط ده كان تفكير بس و عندما وجده قد عاد إلى الإنشغال بالأوراق التى أمامه فأراد أن ينصرف حيث أنه كلما بقى أكثر زاد إحتمال رؤية انفعالاته الغير متوقعه : و أنا إيه إللى مفروض أعمله دلوك

- - كمل فى بحثك بس فتح عينك كويس مفهوم

- مفهوم يا بيه ؛ بالأذن

أومأ له برأسه فشعر و كأنه أعطاه صك الغفران ليخرج من هذه الغرفة التى دائما ما تسبب الرعب له و تصيبه بالإختناق

37

الفلاحين حالتهم تصعب عالكافر يا أبو فتحى .....الإنجليز ما سيبنهمش فى حالهم

أومأ له جاد برأسه و بداخله يشعر بالضيق فليس من عاداتهم أو تقاليدهم أن لا يستقبلوا الضيف و هو منذ جاء إليه و هو يشتكى و كأنه هو المتضرر و ليس من أصحاب النعمة و المال بل لولا أنه يكره أن يرمى الناس بالبهتان دون دليل لجزم أنه يساعد الإنجليز أجابه : معلش يا حاج عبدالله بكره ينصلح الحال

- حال إيه ده إللى يتصلح يا أبو فتحى .....ما أنت معذور برضك بقالك يجى سنتين فى الحرب و لسه جاى من قيمة شهرين فما توعاش على الخراب إللى البلد بقيت فيه ؛ تعجب فى نفسه حقا كيف يمكن لهذا الرجل أن يكون منافًقا لهذا الحد و هو نفسه الذى ساعد المرابين الأجانب على مصادرة أراضى بعض الفلاحين فهو لا ينسى كيف كان يستغل صداقته لهم بحكم أنه مثلهم لديه أرض يعمل فيها فيخبرهم أنه اخذ قرضا من أحد الخواجات ليساعده على زراعة الارض و دفع الضرائب و لأنهم سيتمكنون من رد ما اقترضوه ما إن تؤتى الارض ثمارها ؛ إنه يعلم هذه القصه بتفاصيلها لأنه كان أحد اولئك المخدوعين ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع أن يحمله تبعت ما حدث فقرار أخذ القرض كان له أولا وأخيرا و عبد الله لم يجبره على شيء وهو متأكد من أنه لم يصبح من الاعيان إلا بسبب عمله مع اولئك المرابين و إلا فكيف اصبح لديه هذه الاموال بينما من في مثل مرتبته هبطوا إلى القاع ؛ انتبه من شروده ليجده قد وقف قائما فعلم أنه قد قال كل ما عنده نهض يسلم عليه وهو يحاول أن يكون نعم المضيف حتى آخر لحظه: هتمشي ليه يا حاج عبد الله..... خليك ما لسه بدري

- - ورايا اشغال كتير يا ابو فتحي..... والله يا ابو فتحي أنا لسه عارف امبارح بمجيتك وإلا كنت جيتلك من زمان ؛ لو احتجت لأي حاجه أنا موجود

شعر بالحيرة من أمره فلماذا يصر على مرافقة الجميع سافلهم وعاليهم ثم ما لبث أن ابتسم بسخريه فلا يفعل ذلك سوى الخائف؛ بدا أنه يخاف من أن يذهب ضحيه أحد الفلاحين الذين ظلمهم ولكنه لا يظن أن أحدا من الذين خدعهم سوف يستقبله كما استقبله هو ولو كان جاء إليه قبل الحرب فلا يستبعد أنه كان سيضرب بكل التقاليد عرض الحائط ولا يجعله يقف على عتبه بابه ؛ أما بعد مجيئه من الموت فلم يعد ما حدث له يفرق معه بوزن ذره: الله يخليك يا حاج عبد الله

-مالك يا ابو فتحي من ساعة ما قعدنا وانت سرحان اوعى يكون اللي عملته بنتك عايشه هو اللي عامل فيك كده أبرقت عينيه بشيء من القسوه فجز على أسنانه وهو يتحدث: أنا معنديش غير صباح يا حاج عبد الله

- ما ينفعش يا أبو فتحى تقول الكلام ده و تسيب شرفك على الأرض ده الناس كليتها ما ورهاش غير السيره دى و مش هيبصوا إن حصل سوء تفاهم مثلا الناس ما بترحمش

- مشكور على النصيحه

-

على إيه يا ابو فتحي ده احنا اخوات..... يلا فتك بالعافيه

38

خرج من المدرسه برفقه أحد طلاب الثانويه الذين تعرف عليهم على الرغم من عدم تدريسه لهم فهو الآن ظافر بحب جميع من بالمدرسه لما عرف عنهم من رفق ولين وثقافه تجعل كل من استعثر عليه أمر يقبل عليه يستشيره أو يشرح له معلومه صعب عليه فهمها؛ صافح الطالب وهو يربت على كتفه بيده الأخرى: استمر على هذا الإجتهاد يا طارق و هيكون ليك شأن فى المستقبل

- حاضر يا أستاذى.....بس أنا عايز أكون زيك

ضحك بسخريه في نفسه فمن يرى خارجه يتحير عندما يرى العواصف التي بداخله إنه لا يكاد يفعل شيئا ذا قيمه سوى الاخلاص لعمله ولكن في النهايه لا يزال هناك الكثير من غير المتعلمين أضعاف أضعاف من يرتادون المدارس والكتاتيب؛ شعر بنغزة على كتفه فالتفت ليجدها واقفة خلفه لقد نسي حقا أنها اتت معه هذا الصباح: هل ارتحتي في الغرفة التى استاجرتها لك

- أجل إنها جيده واخذت غفوه قبل أن آتي إلى هنا

-حسنا سوف آخدك الآن إلى أكثر المناطق الحيويه الموجوده بالمحافظه و لدي قصة حب جميله سأرويها لك و أريكى دلائلها على أرض الواقع

- اتعلم أنني احب قصص الحب كثيرا على الرغم من أننى لم اقع في الحب من قبل..... و أظن أنني ربما اتزوج زواجا تقليديا

-ما الذي يدعوك لقول هذا ؟

-في الواقع أنا لست مثل بقيه فتيات جيلي فلم ارغب أن يكون لدي علاقه عاطفيه تعيقني عن أهدافى والحقيقه أن من يكملن تعليمهن إلى الجامعه تكون حياتهن صعبه الى حد ما

-هل حقا لا تريدين إدخال أحد في حياتك

- ما هذا السؤال الغريب؟

-إنه فضول وحسب فلا تكترثى قال تلك الجمله و قد شعر أن مشاعره ستفضح أمامها

-

- طبعا إنه فضول ماذا سيكون غير ذلك!

كانت هناك كلمات من نوع آخر تتردد في عقلها فما الذي يجعله يهتم بمعرفة تفاصيل كهذه ؛ ثم ما هذا السؤال الغريب إلا اذا كان يكن لي مشاعر من نوع خاص ولكني لا أهتم فما أكثر من اظهروا اعجابهم وأنا متأكدة ان فتحى ليس بأفضل منهم كي اهتم لما يكنه

لتجد صوت يتردد صداه داخلها بانه مختلف عن جميع من تعاملت معهم و لكن عقلها أجابها: إنه يبقى رجلا شرقيا وهي فتاة غربيه كلاهما متباعدان تباعد المشرق والمغرب بينما عنده فكان ضائق الصدر وقد بدأ بفقدان الامل فهي لا تهتم للحب كما فهم منها قبل قليل؛ وتكاد لا تعترف به ولكن حتى لو أحبته فماذا سيجنى هو ؛المحصله لا شيء إن كان عليه أن يستمع إلى صوت قلبه ويعرض عليها الزواج ولا سبيل إلى الحب غير ذلك أو يسمع صوت عقله الذي يأمره بأن يتزوج من فتاة من مجتمعه ؛ التفت إليها فوجدها شارده ؛ فرقع بأصابعه لتنظر اليه وقد فزعت بهذا الصوت: ماذا حدث ؟
-سنأخذ حنتور ونذهب من هنا

- وسيلة مواصلات تقصد

- نعم

صعدا الى الحنتور الذي أوقفه فقالت وهي تنظر الى جوانبه : انها تشبه كثيرا العربات التي تجرها الاحصنه التي كانت منتشره قديما عندنا

ولكن تلك العربات شكلها الطف من هذه

- ربما .....المدرسة التى تعمل فيها كبيرة نوعا ما

- إنها بإدارة الأجانب ؛ وبدايتها ان ارساليه امريكيه جاءت إلى هنا منذ سنوات ليست بالكثيره وقررت إنشاء هذه المدرسه لمساعده الناس على الحصول على حظ أوفر من التعليم و بين وقت و آخر يضيفون مبنى جديد و يسمون هذا المبنى باسم شخص بارز في المدرسه ولذلك سموها بمدرسة الامريكان ؛ماذا عن الميدان لماذا سمي بهذا الاسم

- تقصدين المجذوب ؟

- أجل المجذوب

-

-كان هناك شيخ يدعي محمد المجذوب والناس عندما يموت شيخ ما ويكون صالحا تحول قبره جامعا و يقصدونه لأخذ البركه منه ولكن هذه الأمور ابتدعها الناس و ليست فى ديننا

- أظن أني قرأت عن هذا المسجد في كتاب وصف مصر

- ربما فالجامع مشهور وله تاريخ عريق

وصلا الى الميدان فأبدت جانيت إعجابها بالنافورة التي تتوسطه وأراها القنطره التي فى الميدان و المسماه ايضا بقنطره المجذوب وقفت على أسوار القنطرة تنظر إلى أسفل فأشار لها إلى بعض الاماكن: انظري إلى الكتابات العربية المكتوبه على جسم القنطره

-أجل أراها شكلها جميل

نزلا إلى أسفل حيث صعدا قاربا و أراد بذلك أن يمكنها من مشاهدة جدران العيون المزينه بالرسومات الحيوانيه والنباتيه بعض هذه الزخارف هي عباره عن حيوان خرافي جسمه جسم حيوان يشبه القط والوجه لطائر له منقار مفتوح وله ذيل طويل يلتف حول ظهره وله خمسة ارجل ربطت رقبته بسلسله من طرف و بشجرة سرو من طرف آخر مع بعض الرسوم الأخرى المشابهه لهذا الرسم؛شعرت جانيت بالتعجب من هذه الصور التي رأتها و سألت فتحي إن كان يعرف شيئا عن هذه الصور ولكنه نفا معرفته و وعدها بأنه سيبحث في الأمر ومن ثم سألته عن سبب وجود هذه القنطره فأجابها أنها مخصصة بصرف مياه الحوض في بركه مياه قريبه تسمى بركة المرزوق ورأت على بعد من ناظرها مئذنة مسجد المجذوب الخضراء الشاهقه وعندما اقتربا من المسجد و وجدا ان هناك ازدحاما فضلا عدم الدخول و اقترحت عليه جانيت :ما رأيك أن نكتفي بمشاهده المئذنه عن قرب

- فكره جيده لنذهب

كانت المئذنة مكونة من ثلاثة طوابق مزخرفة أضلاعهم بدخلات مستطيله تحوي هذه الطوابق نوافذ صغيره للإضاءه فينتهي الطابق الاول بشرفة خشبيه ثم الطابق الثاني بعدة أبواب تؤدي الى الشرفة الخشبيه ومن ثم الطابق الثالث حيث يتخلله نوافذ مستطيله ويعلو المئذنة قمة مخروطية الشكل والجامع مهيب تتردد فيه أصوات الاذكار طوال الوقت

- دعينا نذهب إلى المركز التجاري إنه بالقرب من هنا

-

- ماذا عن قصة الحب التي وعدتني بروايتها لي

- لم يأتي دورها بعد سوف نفرد لها يوم لوحده

- ما رأيك باليوم

-اصبري فالغد ليس بعيدا

دخلا الى شارع القيساريه فأشار لها إلى النقوش المحفوره على المباني: كل شيء هنا مبني على الطراز العثماني فحتى لو تشتت الدوله العثمانيه فهناك الكثير من الشواهد التي ستبقيها حية في اذهان الناس

39

قصر أبو زيد – قرية ديرمواس بديروط

وقف أمام نافذة غرفة مكتبه الزجاجيه ينظر إلى المارين في الشارع ؛ وهو يفكر في كيفية مساعدة الناس الذين ومنذ أن عاد من بريطانيا وهو يتفاجأ بأحوالهم المزريه يوما بعد يوم ؛ وكيف أن الاحتلال قد صادر مواشيهم وجمالهم و اجبروهم على زراعة محاصيل معينه يبيعونها بثمن بخس ؛لقد أذاقهم حقا في هذه السنوات القليله ما لا يخطر على البال بل يكفي أنهم أخذوا أولادهم للعمل بالسخره حتى إن هناك من المصريين من وصل إلى فرنسا و جبال لبنان ؛ انتبه على صوت طرقات على باب مكتبه وقبل أن يلتفت كان الخفير قد اصبح بالداخل وقد بدأ بالصياح: الحقنا يا ضكتور خليل

وجده قد رفع طرف جلابيته ممسكا إياها بيده وهو يلهث فبادره قائلا :فى إيه يا عمي عطيه

- كوكسن باشا مدير الزراعه اضرب بالنار

- بتقول ايه.....إمتى حصل الكلام ده

امبارح بالليل وأنا أول ما عرفت ما كدبتش خبر وجيتلك على طول

- و مين إللى قتله

- ما هيا دى المصيبه يا ضكتور.....الإنجليز ولاد الكلب نشروا إشاعه فى البلد إن انت اللي حرضت على قتله ده في ناس تاني بتقول إن انت اللى قتلته

-

- إيه السخف ده

-والله هو ده اللي سمعته من غير زياده ولا نقص

- مفيش حل تانى يا عم عطيه غير إن احنا نستنى و نشوف إيه اللى هيحصل

40

سارا على كورنيش النيل فالتفتت له جانيت وقد بدا صبرها ينفذ فمنذ أن بدأا في المسير وهو لا يتحدث و لم يخبرها إلى أين سيأخذها فارتئت أن تسأله : إلى أين سنذهب ؟

- لقد وصلنا انظرى يمينك

رفعت رأسها ونظرت حيث قال لتجد نفسها أمام قصر مهيب تحيطه

أشجارالفاكهه من كل جانب وحوله سور مرتفع : إنه قصر جميل حقا يا فتهى

-إنه قصر محامي ثرى يدعى الكسان وخمنى لماذا شيده

- هل من اجل فتاة يحبها ؟

- كيف عرفت!!

- لأنك أخبرتنى أنك ستقص عليا قصة حب ما

-أراد ذلك المحامي أن يتزوج من ابنة باشا هنا في أسيوط ولكن الباشا استنكرعليه ذلك فمن هو لكي يتزوج بنت الباشا فقرر حين إذن أن يبني هذا القصر واستعان في بنائه بمهندسين أجانب من دول مختلفه فانبهر الباشا بالقصرعند رؤيته ووافق على أن يعطي ابنته له

- إنها قصة جميله و احببتها كثيرا

كان قصر المحامي الكسان ذو واجهة مزخرفه على الطراز الاغريقي بشبابيك متوجه بالكرانيش وقد كتب على واجهته سنه تشييده بالإضافة الى موقعه المتميز والذي يطل على النيل ؛ سارا بعضا من الوقت على ضفة النيل وكان كل منهما شاردا في أفكاره فتحي وقد أدرك تأثيرها الشديد عليه ؛ و حسم أمره بأنه سيطلب يدها للزواج على الرغم من أنه متأدك بنسبة ثمانين بالمائه بأنه سيقابل بالرفض إلا أنه يريد أن يريح نفسه و لا يندم بعد ذلك أنه لم يحاول أن يرتبط بها ؛ بينما كانت جانيت لا تزال عالقه في قصر الكسان فهل يعقل أن

-

يحبها شخص يحارب من أجل أن يتزوجها ولكن هل يمكن أن يتزوجها شخص كهذا و حانت منها التفاتة إلى فتحي وسرعان ما نظرت أمامها على الطريق متناسية كل شيء وقد قررا التوجه الى محطة القطار من أجل العوده إلى ديروط ؛ فتحي كان خائفا على عائشه وترك آخر يوم له في المدرسه لأحد المدرسين وبعد أن نزل من القطار مشيا قليلا قبل أن يلتفت فتحي إليها وكان قد تذكر شيئا: جانيت هل انت جائعه كنت مشغولا ونسيت أنا اطلب لك الطعام في القطار

- لا مشكله لست جائعه كثيرا كما أننا اقتربنا من المنزل

- لا انتظري سأحضر لك شيئا تاكلينه لا تتحركى من هنا إلى حين عودتى وقفت بقلة حيله فهي فمهما فعلت لا تستطيع اثنائه عن ما يريد فعله ؛ إن رأسه مصنوع من الحجر حقا ؛ تذكرت والدها ولا تعلم لماذا ربما لأنها اشتاقت له كثيرا فوضعت يدها على السلاح الموضوع على خصرها تتحسسه وكأنها بذلك تسلم على أبيها أكبر خساره في وجودها هنا هومفارقتها له وقد اعتادت دائما على أن يكونا معا في مكان واحد ؛ وفي غمرة شرودها وجدت نفسها تُدفع على الرصيف و تناهى إلى مسامعها صوت آهات تخرج من فتحي فنهضت وهي تحاول استعاده توازنها لتجد فتحي الملقى على بعد مسافة منها و يبدو أنه دفعها مبعداً إياها عن عربة كارو كانت على وشك صدمها ؛ اقتربت منه في جزع هل انت بخير يا فتهى

جلس وهو ينفض الغبار من عليه: صدقيني عندما سمعت كلمة فتهي منك بت أشعر بالتحسن

- توقف عن المزاح لماذا فعلت ذلك كدت تودى بنفسك الى التهلكه و من ثم نظرت إلى الطريق التى غادرت منه العربة و هى تتابع : الرجل كاد يقتلنا ثم ذهب و كأنه لم يحدث شيئ

- لا بد أنه خاف ؛ لا تقلقى ها أنا بخير أمامك

لا لست بخير و أشارت إلى ذراعه حيث الدماء النازفة و قد تمزق القميص الذي كان يرتديه عند هذه المنطقه

وضع يده على الجرح يخبئه: لا إنه مجرد خدش حتى أنى لا اشعر بالألم

-

أخرجت منديلا من جيب تنورتها وربطته على الجرح: لابد من تقعيمه حتى لا يتلوث سوف نمر على عيادة المعسكر

- حقا لا داعى لذلك

- أنا لا اخيرك سوف تأتى معي بالإجبار كما أني أريد احضار بعض الضمادات لعائشه

اقنعته بالذهاب معها على الرغم من ضيقه الداخلى فلو كانت عرضت عليه الذهاب معها قبل حادث عائشه لم يكن ليجد ضيرا في ذلك ولكنه الآن بات يحمل حقدا دفينا ويتمنى أن ياخذ ثأره منهم على انتهاكهم عرضه؛ فكأنما قد قرأت جانيت ما يفكر به فوجدها تلتفت إليه : لا تقلق سوف نخرج فى أسرع وقت فأنا اعلم أنك لا تريد الدخول إلى المعسكر فأومأ لها برأسه و قد لاحظ انهاكها الظاهر : هل تشعرين بأى ألم جراء تلك السقطه

- لا أنا بخير و لكنى لم أفهم ماذا حدث بالضبط

لقد كنتِ تقفين شارده كالعاده و لم تنتبهى إلى العربة المسرع فدفعتك بعيدا عنه كى لا يصدمك

- فصدمك أنت.....أنا آسفه حَقا

- لا مشكله أنا بخير أمامك

صمتا عندما وصلا إلى بوابه المعسكر واخرجت هويتها وأخبرت الحارس أنه معها ففتتشه سامحا له بالدخول: تفضل

كان الامر غريبا عليه فهذه هي أول مرة يدخل إل معسكر انجليزي ؛ قادته إلى مبنى مكون من ثلاث طوابق حيث المشفى موجود في الطابق الأرضى كان ينظر حوله في كل مكان يمسح المكان بعينيه كي لا ينسى أي تفصيله فقد لا تتاح له الفرصة للدخول مرة أخرى ؛ و كان عامل الفضول قويا فبادرها وهي تعقم الجرح بقطنة مبلله بسائل لا يعرف كنهه : ماذا يوجد فى الطوابق العليا لهذا المبنى

-هناك مكتب الملازم والقائد و غرف نومهم و بعض المكاتب الإداريه الأخرة والمبني الذي بجانبهم لسكن الجنود والمطعم وهناك مخزن للأطعمة والأعلاف وربما الأسلحه والذخيره وفي الحقيقه لم أدخل هذا الاخير

-

أحس بترددها و هى تجيبه : لم اسالك إلا بدافع الفضول فهذه أول مرة أرى فيها معسكرا من الداخل

-لا يهم.....في الأساس لا يستطيع أحد اختراق هذا المكان وكانت تريد أن تقول أنها تتمنى لو يحدث هذا ولكنها رأت أنه ليس من الأدب أن تنكل ببني جلدتها أمام شخص غريب ؛ نظراليها في عمق عينيها فأجفلت فقال مستغربا شرودها :فيما تفكرين؟

كادت تهم بنفى الشرود عنها عندما دخل القائد جيف فتقدمت منه تحييه احتراما له وهي تنحني انحنائة صغيره: صباح الخير أيها القائد

-صباح الخير أيتها الطبيبه أخبروني أنك ذهبت إلى أسيوط لا تكادين تبقين في العيادة يومين تلو بعضهما؛ لطالما كانت تشعر بالانقباض تجاه هذا الرجل فهو ذئب خلف قناع حمل وديع :تعلم جيدا أيها القائد انني هنا فى سياحه فلست مجبره على المجيئ إلى العياده دائما ولكني اعدك أنى سالتزم بالحضور من الآن وصاعدا

-اتمنى ذلك ليس لأني بحاجه الى طبيب فالطبيب الهندي لا يقصر ولكن والدك أوصاني عليك لذلك أريد أن تكوني تحت عيني معظم الوقت

كان فتحي نكاسا وجهه إلى الأرض فهو لا يريد أن يحدث أي احتكاك مع هذا الشخص والذي يبدو أنه قائد المعسكر ولكن ما لبث أن وصله صوته و هو يسأل جانيت: من هذا !

- إنه المرشد الخاص بي احضرته إلى هنا كي أعقم جرحه

- نعم حدثنى عنه الملازم هارولد

شعر باقترابه منه فنهض بدوره تحسبا لاثاره المشاكل ودون أن تواتيه الجرأة لرفع رأسه وبصوت شبه خفيض: سرتني معرفتك أيها القائد

- ما هو اسمك ؟

- فتحى

تحدث بالصرامة المعهودة من رجال الجيش: كاملا

- فتحى جاد عبد الحق

- أين تلقيت تعليمك الجامعى ؟

-فى القاهره

- إذا تلقيته كالجميع و لم تسافر إلى الخارج

- أجل كان يجيب عليه باختصار و بطريقة هادئه وقد أجاد رسم قناع السكينه على وجهه على الرغم من غليانه من الداخل فهو يعلم جيدا أنه من كان مشرفا على تعذيب اخته ولكنه حمد الله أنه لا يزال بعقله حتى هذه اللحظه وإلا لما ضمن رد فعله

وضع يده علي كتفه يربت عليها: نحن لن ننسى لك هذه المساعده ؛ ومن ثم امسك بكتفه يستطلع الجرح: يبدو أنه ليس خطيرا اليس كذلك ؟ايتهاالطبيبه جانيت

-أجل أيها القائد

-إذا لما احضرته الى هنا؟

تعثرت الكلمات على شفتيها ولم تجد ما تقول فعاجلها وهو ينظر في ساعة اخرجها من جيبه: لقد تأخرت عن موعدى ومن ثم عاود النظر اليها: لا تحضريه الى هنا مرة أخرى قبل الحصول على موافقه مني او من الملازم هارولد، المعسكر ليس سبيلا للعابرين

- مفهوم سيدى

- لا تنزعجي أيتها الطبيبه إنها احتياطات أمنيه يجب التقيد بها..... نحن لا نعرف من أين يمكن أن تأتينا الضربه

- أمرك سيدى ؛ كانت قد حفظت كلمات الولاء والطاعه من الملازم حتى لا تقول لفظ فيه خروج عن الادب فباتت ترددها بتلقائيه وغير حسبان؛ وضعت يدها على صدرها تتنفس الصعداء ما إن غادر فأتاه صوته من خلفها : أنا آسف على تعريضك لهذا الموقف المحرج

- لا بأس..... أساسا منذ أن اتيت إلى هنا وهو لا يتوقف عن توبيخى وفى الواقع إنه يتودد إلي والدي من أجل أن يساعده في فتح مشروع استثمارى لدى عودته إلى بريطانيا

- هذا أمر عادي..... فكل يربو إلى مصلحته..... علينا أن نذهب الآن قبل أن يأتى أحد آخر

ضحكت كثيرا وقد امسكت بحقيبة ملأتها بالشاش: ما رأيك أن نأخذ سيارة من هنا فأنت متعب

- لا داعى فالمسافة لا تستحق

وجدها جالسه على الفراش والمربيه قد جلست على الكرسي بجوارها كانت قد استعادت بعضا من نضاره وجهها السابق ولكن الشحوب لا يزال باديا عليها تمنى أن يحتضنها و يخبرها بأنه استوحش غيابها ولكن ما فعلته لا يغيب عن عقله فكيف تتهور بهذه الطريقه! كيف لم تحسب حساب أحد و على رأسهم هو وكيف نكصت العهد الذي اخذه معها حتى لو كان ما فعلته ليس أمرا مشينا.

فرأى أن اسلم حل هو مخاصمتها لبعض الوقت فمن مثلها لا يمكن أن يرضخ بسهوله وكي لا تظن أنها على صواب مطلق ولى دبره خارًجا و قد دخلت جانيت لفحصها ؛ كانت تنتظر طيلة اليومين الماضيين على الرغم من غياب وعيها نسبيا إلا انها كانت تستفيق بين الفينة والاخرى وتنظر حولها بحًثا عنه لتتهلل أساريرها اليوم عندما سمعت صوته فى الخارج ؛ وانتظرت أن يدخل عليها ويأخذها بين أحضانه أو على أقل تقدير أن يسألها عن حالها ولكن أي من ذلك لم يحدث فها هو القي نظرة عليها ومن ثم خرج وكأنها مجرد سراب أمامه صحيح أنه لم يعاتبها إلا أن تلك اللحظه التى التقت فيها عيناهما كانت كفيله أن ترسل لها كل إشارات العتب و اللوم و ربما خيبة الأمل أيضا واسودت الدنيا فى عينيها فغضب فتحى عليها يؤلم فؤادها ويجعلها تقلق من ما إذا كان سيصفح عنها أو لا

41

اخذ يتأوه وحسان يزيل من على وجهه الضمادات فتحدث حسان من بين أسنانه :ابن ستين في سبعين مسبش فيك حته سليمه زجره بنبره حازمه : حسان

- خلاص يا عم عرفنا إنه صاحبك و عشرة عمرك كمان إحنا برضو عشرة عمرك و خفنا عليك.....و الصاحب الحق ما يعملش فى صاحبه كده

- - أنا استاهل كل ضربه خدتها منه

- لولا إنك نبهت علينا ما نقربلوش كنت جبت أجله

تدخل حسن فى الحوار و الذى كان يلملم الخيمة على مقربة منهم و قد جرت العاده أن يغيروا مكان تخييمهم كل أسبوع على الأقل حتى لا يلفتوا نظر أحد إليهم أو يكونوا مستهدفين

- طب انت هتعمل إيه دلوك يا على .....على حسب ما فهمت البنت بقيت سمعتها فى الأرض

فكر طيلة الأيام الماضيه في كيفيه انقاذها ليس لأنها اخت صديقه فحسب بل لأنه مدين لها بحياته و تسليم نفسه لم يكن حلا مثاليا فالأمر لن يساعدها البته فلن يكف ألسنة الناس عن الحديث: مش عارف يا حسن كل حاجه متلخبطه في دماغي

- ان شاء الله هتلاقى حل..... و لو ما لقيتش يا سيدي الناس بتنسي مع مرور الأيام

لمع الحل في ذهنه لدي سماعه لكلمات حسن فما لبث أن أمسكه من كتفيه وهو يشعر بالظفر : عفارم عليك يا حسن و الله طول عمرى بقول عليك ذكى ؛أسرع إلى حصانه يفكه من مربطه مستعدا لإمتطائه : أنا هاروح القبيله اقعدلى كام يوم كده فما تقلقوش عليا

وقف حسان فى إثره : وقف يا على رايح فين.....جروحك لسه ما طابتش و لكنه كان قد أطلق حصانه للريح منذ زمن حتى قبل أن ينهى حسان جملته فضرب الأخير كفا على كف: قلت له إيه يا أخينا انت

-والله مش عارف ده بيقول اني ذكي

لملم حسان الأعشاب و الضمادات المبعثره على البساط الذى كانوا يجلسون عليه : ربنا يستر عليه من مخه إللى متركب شمال ده . كان حسن و حسان وعلى أصدقاء طفوله و على الرغم من أن على كان يسكن فى ديروط بينما حسن و حسان فى قبيلة والدته إلا أنهم كانوا يتقابلون أغلب الوقت سواء فى الصحراء أو

فى المدينه أو ربما حين تزور أمه قبيلتها و لم تهن أواصرالصداقه بينهم و بين عّلى على الرغم من افتراقهم مده ليست باليسيره

42

جلست امام النافذه تراقب الغادين والرائحين وقد اظلمت السماء و برزالقمر في كبد السماء ينير الطرقات المظلمه حيث لا تنار فى المساء سوى الشوارع الرئيسيه و التى تكون مزودة بأعمده فى نهايتها فتيل لإشعال النارفيها . تنهدت بضيق و قد سئمت من الجلوس فى غرفة أخيها طيلة اليوم فمنذ أن عادت إلى المنزل و هى حبيسة غرفته خوفا من أن يبطش بها أحد فتأتى والدتها كل صباح و تلقى عليها الشتائم من خلف الباب حتى فتحى لم يحادثها إلى الآن و لكنها تحاول تجاهل كل هذه الأمور فهى لا زالت على إيمانها أنها لم تفعل شيئا خاطئا و على الأقل هذا السجن أرحم لها من تلك الزنزانة الموحشه التى كانت فيها، أيقظها من غمرة شرودها صوت أخيها طه من الشارع : انتى يا مقصوفة الرقبه.... خشى لجوه

دخلت بسرعه الى الداخل وأغلقت النافدة خوفا منه وهي تدعوا الله فى سرها أن يأتى فتحي سريعا فهي لا تشعر بأنها بأمن من ابيها واخيها إلا عند عودته وصدقت امنيتها فلم تمضي سوى مده يسيره حتى وجدت الباب يفتح ويطل من وراءه وجه فتحي و حتى وان كان مقطبا وقد فقد بشاشته ، التي اعتاد أن يقابلها بها يكاد لا يحادثها إلا بضع كلمات مقتضبه لدعوتها إلى تناول الطعام وقد حزنت كثيرا لأنها تنام على فراشه كل ليله بينما هو ينام على الأرض ؛ انتبهت إليه وهو يتفقد ملابسه فتذكرت أنه مسافر غدا إلى أسيوط و بدأت تشعر بالخوف فماذا ستفعل في الثلاثه أيام التي سوف يغيب فيها كادت أن تتحدث إليه لولا أن سمعت صوت والدها وقد بدا لها قريباً: فين بنت الكلب دى.....إللى جابتلنا العار
وقبل أن تستوعب شيئا وجدت فوهة البندقية المحمولة في يد والدها موجهة نحوها: أنا هقتلك النهارده .....واخلص من مصايبك اللي مش سيباني

وقف فتحي أمام عائشه يخفيها عن والده: اهدى يا ابويا الأمور مش هتتحل كده إلا القتل يا ابوى

- بعد يا فتحى من قدامى أنا ما قادرش استحملها فى البيت أكتر من كده وبين سجالهم وجدالهم وتوسل فتحي أن ينزل البندقيه وبكاء عائشه تفاجئ الجميع بطه وقد قدم من الاسفل وطوق والده من الخلف على حين غفله منه

وبسهوله استل منه البندقيه فقوة الابن الجسمانيه تفوق الاب كثيرا ومالم يتوقعه أحد أن يوجه طه فوهه البندقية الى رأس والده :انت اتخبلت فى عقلك يا راجل انت

تدخل فتحي قبل أن يتطور الأمر ويقوم طه بعمل متهور :طه بعد البندقيه وانزل بيها وكفايه جنون لحد كده

بدا أن الاخير لا يسمعه واضًعا يده على الزناد وقد خرجت عيناه من محجريهما فتقدم منه يريد أن يمنعه إلا أن عائشه قد سبقته وقد قطعت المسافة حبوا فلم تعد قدماها تحملها بعد كل ما حدث فأمسكت بقدمي طه وتوسلته : موتنى أنا يا أخوى أنا السبب.....موتنى بس سيب أبوى

انزل البندقيه ومن ثم بصق على الارض وكانه يهين جميع من في الغرفهبمن فيهم فتحي واخذ طريقه الى الاسفل بينما نهض جاد فاقترب منهفتحي يساعده على النهوض ومسك بيده قائلا: يدك يا ابوي

نفض يده وهو يتكئ على جدار الغرفه في الوقوف: سيب ايدي انامخلفتش و خد البنت دي من هنا من بكره ؛توديها في اي داهيه ان شاء اتدفنها حيه ، وقف فتحي على باب الغرفه يشاهد والده وهو ينزل البالاسفل وهو يشعر بالضيق من طه ومهما كان ما يفعله والده لم يكن يحق لهان يضع السلاح في وجهه وتوعد له في داخله انه سيعاقبه على تمردهوتصرفاته الغير مسئوله ومن ثم ضحك ساخرا في نفسه فقد فسر هدوءوالده طوال الأيام الماضيه على أنه قد يسامح عائشه على ما حدثولكنتبين انه هدوء ماقبل العاصفه فلا شك انه كان يبحث عن سلاح في هذاالوقت عاود النظر الى عائشه ليجدها قد دخلت في نوبه بكاء شديده فشعربالشفقه على حالها فالجميع ظلمها وعاملها بطريقه غير انسانيه فمنيستطيع تحمل ما لاقته اقترب منها يهدئها: ما تبكيش يا عائشه هما الليغلطانين انت مش غلطانه و هيجي اليوم اللي يتاسفولك فيه..... واناهاجي اخدك بكره عند جانيت لحد ما ربنا يحلها43

اجتمع ابو زيد عمده قريه دير مواس في قصره باولاده الذكور خليل وفضلوعبد المالك و محمد و مهنى و انور و راغب كي يناقش معهم امر الاتهاماتالموجهه الى ابنه خليل يتحدث هو بينما الجميع يجلسون مستمعين لهباحترام وتقدير: كويس انهم حققوا معانا وما لقوش علينا ذله و انا جا ليكلام اكيد ان واحد من بشوات نادي الاعيان هو اللي بلغ عن خليل ناس ماعندهاش نخوه

-بس يا ابوي الانجليز دول مالهمش مأمن

- انا عارف يا خليل يا ابني بس طول ما الامور ماشيه بالقانون والادلهوهماحققوا معانا كلياتنا او معرفوش يلاقوا ولا دليل واحد ضدك

تحدث عبد المالك وهو يتميز غيظا :بس ولاد الكلب ولعوا في بيوت الناسالغلابه قبل ما يمشوا

-الصبر يا ولدي ان شاء ا سعد زغلول هيجيب لنا حقنا كلنا و مشهيسكت واحنا كمان مش هنسكت غير لما الانجليز يطلعوا بره مصر-بس لازم نعوض الناس اللي اضررت يا ابوي

- ايوه لازم يا ابني وانا هاتولى الامر بنفسي

44

جلست فى المشربية كعادتها كل يوم تنتظر قدومه فهي لم تخرج في هذا الاسبوع سوي مرة واحده حيث أخذها في بدايته الي الحوطا الشرقيه لتشاهد لوحات من العصر الفرعوني بمدينة حاكم في ذلك الوقت يدعى اخناتون فهي لا تنسى أي شيء يخبرها به مهما كان صعبا ؛ فكم كانت الرحلة ممتعه وخصوصا ركوب ذلك القارب البسيط وقد ايقنت أنها تعلقت به ، خوفها عليه في المرة الماضيه ودقات قلبها التي صمت أذنها عندما وجدته ملقي على الارض أمامها حتى عندما نهض ولم يكن به سوى جرح فى ذراعه تمنت لو أنها هي المصابة بدلا عنه وبكائها طوال الليل يجعلها تتأكد أنها تحبه ؛ وكم كان هذا فى اسوأ أحلامها أن تحب رجلا شرقيا و لكنها اقنعت نفسها بأنه مختلف عن الجميع و ها هي الآن في حالة يرثى لها ؛ تنتظره على الرغم من معرفتها أنه ذاهب اليوم إلى مدرسته فى أسيوط لم يمضي الكثير من الوقت حتى ترائى لها وهو قادم من بعيد ؛ فلم تصدق عينيها وظنت فى بداية الأمر أنه شخص يشبهه ولكنها تأكدت أنه هو لدى اقترابه و ورائه امرأة متشحة بالسواد؛ ففهمت أنها اخته عائشه والواقع أنها اصبحت تكن لها الاحترام والتقدير بسبب شجاعتها التي تتحلي بها ؛ القليلات فى هذا المجتمع نزلت إلى الأسفل لتفتح لهم؛ لا تعلم إن فعلت ذلك لإشفاقها من أن توقظ المربيه أو أن السبب هو اشتياقها إلى فتحي : صباح الخير لاحظت عدم ابتسامه في وجهه كعادته فراقبت ملامحه المنقبضه وهو يحدثها باقتضاب :صباح الخير جانيت..... أنا اعتذر جدا لقد قصرت معك كثيرا في القترة الماضيه

-لا بأس اعلم أن ظروفك هذه الأيام ليست على ما يرام؛ وعائشة ستنزل ضيفة على ويمكنها البقاء هنا بقدر ما يحلو لها ؛ شعر بالراحة لأنها وفرت عليه عناء طلب ذلك منها وشكر الله أنها من بادرت إلى استضافتها: حسنا يا جانيت ولكن إن كان ذلك ثقيلا عليك.....قاطعته قبل أن يتم حديثه : لا تقل هذا .....عائشه مثل اختى

-حسنا سوف أستأذن أنا

- تناول الافطار معنا أولا قبل أن تذهب لقد انتهيت من إعداده

- لا اشكرك على الذهاب بسرعه فقدت تأخرت بما فيه الكفايه

شعرت بخيبة الأمل وقد كانت تمنى نفسها بأن تتحدث معه بعض الوقت ولكن يبدو أن حالته المزاجية قد ساءت كثيرا عن المرة الماضيه

45

كان كل من على وخاله يمتطيان جملا وقد وضع على ظهر الجملين صناديق محملة بالدقيق و الشعير و السمن و الثريد ، امتدت رمال الصحراء الذهبية على مرمى البصر فبدا الجملين كبقعتين ضئيلتين في وسط تلك الصحراء الشاسعه التفت على إلى خاله: انت بخير يا خالي عرفان

تحدث الكهل والذي يغطي الشيب راسه ولحيته: أنا بخير يا ولدي الصحه في القلب مش في الشكل

-ربنا يجعلك صحيح دايما يا خال

-إلا قول لي يا ولدي الناس اللي هنروح لهم عارف أخلاقهم زين

-أيوه يا خال أنا سألت عليهم كويس وما سمعتش إلا خير غير إن زى ما قولتلك إنها أخت صاحبى المقرب

- ماشي يا ولدي ربنا يتمم على خير

مضى وقت ليس باليسير قبل أن يصلا إلى مقصدهم وقد كان من حسن الحظ أن كان صاحب المنزل موجودا هناك يستقبلهم وبعد أن قدم لهم الطعام وشربا الشاي تلوه بدأ صاحب البيت الحديث: باين لكم غرب عن البلد أجابه على وهو يضع كوب الشاي أمامه على البساط الجالسين عليه: ايوه يا عمي إحنا من العرب

-اكيد قطعتوا المسافه دي كلها علشان حاجه مهمه

هناك جاء دور الشيخ العجوز في التحدث أنا الحاج عرفان من قبيلة صالحين إحنا جايين لكم و طالبين القرب منكم والنسب و انت اكيد الحاج جاد

-بس إيه اللي عرفكم بينا

-ابن اختي ولدي على يعرف ابنكم فتحي من أيام ما كان شغال في مصر ؛أدار الأمر في رأسه ورأى أن هذه هي أفضل فرصه للتخلص من تلك المتمرده ولكن في الوقت ذاته أراد أن يظهر لهم أنهم مثل أي طالب ليد فتاه من أهل بيت كريم فيكفيه هدر لكرامته: والله باين عليكم ناس أشراف اولاد أصول عشان كده احتمال كبير إني اوافق بس اديني مهله أسبوع ؛ هسأل عليكم وأنا متأكد إني مش هاسمع غير الزين و ربنا يكتب اللي فيه الخير ؛ نهض خاله فتبعه على وهو يقول: نستأذن إحنا علشان قدامنا رجعه طويله نلحق نرجع قبل الليل ما يحل

-اذنك معاك يا حاج وبيتنا مفتوح لكم على طول ومضى الاسبوع وقد عاد فتحي من عمله وعلم بالأمر وقد شعر بالضيق لأن والده سيعطيه الموافقه دون أن يسأل عليهم حتى لو كان يعلم أن علي سيهتم باخته و رغم كل ما فعل فهو يعلم أنه أهل للمسئوليه ؛ إضافة إلى أنه سيكون مطمئنا على اخته ؛ وجاء اليوم الموعود فحملت عائشة في هودج على أحد الجمال وقد كتب على غطاءه القماشي عقبال البكاري بالعريس ؛وقف فتحي واخته صباح واخيه طه يراقبون صندوق جهاز عائشه يحمل على جمل آخر بينما يركب على الحصان في حلة مزركشه ؛ حانت منه التفاتة إلى صباح ليجدها قد أفلتت دموعها فبالتأكيد هي خائفه على اختها ولكنها لا تستطيع قول شيء فوضع يده على كتفها :ما تعيطيش يا صباح كل ما هتكوني عاوزه تشوفيها قولي لي و أنا هاجي آخذك عندها وبعدين ما انت التانيه متزوجه في بلد تانيه تكلمت من بين دموعها :أنا خايفه عليها يا فتحي هتروح عند ناس ما نعرفهاش

--أنا عارف إن الناس دول هيحطوها في عينيهم وهتشوفي

- أنا لولا إنك واثق فيهم كنت اخذت عاشه وهربت بيها

تدخل طه في الحديث فلم يعجبه منذ بدايته: في إيه يا وليه ما تسكتي..... وخلي الليله دي تعدي على خير

- فتهى.....فتهى

نظرت صباح خلفها لدى سماعها هذا الصوت الغريب على أذنها لتجد فتاة ترتدى فستانا سماويا يصل إلى ركبتيها فخمنت أنها تلك المرأة الأجنبيه التى يعمل معها فتحى و شعرت بالإمتعاض أن يسير شقيقها مع فتاة سافرة بهذا الشكل فتحدثت من بين أسنانها : كلم يا فتحي الخواجيه بتاعتك جايه بتنادي عليك

ضحك فتحى فى نفسه فحتى و هى فى حزنها لم تتورع أن تسكت ؛حتى ولو أبدت اعتراضها بطريقة غير مباشره و من ثم ذهب إلى القادمة نحوه :أهلا بك يا جانيت لقد تاخرت كدنا ننطلق بدونك
-جيد أنى اتيت قبل أن تذهبوا فأنا متشوقة جدا لحضور العرس نظرخلفها ليجد

ذلك الجندى المدعو برنارد واقف خلفها فحدثها بالفرنسيه: لماذا هذا الجندي

معك دائما.....الا يمكنك تغييره

-ما المشكله فيه

-أنا لا أطيقه ثم إنه دائًما ينظر إليك بإعجاب

شعرت بالفرح عندما خمنت أنه يغار عليها فأرادت أن تغيظه أكثر فابتسمت: حقا هل هو معجب بي

-اصعدى على حصانك يا جانيت ولا تجعليني افقد صوابي ففضلت الامتثال لما قال تجنبا لأن تحدث مشادة بينهما فلا تريد أن تعكر هذه الليلة السعيده ؛ لم يرافق عائشة سوى فتحي ووالدها وطه وجانيت أما بهيه وصباح فقد بقيا في المنزل

كان على يشعر بسعادة غريبه فهل يعقل أن كل هذا بسبب أنه رفع البلاء عن هذه الفتاه أو ربما اصبح يكن لها مشاعر من نوع خاص ؛ ولكنه لا يستطيع أن يلوم نفسه فمن لا يمكن أن يرى ما فعلته دون أن يكن لها و لو ذرة من اعجاب وعلى الرغم من عدم معرفته لهيئتها إلا أنه مستعد ان يصل معها إلى مرحلة الحب دون ذلك ؛ فهو يستطيع بوضوح أن يرى جمال روحها دون أى مجهود ؛ بالنسبه لعائشه فكانت تشعر بمزيج من التوتر والرهبه وربما شيئا من السعاده لأنها تزوجت بشخص مثل علي مناضل يفعل أى شيء من أجل مساعده اهل بلدته ؛ ومما زاد من سعادتها علمها أنه كان صديقا لفتحي عندما وصلوا إلى القبيله كان الظلام قد حل وقد وضع خروف على خشبة مثبتة بالأرض واضرمت له نار عظيمه و أصدرت قدور الطهي أصواتا تشى بغليان المرق فيها و

طبخ الارز ؛ و جلس الناس متقابلين على بسط متناثره بينما هناك بعض الشبان يرقصون الرقصات الشعبيه و يغنون أغاني البهجه والفرحه واحيانا بعض الأغاني الوطنيه التي تنم عن حبهم لوطنهم وجلس العروسين متجاوران وقد ارتدرت عائشه فستانا أبيض مزركش من الاكمام والحواف من نفس اللون ؛ قد نسجته نساء القبيله كهديه لها وقد خطب فيهم أحد شيوخ القبيله وهو يذكر بهدف الزواج وأهميته وفضائله داعيا فى النهاية للزوجين بدوام المحبة والذريه الصالحه ؛ قام علي يؤدي بعض الرقصات مع حسان وحسن فاستغلت عائشة الفرصه وأشارت الى فتحى الذي كان واقفا على مقربه منها : فين أبويا و طه

-ابوي قاعد مع شيخ القبيله في خيمته وطه انت عارفه إنه ما بيحبش الجو ده تلاقيه راح قعد في حته بعيد عن الدوشه

-المفروض ابوي ما كانش يجي رجله هتتعبوا لما يرجع

- أنا قلتله كده بس هو راسه ناشفه

شعرت بغصه في نفسها فهي تعلم جيدا أن والدها انما أتى لكي يظهرللجميع أنه عرس عادى ويسكت السنة الناس ؛ تتمنى حقا لو يسامحوها فحتى فتحى لا زال يتحدث بتحفظ معها صباح الوحيده المتعاطفة معها تذكرت أمرا مهما كانت تريد قوله لفتحي: علي ملهوش صالح باللي حصل أنا ما اتجبرتش على حاجه وهو صاحبك

-عائشه ده موضوع ما يخصكيش ثم إني لسه غضبان منك كنت فاكر إننا قريبين من بعض بس تقريبا أنا ما عرفتكيش صح إلا من يومين والله اعلم بقى كم حاجه تاني عملتيها من دماغك من غير ما ترجعيلى تحدثت وقد أنذر صوتها بالبكاء :والله يا فتحى.....

قاطعها : مش كل حاجه تقوليها تقعدي تحلفي عليها و أنا مش عايز اكدرك في يوم فرحك

غضت بصرها عنه وشتته في الرمال المتناثرة أمامها : سامحك الله يا فتحى على ظنك السيء بي ويقول فرح ايضا أى فرح هذا فلو كانت الافراح هكذا إذا فلتبقي الفتيات في بيوت آبائهن

ولى فتحي دبره عنها وقد وجد أن هذا التقريع كافي لها ؛ صحيح أنه يشفق على حالها إلا أنه لابد له أن يعاقبها ويظن أنه سينتظر بعضا من الوقت قبل أن يعود الى سابق عهده معها؛ اقتربت جانيت منه ويبدو أنها تغني على الحان الربابه

ضحك كثيرا من هيئتها : ماذا تفعلين يا جانيت ! رفعت كتفيها بغيرمبالاه وهي تحرك اصبعها في الهواء بتوافق مع الألحان: أنا لم استطع فهم الأغاني التي تردد هنا بطبيعه الحال فرأيت أن أغني بعض الاغانى الإنجليزيه التى تتوافق نوعا ما مع اللحن

-احسنت يا جانيت تمكنت من الاستمتاع على الرغم من كل شيء

-بالتأكيد لا يمكن ان أفوت هذه الليلة السعيده كما أن المكان هنا ساحر و جميل

نظر إلى النجوم السابحة في السماء: تعودت منذ صغري أن اهرب الى الصحراء عندما اشعر بالضيق وكان أبي يعاقبني على هذا خوفا علي ولكن لم أكن ارتدع ودائما ما أحب أن اشبه الصحراء بالمرأة الساحره تجتذب إليها الكثيرين وتبتلع معظمهم في داخلها

-إنه تشبيه جميل و بمناسبة الصحراء أريدك ان تصحبني إلى مدينه الموتى فقد حدثني عنها الملازم هارولد حينما سألته عن أهم الآثار الموجوده هنا

-سأذهب غدا إلى أسيوط يمكنك مرافقتي

-جيد جدا

46

كشف عن قدمه اليسرى حيث التهاب الركبة وفي يده سيجارة كالعاده جلس على ضفة ترعة الابراهيميه تراقب عيناه المراكب السائرة ذهابا وايابا أما عقله فهو في مكان آخر تماما فمنذ مصيبة عائشه وهو مشغول بها أما الآن وقد تزوجت فقد عاد عقله إلى سيناء وعادت له الذكريات المريره التى تجرعها هناك ينام كل ليله فيرى أصدقائه الذين لقوا حتفهم هناك و تتجلى له بعض المقتطفات من الماضي أحيانا يرى نفسه ممسكا بفأس يحفر بها بينما أصدقائه حوله يستنجدون به ولكنه لا يفعل شيئا سوى الحفر وكأن أذناه تحولتا إلى عجين فيا له من كابوس مريـع ، فلا يريد أن يرى أنه تخلى عن اصدقائه و لو حتى في عالم الأحلام تنهد من أعماقه و تذكر أصدقائه الذين تعرف عليهم من بداية ذهابه إلى سيناء عزام و مجاهد و خلف امضى معهم معظم السنتين فكان كل منهم يؤازر الآخر فيساعدون بعضهم على تجاوز ما هم فيه ؛ وكان كل منهم ينتظر العوده إلى أهله بفارغ الصبر حتى أنهم خططوا لما سيفعلونه بعد الحرب ؛ ولكن المنية كانت اقرب لهم فحفر قبورهم الواحد تلو الاخر منهم من مات

بقنابل الاتراك أو أثناء عمله وسط دوى الرصاص وكان هو الوحيد الذي نجا من بينهم بإصابة فى قدمه لقد كان هناك و رأى كل شيء رأى العين فقد عملوا كثيرا ؛ حيث مدوا سكك الحديد وحفروا الآبار والخنادق ومدوا أنابيب المياه و وضعوا خطوط التليفون والتلغراف و مهدوا الطرق للانجليز لعبور هذه الصحراء القاحله فلولاهم لما حققت القوات الانجليزيه هذه الانتصارات فهم على الرغم من اجبارهم إلا أنهم تفانوا في عملهم ؛ و قد عانوا من المعامله القاسيه والضرب بالكرابيج والاطباء أنفسهم هم من كانوا يقومون بجلدهم حتى أن المرضى كانوا يخافون الوقوف في الصف من أجل العلاج خوفا من أن تختلط صفوفهم بصفوف المعاقبين فيجلدون بدلا من أن يقدم لهم العلاج ، ترائى له صور اصدقائه عندما كانوا يقومون بحفر أحد الخنادق يتذكر ذلك اليوم وكأنه البارحه وقد أخذوا يغنون متفائلين بعودتهم وأحيانا يغنون بعض الاغانى الحزينه التي تعبر عن حالهم:

اعذرنا يا ونجت لقد هزمت بلدنا

خدتم قمحنا والجمال والحمير

خدتم كل حاجه فسيبونا في حالنا خدتم الجنود و حتى الفلاحين

سابوا زراعة أرضهم و راحوا الأراضى البعيده اشتغلوا فى الخنادق و حتى فى جبال لبنان

راميين العيب علينا و إنتوا منبع كل العيوب

47

كانت أشعه الشمس الحارقه تغطي الجبل من جميع جوانبه بينما فتحى وجانيت يتسلقانه يعتمر كل منهما قبعة تخفف عنهم ولو قليلا من حرارة الشمس كانت جانيت تتسلق أمامه بينما فتحي خلفها تحسبا لتعسر قدمها أو ما شابه رفع من مستوى صوته كي يصل اليها:لماذا تفعلين هذا بي يا جانيت

اجابته بنفس نبرة الصوت دون أن تنظر إليه فقد كانت تخاف قليلا من المرتفعات: ماذا فعلت

-تصرين على تسلق هذا الجبل دائما لقد اتعبتني معك حقا

-ضحكت كثيرا قبل أن تجيب من المفترض أنك في اوج قوتك وشبابك وخصوصا أنكم انتم العرب أقوياء عن كثيرا

-هل قالوا لك أني آله يا سيده جانيت

وعند تلك الكلمه كان قد وصلا إلى ارتفاع جيد نوعا ما و مستوى يمكنه من التخييم فيه فانزل حقيبته من على ظهره: حسنا سنتوقف هنا

نظرت إلى الأعلى وقد وضعت يديها على خصرها بينما صدرها يعلو ويهبط من المجهود الذي بذلت إلا يمكننا الصعود أعلى من هذا

اشار لها إلى اسفل في نظري يمكنك رؤيه المقابر بشكل واضح جدا فلا داعي للصعود اكثر

-اجل إن المنظر رائع من هنا

حرك ذراعيه بطريقة أشبه بممثلى المسرح : أهلا بك سيدتى فى مدينة الموتى

وضعت يدها على فمها و بدأت فى الضحك بينما استمر هو فى هرجه : يكفى يا فتحى أرجوك لا أريد الضحك فى حضرة كل هؤلاء الأموات
- حسنا.....حسنا يبدو أنك تكنين لهم احترًاما كبًيرا

- اخبرني الملازم هارولد أن فرقه من الباحثين كانوا يعملون هنا قبل أن تنشب الحرب ويتوقف العمل نهائيا

-نعم هذا صحيح لقد اتيت إلى هنا اكثر من مره و شاهدتهم عن كثب

-إلى ما تعود هذه المقابر

- تعود إلى عصر الدوله القديمه والوسطي هذه المقابر منحوتة فى الصخر بشكل جميل و المصريين القدماء كانوا يعدون إلها يدعي اوب-واوات فاتح الطريق وكان يعبدون اله الموت حارسا للجبانه وكانوا يمثلونه بشكل ذئب ومن اسمه اطلق الاغريق اسم ليكوبوليس أو مدينة الذئب على أسيوط

- الحق أنى احببت هذا المكان كثيرا ولا أريد المغادره ابتسم بسعاده من داخله فهو يتمنى أن تبقي هنا و أن لا تعود إلى بلادها: هناك أماكن أجمل من هنا بكثير..... لم يفهم ما الذي دفعه لقول عكس ما في داخله

-ولكن عندما اعود إلى بريطانيا ستكون هناك الكثير من المراسلات بيننا..... هل هذا مفهوم و لن تنساني مهما حدث

ضحك ضحكة صافيه على الرغم من أن حديثها عن الرحيل قبض قلبه ولكنه سيفعل ما بوسعه حتى يبقيها هنا وقد خطرت فكرة ما على باله فالتفت اليها قائلا سأنصب لك الخيمة بسرعه لكي تستريح قليلا فقد جهزت لك مفاجأة في المساء

-أنت على حق فأنا متعبه ولكن ما هي هذه المفاجئه ابتسم على فضولها أن

اخبرتك فلن تكون مفاجأه استلقت داخل الخيمه تنظر إليه من فتحه صغيره

بين الفينة والاخرى لتجده جالسا محله ينظر للاشيء وفي يده قشة يلعب بها في

أسنانه ليصلها صوته : نامي يا جانيت أنا اشعر بحركتك سوف يقتلك فضولك

هذا خرجت من الخيمة مكتفه يديها لصدرها لن أنام يا فتحي لا اريد أن أنام

الآن ومن ثم جلست على صخره بجانبه وهي تكمل حديثها : ثم إنه مازال

هناك وقت طويل حتى يحل المساء لنتحدث قليلا قبل أن انام

-إذا لابد أن هناك شيئا تريدين السؤال عنه غير المفاجئه طبعا

-حسنا لن أسال عن المفاجئه ؛ الأمر بخصوص كوكسن باشا هل لديك أى تخمينات بخصوص مقتله فقد سمعت أنهم اتهموا أحد أبناء عمده يدعي.....ووضعت يدها على فمها و قد استغرقت فى محاولة تذكر اسمه

-اسمه ابو زيد اتهموا ابنه خليل بالتحريض على قتله حتى إنهم وصلوا إلى اتهامه بالقتل ايضا

-ولكن لابد أنهم لم يتهموه عبثا

-اتهموه زورا لأنه رفض أن يعمل معهم فهو في الواقع حاصل على شهادة الدكتوراه في الزراعه من جامعة اكسفورد بلندن وكان سيفيدهم كثيرا ؛ كما أن الدكتور خليل قد حول قصر والده إلى مقر سياسي يجتمع فيه بالناس لتوعيتهم أهمية الدفاع عن بلادهم و أني لأجد أنه فعل ما لم يستطع الكثيرين فعله ؛ ولا بد أنه شاهد الحرية التي ينعم بها شعب بريطانيا خلال الثمانى سنوات التي قضاها هناك ؛ فأبت نفسه أن ترى هذا الذل والهوان قائم وهو قد قال في أحد خطبه أنه لم يقرر الثورة إلا عندما جاء إلى هنا وشاهد اضطهاد الانجليز للناس و أخذوا مواشيهم وجمالهم بالإضافة إلى المحاصيل بدعوى المجهود الحربي

-إنه مناضل حقا ولكن ما الذي يجعلك متأكد جدا أنه ليس من فعل ذلك

-إنه ليس من الدعاة إلى استخدام السلاح فهو يرى أنه يمكن استخدام السلم في الحصول على ما نريد

-اتمنى أن لا يؤخذ أحد ظلما في هذه الواقعه

-انهم لم ينتظروا التوصل إلى الفاعل فما إن عجزوا عن ايجاد دليل ضد ابن العمده حتى احرقوا بضعة بيوت في طريقهم قبل أن يخرجوا من البلد

-سوف يجد كل ظالم مصيبته يوما ما

ساد الصمت قليلا قبل أن تعاود هي الحديث: ماذا عن ذلك المناضل الآخر الذي يتحدث الناس عنه

- أتقصدين سعد زغلول

-نعم.....هل هو جيد بما فيه الكفايه كى تنصبوه زعيما عليكم

-ليس الأمر سوى أن الناس يريدون شخصا مسؤلا ينتشلهم من ما يعانونه وفى الواقع هو الآن يخوض معركة شرسه من أجل الإستقلال ولكن الاغلبية الساحقه هنا لا يجيدون القراءه فلا يعرف عنه إلا القليل ولو اقاموا ثورة فستكون غضبا من ما هم فيه من الاستعباد ؛ حيث أنه في الشهور الماضيه اتت إلينا أخبار من قنا أنه حدث اعتداء على الخفراء وشيخ الخفر فتم اطلاق النار عليهم وضربهم حتى الموت بواسطة الفلاحين

-إن الموضوع معقد جدا يا فتهى أشعر بأن رأسى بدأت تدور

- أنت متعبه اذهبى و نامى و عندما أعد الطعام سوف أوقظك

-أى لن تخبرنى عن المفاجأه

- جانيت لقد جعلتنى أندم كثًيرا لأننى أخبرتك

- حسنا يا فتهى لا داعى لكل هذا سوف أذهب للنوم .. .. فلست متشوقة لمعرفة مفاجأتك هذه

48

رتب القش الذي سينام عليه و وضع غطاءه والوساده التي اعطاها إياه الخواجه الذي يعمل عنده؛ وقد دله احد العاملين معه فى الأرض على هذا العمل بحيث

ينظف الحظيرة ويطعم الحيوانات مقابل البقاء والطعام ؛ ومنذ أن وضع فوهة البندقية على صدغ أبيه وهو تارك للبيت متيقنا أنه حتى و إن عاد فسيجدهم جميعا ساخطين عليه وهو اعتاد علي الشعور بالوحده بينهم فلن يكون الأمر سيئا كثيرا بالنسبه له إن اعيش بعيدا عنهم ؛ حتى عندما جاء عرس اخته عائشه لم يكن لديه أى نية في الذهاب لولا أن فتحي أتى إليه وطلب منه المجيئ فهو يكن الكثير من الاحترام لاخيه الاكبر على الرغم من أنه دائما يشعر بالغيره منه ؛ لأنه الابن المفضل والمختار لينال تعليمه ؛ بينما هو قد اختير من قبل والده كعبد يعمل في الحقول فكان أبوه بالنسبه له رمز الظلم الذي لا منازع له ؛ تناهى الى مسامعه صوت رجل ينادي في الخارج بوفاة أحدهم ؛ خرجت عيناه من محجريهما عندما تلا ذلك الصوت اسم المتوفي فلم يتمهل حيث خرج من بوابة الحظيره الى ذلك الرجل صاحب الصوت وقد كان راكبا على حمار موليا دبره له فناداه بصوت حازم : انت يا جدع خد تعالى هنا

-التفت اليه بوجهه عاوز إيه يا أخونا أنا مش فاضيلك

اقترب منه فانزله من الحمار ممسكا إياه من ياقة جلابيته يخنقه بها: يا كداب إزاي تقول كده عن الشيخ ده أنا لسه كنت معاه في صلاة الفجر جاهد المسكين كى يتملص منه واستغل لحظة ضعف منه فابتعد زاحفا وهو يهتف: يا ناس الحقوني يا ناس .....بعدوا المجنون ده عنى

ولحسن حظ ذلك المسكين كان هناك بعض الرجال العائدين من الحقل فامسكوا به وكانوا على معرفة سابقه به: مالك يا طه و مال الراجل هو أذاك في حاجه

كان طه ينفس النار من منخريه يفكر في مدى صحه قول هذا الرجل فلم ينبس ببنت شفه وتكلم الرجل بنبرة المغلوب على أمره : يا عم أنا واحد شغلتي بنادم على الناس اللي بتروح لخالقها وأنا النهارده بقالي من العصر بالف البلد كليتها وبنادم على شيخ اسمه محمود السيد من المحموديه....قوم الواد ده يطلع عليا و ماسك فى زمارة رقبتى يقول إنى كداب هو الموت فيه كدب يا أخوانا احكموا انتم
تحدث احدهم : اللي بيقولوا الراجل صحيح يا طه ولو عايز تتأكد بنفسك روح بيته

انفلت من بين أيديهم و ركض في الاتجاه المعاكس ولا زال هناك أمل فى قلبه أن يكون الأمر مجرد تشابه في الاسماء وحسب بينما الحقه الرجل ببضعه كلمات

محتجه: عيل قليل الادب بيتهجم عليا وأنا في عمر ابوه روح يا اخي إلهى لا يوفقك دنيا ولا آخره ؛ وصل إلى بيت الشيخ في وقت قياسى ليسمع نواح النساء فشعر بقبضه تعتصر قلبه فكيف للشيخ أن يتركه هكذا وحيدا في هذه الدنيا وسرعان ما استغفر ربه حينما تذكر أن في هذا اعتراض على قضاء الله و وقف على باب البيت يطرق عليه بيده يا اهل الدار كفايه نواح الشيخ راح للي أحسن مني و منكم وانتم كده هتسببوا له بالعذاب في القبر؛ ولكن النواح لم يهدأ وكأنه لم يقل شيئا ، انتفخت اوداجه غضبا على هؤلاء الناس الذين يصرون على البقاء في الجهل وتصم آذانهم عن سماع الحق وآثر أن يستخدم أسلوبا آخر معهم : يمين بالله لو سمعت حس واحده فيكم هنا ؛ لكون طاخخها عيار جايب أجلها و تروح ورا الشيخ و أنا مجنون و أعملها ، فلم يكد ينهي كلماته تلك حتى صمتوا جميعا فولى دبره عنهم إلى الخارج وهو يتمتم عالم ما تجيش غير بالعين الحمرا،استفسر من بعض الرجال فعلم أنهم قد دفنوه في قرافة البلد وعادوا منذ وقت قصير فذهب إلى القبر وبقي جالسا هناك يبكي ويدعوالله له أن يرحمه ويغفر له حينا ويتلو عليه ما تيسر له حفظه ؛ وكانت هذه هي أكثر لحظة تمنى فيها أن يكون حافظا لكتاب الله فيقرؤه عليه كاملا

49

جلس أمام النار يعدل عصيا قد علق فيها اسماكاً صغيره وثبتها في الأرض قريبا من النار وهو ينادي بصوت عالي : استيقظي يا جانيت

شعر بها تقترب منه فالتفت إليها براسه وقد كان جالسا موليا ظهره للخيمه التي تنام فيها :أرى انك قد استيقظتى بسرعه

-أجل أريد معرفة المفاجأه

-يا ليلتك يا فتحي ما كان عليك اخبارها منذ البدايه تنحح محاولا تنظيم كلماته: في الحقيقه لا أعلم إن كانت المفاجأة ستكون جيده بالنسبه لك أم سيئه

-حسنا يا فتهى قل ودعني احكم بنفسي

-اسمعي أنا لا احب اللف والدوران أنا اريد الزواج بك لأني وجدت أن هناك مشاعر خاصة لك من جهتي فهل هناك إمكانية لتوافقي علي

شعرت بحراره تسري في جسدها من فرط الخجل : هل كان حقا طوال الوقت معجبا بي وأنا غبيه لم الحظ ذلك وجدت نفسها تقف وهي تتحدث بصوت منخفض و لا تعلم إن وصل له أو لا : عن إذنك يا فتهى

-خذي الوقت الذي تريدينه في التفكير يا جانيت لن اجبرك على شيء دخلت إلى الخيمة دون أن تجيب فشعر بالقلق وفي الواقع كان يتوقع الرفض بنسبة كبيره ولكن بما أنها صمتت ولم تجبه فلابد أن هناك أمل فى أن يحظى بالموافقه ؛ أما عنها فقد جلست في الخيمة منكمشه على نفسها تنزل الدموع من عينيها دون حساب حائرة فى أمرها فهي دائما تفتقده عندما لا يكون معها وتشعر بقلبها يطير فرحا عندما تذهب إلى أى مكان معه وها هو يقدم لها فرصة البقاء معه وللأبد دون طلب منها أو جهد ، بقى كل منهما مستيقظا حتى الصباح فما إن اشرقت الشمس حتى سارع كل منهما بلملمة حاجياته فى صمت من كليهما و استمر ذلك الصمت الى أن بلغا ديروط وما إن همت بدخول المنزل حتى اوقفها :متى ستردين علي

- أنا موافقه يا فتهى

شعر بأن صاعقة قد اصابته فحتى إن كان هناك أمل في الموافقه فلم يتوقع أن تكون بهذه السرعه: هل حقا ما سمعته

اومات برأسها وما زالت مولية ظهرها له فتحدث في حبور: أنا سعيد حقاً وأعدك أن لا تندمي على موافقتك

وضعت المفتاح في الباب وهمت بالدخول فأوقفها وهو يبحث في جيب بنطاله وقد تذكر شيئا : اعطني يدك اليمنى ويكفي خجلا

التفت اليه فضحك على وجهها الذي انقلب إلى اللون الاحمر ولكنه اخفاها بسرعه كي لا يحرجها أكثر من هذا وكان قد امسك علبة صغيره واخرج منها خاتم ذهب و وضعه في بنصرها وهو يقول إنه لجدتي اوصتني ان ألبسه للفتاة التي سوف تدخل قلبي

-لو عرفت أنها انجليزيه لرفضت أن تعطيني الخاتم

-لا اظن ذلك فجدتي تؤمن بالحب وانت ايضا لم تؤذنا في شيء حتى نصنفك معهم

دخلت إلى الداخل مغلقة الباب في وجهه فانفجر ضاحكا وهو يحدث نفسه : يا الهي ما كل هذا الخجل الذي ظهر فجأه يا ليتني كنت طلبت منها الزواج منذ وقت

صعدت إلى الأعلى وهي تغني أغنية تحبها وسرعان ما شغلت الجرامفون الموضوع في الصالون وقد افرغت وسطه من الأثاث و بدأت بالرقص والدندنه

والدوران حول نفسها ليأخذ الفستان شكل دوائر حولها ؛ خرجت مربيتها من غرفتها على صوت الموسيقي ماذا هناك يا جانيت ؟ ما كل هذا الفرح اسعديني معك و دون سابق انذار امسكت بها تراقصها فضحكت المربيه: أنا سعيده بسعادتك يا بنيتى ولكن ارجوكوارقصي بهدوء فأنا قد شخت ولم أعد قادرة على القيام بهذه المجهودات فكم رقصت في شبابي و لكن جانيت لم تزد إلا مرًحا و تشبثا بيد مربيتها لتجلسا على الأريكة بعد أن نال التعب من جانيت فأخذت تتحدث المربية وهى تلهث والآن اخبريني ماذا هناك ؟ امسكت بكلتا يديها تنظر إليها بوجه ينطق بالسعاده لقد طلب فتهى يدي للزواج وأنا وافقت ومن ثم رفعت اصبعها الذى يحوى الخاتم و هى تقول : انظرى يا مربيتى

-أتقصدين مرشدك ذاك

-أجل يا مربيتي

انقلب وجه المربية الى الضيق: ما هذا الذي تقولينه، يا جانيت هل انت بوعيك

-ما الخطأ في فتهي على العكس إنه رجل ناضج وعلى درجه كبيره من الوعى والثقافه

-كيف تريدين الاقتران برجل شرقي

-,ما المشكله في هذا كثير من السيدات الانجليزيات تزوجن مثل هذه الزيجه

-تزوجن برجال ذوو منصب ومال أما هذا فيبدو أنه يجد ما يسد رمقه بصعوبه

شعرت بالغضب من طريقه حديث مربيتها :أنا لا اريد أصحاب المناصب فليذهبوا إلى الجحيم ومن ثم ذهبت الى غرفتها دون ان تنتظر ردا فتحدثت تريذا بصوت مرتفع موصلة صوتها اليها :عندما يعلم القائد سوف تثور ثائرته اجابتها بنفس نبره الصوت المرتفع : فليفعل ما يحلو له نحن لسنا في غابه

جلس طه في أحد مساجد أسيوط يصلي الجمعه وقد جاء خصيصا لكى يستمع إلى خطبة الشيخ محمود أبو العيون حيث حدثه الشيخ رحمه الله عنه كثيرا وكيف أنه معجب بمعتقداته وخطبه فشعر بالفضول لرؤيه ذلك الرجل الذي سلب لب شيخه ولم يلبس أن رأي من يصعد على المنبر فعرف أنه هو والحق أنه عندما بدأ خطبته شعر ببلاغته وحسن حديثه وعلم من الناس حوله أنه يعمل مدرسا في الجامع الازهر وقد أخذه عقله إلى أمور لم يكن يفكر بها ؛

وتحدث عن الوطنيه وضروره رد أذى الانجليزي واخراجهم من البلاد فشعر بالعجب كثيرا فهو منذ أن ولد وهو يرى الانجليز لكنه لم يفكر قط أنه بالإمكان أن يرحلوا وادرك أن هذا الرجل على درجه عاليه من الوعي وتمنى حقا من صميم قلبه أن يحدث هذا فلربما تتحقق الاماني التى طالما حلم بها

51

جلست على الكرسي أمام مكتب القائد تنتظره وقد اخبرها الجندي وهي فى العياده أن القائد يطلبها ولكنها عندما دخلت لم تجده ترى أين هو وفيما يريدني هل يعقل أن تكون المربية قد اخبرته بالأمر هدأت من روعها واقنعت نفسها بأنها لم تفعل شيئا يدعو للخجل حتى تكون متوترة كل هذا التوتر وبين ما هي كذلك دخل عليها القائد محييا : صباح الخير سيده جانيت

نهضت من كرسيها احتراما له :صباح الخير أيها القائد اخبرني أحد الجنود أنك تريدني

أجل..... انت تعلمين سبب استدعائي لك

-اظن أني لم افعل شيئا خاطئا أيها القائد

تحدث بحزم فشعرت بشيء من الخوف: والدك ارسلك إلى هنا لكي تعودى له بعد فترة معينه لا أن تتزوجي وتمكثى هنا ؛ هذا المكان لا يليق بك ايتها الطبيبه وإن اصررتى على ما في رأسك فيمكنني أن اتخلص بكل سهوله من ذلك المدعو فتحي و لن تتمكني حتى من جعلهم يقاضونني فسيكون قتلا نظيفا دون اي دليل

-ماذا تقول ! يا لك من متوحش

-لقد انتهى كلامى و لسوف اتغاضى عن إهانتك لى من أجل معزة والدك عندى

خرجت من المكتب وكل غضب الدنيا أمامها فاخذت حقيبتها و غادرت المعسكر وسط تساؤلات الجنود فلم يمضي علي مجيئها سوى القليل وقد رآها الملازم هارولد فنادى عليها لكنها لم تبدى أى ردة فعل واكملت طريقها متجاهله له ؛ قابلت في طريقها أرضا زراعيه فدخلت وسط حشائشها الطويله وجلست وسرعان ما فاضت دموعها من ما قيل فهذه أول مرة تقف الظروف أمامها ؛ زواجها من فتحى هو حلم جميل هل عليها أن تترك هذا الحلم دون أدني مقاومه ولكنه سيلقي حتفه إن اقتربت منه ؛ إنها تخاف عليه من الشوكه فهل تتحمل أن يحدث له مكروه بالتأكيد لا ؛ مسحت دموعها وقررت أن على

هذا الأمر أن ينتهي في اقرب وقت وتوجهت إلى الكتاب فهذا اليوم الذي يكون فيه هناك وقد حفظت طرق المدينه نوع ما

52

اعطى تلاميذه استراحه ليتناولوا طعامهم ومن ثم اخرج منديلا سكريا مطرزا بالورود من على حوافه من جيب قميصه يتأمله فكلما أراد أن يشعر بوجودها معه نظر إلى هذا المنديل وكانت قد ضمدت له جرحه به يوم أن صدمته تلك العربه فأخذه خفية دون أن تلحظ ؛ وضعه في ملابسه و قرر الاحتفاظ به لنفسه والمفاجأة أن وجدها واقفة أمامه فأخفى المنديل في قبضة يده سريعا قبل أن تلحظه و وقف وهو يقول : صباح الخير ياجانيت .....ما هذا النور

- صباح النور.....هل لنا أن نتحدث قليلا

- تفضلى بالجلوس أولا.....ما بك مكفهرة الوجه

-فتحي يجب أن ننفصل

-ما هذا الكلام الذي تقولينه و لم يمضي اسبوع على خطبتنا ومن ثم نظر لها نظرة عتب وماذا حدث بفتهى !

شعرت بالاندهاش لملاحظته أنها غيرت طريقه نطق اسم فتحي في الحقيقة قد تعلمت نطقه في الآونة الأخيرة بشكل صحيح ؛ ولكنها فضلت أن تناديه باسمه الخاطئ أما الان فقد قررت التخلي عن كل شيء يمكن أن يكون خاصا به وللأبد فيكفى أن يكون على قيد الحياة وحسب

-ليس هذا موضوع حديثنا؛ تحدثت مع القائد وسأعود الى بريطانيا في أول باخره وسأغادر إلى القاهره نهاية هذا الاسبوع

-هل هذه لعبه يا جانيت توافقين ثم ترفضين بكل سهوله

اخرجت الخاتم الذي أعطاه اياها من يدها وهي تقول ليست لعبه ولكنى حره في اختيارتى و اخبرتك بأنى لن استطيع العيش هنا ؛ فهم من حديثها أنها مصرة علي رأيها ولا يريد أن ينزع كرامته بترجيها أكثر؛ كما أنه لا يستطيع ترك المكان الذي ولد فيه أو بالأحرى ترك اهله ؛ إذا كنت تريدين الإنفصال فليكن ولكن ارجوك ابقى الخاتم معك ليكن ذكرى مني..... هذا هو رجائى الاخير

-حسنا.....وداعا

شعربأن روحه تسحب منه وهي ترحل أمامه ولكنه جاهد كي لا يظهر انفعالاته فكرامته هي أهم شيء لديه حتى و لو كان الثمن الموت

53

مر شهر فبراير عصيا على الجميع فغرق فتحى فى أحزانه الخاصه فلا يفعل شيئا سوى الذهاب إلى المدرسة أو حضور ندوات خليل أبو زيد التى يعقدها فى قصره بين الفينة و الأخرى أما طه فقد كان يحاول تجاوز موت الشيخ وقد حرص على حضور خطب الشيخ ابو العيون كلما اتيحت له الفرصه أما الاب فلا زال مع ذكرياته في سيناء وعائشه تحاول التاقلم مع حياتها الجديده في الصحراء

وقف في نافذة غرفته تراقب عيناه الشارع بينما عقله مسافر إلى الماضي فتلك اللحظات التى يودع فيها محبوبته عند محطة القطار تتكرر أمام عينيه فكان يتمنى لو تجدى توسلاته نفعا فقد مكث طيلة ثلاثة أيام يفكر في السبب الذي يجعلها تتراجع عن الزواج ومن ثم وبعد استشارة من أحد اصدقائه قرر أن يحاول معها مجددا ذهب الى بيتها فتفاجئ بعدم وجود أحد وعندما سأل الجيران اخبرهم بأنها غادرت مع حقائبها منذ عشر دقائق فخمن أنها ذاهبة إلى القطار ولحسن حظه لحق بها قبل أن تصعد وقف خلفها واضعاً يديه في جيوب بنطاله باذلا جهده كى يحافظ على رزانته كى لا تنكشف حالته المزرية أمامها:هل أنت مصرة على الذهاب يا جانيت .

-التفتت فقرأ أمارات المفاجئه التي ارتسمت على ملامح وجهها : فتحي ماذا تفعل هنا ؟

-اتيت لأسالك مرة أخرى البقاء

-لا استطيع

-لماذا؟

أنا لست الفتاة القويه التي تظن فأنا لدي أب ينتظرني في بريطانيا ولدى حياة كامله هناك

اجابها بهدوء مصطنع: يمكنك زيارتهم متى شئت

-هل الامر بهذه السهوله؟

-نعم لماذا تصرين على تعقيد الامور وهي بسيطه

-لو افترضنا اني تزوجت بك فلن اصمد سوى بضعة شهور

-بالله عليك يا جانيت كيف تحكمين على شيء دون أن تجربي

-يكفي يا فتحي يكفي ارجوك دعني وشأني أنت لا يمكن أن تفهمنى

ابتلع مرارة تجمعت في فمه من جراء حديثها ومن ثم ولى دبره وهو يقول : سوف اتركك و شأنك يا جانيت يبدو أننى قد عذبتك كثيرا معي كانت تريد أن توقفه وتقول له: إنها لم تعرف السعاده إلا بوجوده فكيف يقول أنه سبب عذابها ولكنها عادت وذكرت نفسها بما سيحدث إن بقيت معه و أخذت تعد الدقائق الباقيه لوصول القطار حتى تذهب من هذا المكان الذي بدأت تختنق فيه

استيقظ من شروده على صوت فتح باب الغرفه فقال دون أن ينظر خلفه : اتأخرت ليه يا مصطفى.....إحنا بقينا فى نص الليل

دخل إلى الداخل وجلس على سرير يخلع حذائه وهو يجيبه : اللي يشوفك وانت بتتكلم يقول إنك كنت بتعمل حاجه مفيده وأنا اللي كنت بلعب فى القهوه وانت أصلا قاعد في الشباك من ساعة ما مشيت

لم يجبه فتنهد مكملا حديثه : يا ابني أنت هتفضل كده لحد امتى من ساعة ما السنيوره سابت البلد وانت مش على بعضك لا بتسهر معانا في القهوه يدوبك تطلع من المدرسه على هنا

تحدث بحزم ولا يزال ينظر من النافذه :أنا حذرتك قبل كده يا مصطفى انك تجيب سيره جانيت على لسانك ولو بالكنايه مش معنى إنى حكيت لك عنها إنك تتمادى

-إحنا آسفين يا عم ومن ثم ضرب بيده جبهته وهو يتابع: يوه عليك يا فتحي نسيتني الحاجه المهمه اللي كنت هاقولهالك

تحرك من أمام النافذه وجلس على السرير المقابل لسرير مصطفى : اشجينى

-البلد مخروبه والناس كلياتها مش وراها غير سيرة سعد زغلول واصحابه

تحدث بسخريه وهو ينظر الى سقف الغرفه واضعا يديه اسفل راسه : ماله سعد طرد البريطانيين

-بطل هزار يا ابني الموضوع جد سعد زغلول اتنفى بره مصر من يومين والقاهره مقلوبه بيقولوا الناس عاملين ثوره وشكل الدنيا هتتقلب بكره الناس على آخرها

أخذ وضعية النوم وتغطى باللحاف قائلا : إحنا ملناش دعوه هنروح بكره المدرسه ولا كأن في أى حاجه ده الأفضل

رمى الآخر نفسه على الفراش :طيب يا اخويا.... بس خدني في يدك وأنت ماشى الصبح لأحسن لو اتأخرت تاني المدير هيفرج على أمة لا اله الا الله

54

كان جالسا على المكتب يردد بعض أبيات الشعر من كتاب امسكه في يده ليأتيه صوت من خلفه لشاب مثله جالس على الكرسي بطريقة مقلوبه هتفضل ماسك الكتاب كده لحد امتى

-لحد ما احس إنى عايز أنام بصراحه الاستاذ فتحي شجعني جدا على الاجتهاد

-هنعمل إيه بكره في اصدقاء بيقولوا إنهم ناويين بكره على الإضراب التفت له وقد بدأت شعلة الحماس تغلى فى عروق ليظهر ذلك جليا على وجهه الذى شابته بعض الحمره: أيوه يا عبد الرحمن لازم الخطوه دي تتم ومش هنكتفى بالإضراب هنطلع مظاهرات ونهتف بأعلى صوت : سعد سعد يحيا سعد

مش كفايه الظلم اللي عايشين فيه يقوموا ياخدوا آخر امل لينا في الخلاص

-طب يلا ننام يا عمي طارق و إلا هتروح علينا نومه و من ثم تابع وهو يضحك والثوره هتفوتنا

55

سار فتحي ومصطفى في الشارع ولا يزال كلام الأمس يتردد على لسانهما ليتفاجئا بالأساتذة واقفين على بوابة المدرسه على غير العاده وقد وصل إلى مسامعهم أصوات تخرج من الداخل ؛ فاقترب فتحي من أحد الأساتذه يسأله فاخبره أن الطلاب يرفضون دخول فصولهم وقد جلسوا متربعين فى فناء المدرسه ؛ وقف فتحى ينظر إلى فناء المدرسه المكتظ وهو يشعر بمهابة الموقف فأين هم من هؤلاء الشباب الذين يبدو أنهم طاف بهم الكيل و قد رفض الاستسلام الذي أبدوه ؛ و لم يمضي الكثير من الوقت حتى مر بجانب المدرسة مظاهرة حاشده ممثلة خليطا من جميع فئات الشعب و طلاب أيضا فعلم أن مدرستهم ليست الوحيده التي اضرب طلابها وسرعان ما انضم طلاب المدرسه إليهم فقابل طالبه

المجد طارق الذي ما إن رآه حتى سلم عليه بحبور: أخيرا سوف نتحرر يا أستاذ فتحي

- انت مش خايف يا طارق انت لسه في ريعان الشباب و قدامك حياه طويله

-صدقني يا أستاذ لو الحياه دي هتخليني اشوف وشوش الجنود الانجليز والخونه فأنا مش عايزها

ربت علي كتفه وقد شعر بالفخر أن تعرف على هذا الطالب في يوم من الأيام ربنا يحميك يا ابني

-تعال معنا يا استاذ هتحس بطعم الحريه

شعر بأن مجيئه معهم أو بقائه سواء فهو لم يعد يهتم لأي شيء : أنا هاجى معاكم مش علشان أنا مقتنع باللي انتم بتعملوه ده علشان أنا خايف عليكم ؛عقد بعض المسؤولين عن بندر أسيوط اجتماعا للتحدث عن حاله المظاهرات التي سادت وقد تبين خلال هذا الإجتماع ضعف القوات العسكريه ؛ على مواجهة المظاهرات وعلى رأسهم مدير مديريه أسيوط والذي استهل اجتماعه باخبارهم بكون القائد واطسن قد أمره بإخماد المظاهرات بأى وسيله ممكنه ليجيبه محمد كامل مأمور البندر؛ بأن هذا الأمر مستحيل طالما أن قوة البندر العسكرية ضعيفه[56]

وضع العلف أمام الأحصنه وهو يفكر في الحال التي اصبحت عليها ديروط فالناس يخرجون في مظاهرات يوميا وقد أدى مجيئ طلاب الجامعات من القاهره نتيجه لتوقف الدراسه إلى بث المزيد من الروح الوطنية في نفوس الناس إلا أنه لم و لن يشارك في هذا الأمر لأنه و بكل بساطه لا يحب تخطى المألوف أو الخروج من القفص الذي يحبس فيه نفسه دائما؛ صحيح أن خطب الشيخ محمود ابو العيون التي كان يحضرها أثرت فيه نوعا ما إلا أنها لم تصل به إلى مرحله التطبيق ويتمنى أن تمر هذه العاصفة بدون ضحايا ؛ و شعر ببعض القلق على فتحي فلا يعرف إن كان يخرج فى المظاهرات أم أنه متواجد في السكن وقد سمع عن توقف المدارس عن العمل يدعو االله فى سره أن يحفظ له اخوته و والديه

57

جلس أمام حقيبه ملابسه يقلب أظرفا بيضاء في يده لا يجرؤ على فتح أى منها ومن ثم أعادها إلى مكانها فتحدث حينها الجالس مقابله بملل :برودك ده يا اخي هيجيب لي الجلطه أنا مش عارف إزاى ما فتحتش ولا رساله من اللى بعتتهم لك و يا ريت رميتهم كنا قلنا خلاص نسيتها شايلهم معاك وكل يوم تقعد نفس القعده المهببه دي

-ما تدخلش في حاجه ما تخصكش

-ما تخصنيش إزاي بقى ده احنا بقينا عشرة عمر بقالنا ست سنين ساكنين مع بعض و شغالين مع بعض وتقول لي الكلام ده

-خلاص يا مصطفى أنا مخنوق دلوقتي

انقلب مصطفى على الجهة المعاكسه له على السرير وتجاهله فنهض فتحى يرتدي معطف وقد شعر بالاختناق من وجوده في الغرفه وهو يوجه حديثه إليه :انا هطلع اتمشي شويه

-روح يا اخي بدل ما تطلع بقيت عفاريتك علينا

سار في الشوارع والتي كانت مزدحمة بعض الشيء فما زال الوقت مبكرا على حظر التجوال و قد قاربت الشمس على المغيب ذهب فكره الى ما حدث في الأيام الأربعة الماضيه حيث المظاهرات السلميه والتي وجد نفسه يشارك فيها الواحدة تلو الأخرى ولا يعلم هل هو هرب من الحزن العميق الذي يعتريه أنه أنه حماسة الشباب انتقلت إليه ، وقد تضايق كثيرا عندما سمع بأمر الاعتقالات التي طالت العديد من الثوار وقد تواردت الانباء من السجن أنهم قد تعرضوا للإهانة والتعذيب فهل ستكون هذه الممارسات شوكة في حلق الاهالي أم ستزيدهم قوه بالتأكيد ستبين الأيام ذلك

58

اجتمعت جموع الناس التي بلغت الالاف في ساعات الصباح الأولى أمام محطة القطار بمنفلوط يستمعون إلى الخطابات الحماسية لكل من خليل ابوزيد والمحامي جرجس وبعض أعيان منفلوط وقد صم صياحهم الغاضب ضد الانجليز الآذان ووسط هذه الجموع الغفيره هم خليل ابو زيد والاعيان بركوب القطار إلا أن ناظر المحطة الانجليزي أعلن تعطل القطار المتجه إلى ديروط ؛ حيث مكان اجتماعهم بأعيان بندر ديروط فانتظروا قطارا آخر قادما من الاقصر

و ما إن وصل حتى احتشد المئات فيه و بلغ بهم الأمر أن صعدوا على القطار حتى لم يبقى موطئ قدم وقد حدهم على ذلك رغبتهم فى حضور الاجتماع الذى سيعقد بديروط وفوجئ خليل ومن معه عندما ذهبوا إلى عربة الطعام بضباط انجليز مشهرين أسلحتهم في وجههم فرفع يديه جانبا وقلده من معه وهو يحادثهم: نحن لم نأتي الى هنا لقتلكم

وحين رأى الضباط صدقهم انزلوا أسلحتهم فجلس على كرسي قريب منهم وهو يوجه حديثه إلى الذي يبدو أنه أعلى رتبه ؛ حيث خمن من يكون بسبب معرفته مسبقا من بعض العناصر الموجودة في الشرطه والمساندة للمعارضه من أن القائد الانجليزي بوب مفتش السجون للوجه القبلي متجه إلى القاهره ، فمد يده يصافحه وهو يقول لا بد أنك القائد بوب إلا أن الآخر نظر ليده باستعلاء وترك يده معلقه في الهواء فأعادها الى جانبه متابعاحديثه : نحن لا نطلب مطالب صعبه يا سيدي أو ليست من حقنا فقد وعدتمونا بالإستقلال ولكنكم أخلفتم بوعدكم وأنا أرى بأنه يجب النزول عند هذا المطلب الشعبي في إنهاء الاحتلال والافراج عن سعد زغلول

-ما هذا الهراء الذي تقوله انتم لا تدركون نعمة وجودنا فلولانا لتخبطتم وصرتم الى الهلاك

59

قرر الذهاب اليوم إلى منزلهم ليطمئن على والدته وقد باتت وحيدة بعد أن تزوجت عائشه وذهاب فتحي الى أسيوط ما عدا ذلك الشيخ المسمى والده الذي يسكن معها ولم يغادر البيت إلا لأن فتحي حذره من أن يتعرض لوالده مرة أخرى فقرر ترك البيت بأكمله يشبع به هوووالده ومن حسن حظه أنه لم يكن هناك عمل كثيرا فها هو قد انهي عمله قبل أن يؤذن الظهر ؛ وجد باب البيت مفتوحاً و صوت والدته من الداخل يشبه النواح فدخل بسرعه وقد أصابه الفزع فهو ليس مستعدا لفقد أحد آخر حتى ولو كان والده وقد كانت متربعة على الأرض في وسط الفناء مجتمع حولها نسوة من جيرانهم فتنحنح وهو غاض لبصره كي ينبههم إلى دخوله وما إن رأينه حتى نهضن وكل واحدة منهن تربت على كتف والدته وتهمهم باشياء لم يفهمها وما إن خرجت آخر واحده حتى اغلق الباب خلفها وجلس بجانب والدته:في إيه يا أمه..... إيه اللي حصل
-أبوك يا ولدى

سقطه قلبه في قدميه وحاول أن يتحلى برباطة الجأش حتى يسألها عما حدث و كأن لسانه عقد فنظرت إليه بعينين متوسلتين :أنا عارفه انك بتكرهه بس ده مهما كان ابوك يا ابني

شعر بأنه قد ضاق ذرًعا فتحدث بحزم: في إيه يا أمه إيه اللي حصل

-ابوك جايب سلاح وراح ناحية محطة القطر بيقول إن انجليز جايين فيه وهو هيموتهم

- ده اتجنن ده و لا إيه

- روح يا ابني وراه رجعه هو طالع من شويه قليلين

تفقد الشوارع المؤدية إلى المحطه يبحث عنه فمؤكد أنه لم يبتعد كثيرا ليصدق حدثه وقد وجده جالسا على عتبة أحد البيوت مستندا إلى بندقيته ففهم أنه قد اصيب بالتعب فهو يلهث بشكل ملحوظ وقد اصابت هذه الصورة التي رأى والده عليها مكانا في قلبه فقد كبر والده في السن وهو لم يلاحظ ذلك و هو مستمر في عنجهيته و تغطرسه معه اقترب منه و بدأ بالحديث معه بطريقة عدوانيه فلم يستطع أن يرققها : بتعمل إيه هنا

نظر إليه بسخريه ومن ثم اعاد نظره إلى الأرض: والله و جه اليوم يا طه إللى تامرني فيه كأني اصغر عيالك

هزته الجمله من أعماقه ولكنه أراد أن لا يظهر بمظهر المخطئ أمامه :انت أصلا مش فالح غير إن انت مش بتفتكر ابوتك إلا لما حد من عيالك يغلط لكن عمرك فكرت تعلمني وأنا طلبتها منك مية مره ؛ عمرك فكرت تحاول تخرجني من شغل الارض حكمت على إنى أفضل جاهل بس فتحي هو اللي يتعلم مع إنى مش فرق بيننا غير تلات سنين وصلت للسن ده ومشعارف اجيب قرشين اتجوز حتى وفتحي كان هيساعدني بس أنا رفضت علشان كرامتي ما تسمحليش امد إيدى لأخويا

-خلصت كلامك

كانت هذه هي إجابة والده الغير متوقعه على كلامه فبهت ليتابع جاد حديثه: بص يا ابني أنا عارف إنى كنت قاسي عليك واني معلمتكش زى اخوك بس مش ذنبي إن فتحي اتولد قبلك ما كنش في يدي فلوس إنى أعلم اتنين وانت عارف كده مش محتاج اقول لك كل اللي اقدر أقوله إنك تحمد ربنا إنها جت على شغلك فى الأرض واللي انت متعرفوش انى بعت دهب امك علشان خاطر ادفع رشوه

تخليهم يودوني أنا للحرب ويسبوك ؛ كانت الصدمة شديدة عليه فلم يحرك ساكنا وفتح فمه عن آخره فلم يستطع أن ينبس بنت شفه ، نهض من مكانه مستنداً بيده على البندقيه :أن بقول الكلام ده مش علشان اكسرك ما عاش من يكسرك يا ابني أنا بس خايف اموت و أنت لسه غضبان على..... الدنيا مش مستاهله تزعل عليها وتضيع شبابك وصحتك فيها

-انت لزمن تروح ؟

-أيوه هروح اخد بحقى وحق كل اصحابي اللي ماتوا قدامي وحق كل الشباب اللي اتهجروا من بلادهم أو شغلوهم زي التيران في الارض وجد نفسه يتقدم منه ويحمله على ظهره على حين غرة منه فظهرت ملامح الغضب علي جاد: نزلني يا طه

-لو عايز تروح هنروح مع بعض يا إما هاخدك على البيت

-خلاص يا طه و انت راسك ناشفه زي أبوك

ضحك كلاهما و انتهز طه فرصة الصفاء بينهما :أنا آسف يا ابوي على كل حاجه

-ما تقولش كده يا ابني لما تتجوز و تجيب عيال هتعرف إن الضنا غالي

60

وصل القطار إلى ديروط و كان خليل قد وصل إلى اقصى حالات غضبه بسبب غطرسة مفتش السجون وما إن نزل من القطار حتى وجد جموعا غفيره من الأعيان وشعب ديروط ينتظرونه فاخذوه بالأحضان أطلقت المحطه صافره انطلاق القطار فقفز جرجس حنا خاطبا في الناس داعيا لهم ألا يدعو القطار يرحل وصاح عبد الرحمن ابو زيد قائلا يا أهل ديروط عليكم أن تفعلوا اليوم ما كان يجب عليكم فعله منذ زمن فها هو القطار يجلس فيه قائد انجليزي سليط اللسان لا يريد لمصر خيرا 61

وصل طه الى محطه القطار وعلى ظهره والده ليجد الناس وهم يتدافعون ناحية القطار فأنزل والده وامسك بندقيته وهو يقول :خليك هنا يا ابوي وأنا هعمل كل المطلوب

حاول والده اللحاق به وهو ينادي عليه: استني يا فتحي ولكن اصابته منعته من التقدم بين جموع الناس المتزاحمه ؛ اقترب طه من القطار وقفز داخله مع من قفز على الرغم من أن سائق القطار الانجليزي قد انطلق به داهسا فى طريقه بعض الذين كانوا واقفين على القضبان فتمزقت أجساد العشرات منهم و

تطايرت الأشلاء فى كل مكان و لكن ذلك لم يمنع ان المصريين تمكنوا من دخول القطار فلم يصل إلى ديرمواس إلا وقد مزقوا مفتش السجون بوب وضابط برتبة ميجور يدعي جارفي و آخر برتبه ملازم يدعى ويلى وخمسة جنود آخرين ؛ وساروا بجثثهم في ديرمواس يستعرضونها وكان طه قد اعمل فيهم سلاحه أيضا فلم يرد أن يفوت على نفسه هذه الفرصة الثمينه

62

كان فتحي يتقلب في فراشه وقد بدا أنه يشاهد حلما مزعجا ؛ استيقظ بعد مدة قصيره و شعر بالاختناق و قد تسارعت نبضات قلبه فامسك بكوب ماء بجانبه يتجرع منه محاولا تهدئة نفسه ؛ نظر إلى النافذه التي تطرق بالحجاره من وقت و يبدو أن صوتها هو الذي ايقظه من ذلك الكابوس المرعب و خمن أنه طارق فحمد الله أنه اتى فى الوقت المناسب ينتشله من تلك الكوابيس التي تقض مضجعه نظر من النافذة وتحدث بهمس : يكفي يا طارق أنا قادم
جاوبه بنفس الهمس: ماذا افعل يا أستاذ نومك ثقيل جدا فابتسم له ممازحا:حسنا انا قادم يا قليل الادب
كان معتادا أن ياتي طارق إليه كل صباح ويجوبون البلد بحثا عن مظاهرة يشتركون فيها أما مصطفى فقد عاد إلى بلده منفلوط كى يهتم بامه التى تعيش وحدها هناك خوفا عليها من بطش الانجليز ؛ تفاجئوا باحتشاد نحو ما يقارب الألف شخص أمام قسم البوليس وعلم أنه قد صدرت أوامر للباكباشى محمد كامل مأمور البندر لمواجهتهم بالقوه ولكنهم لم يهتموا ووقفوا ينتظرون مصيرهم ؛ ذهلوا بخروج البكباشي محمد كامل وقد طلب منهم الدخول إلى القسم وأخذ ما يشاءون من الاسلحه فاتحا لهم غرفة السلاح 'السلاحليك' فأخذ فتحي بندقيته ومنع طارق من الأخذ مثله ؛ نظر بعين الاعتبار أن لا تمسك يد تعشق القلم سلاحا وعلى الرغم من عدم اقتناع طارق بهذا إلا أنه اجبر على الانصياع لأمر استاذه وفي ذات الوقت ارسل الانجليز قواتهم شمال ترعة الابراهيميه واشتبكوا مع الثوار فاشتشهد بعضهم مما جعل الثوار يغضبون ويشعلون النار في التبن المخصص لخيول الانجليز ودمروا المكبس واصبحت اسيوط كتله من اللهب و استمرت النيران مشتعلة فيها عدة أيام وهرب الكثير من الناس إلى الصحراء والتجأوا إلى الكهوف خوفا من بطش الانجليز ولم تمض سوى أيام قلائل حتى حاصر الثوار الانجليز الذين التجأوا مع الاجانب إلى المدرسة الاميرية الثانويه

حل الليل وبدت الشوارع ساكنه وكأن ساكنيها استحالوا إلى أشباح ؛ تجول فتحي في الطرقات واضعا بندقيته على كتفه بينما يسير طارق بجانبه وهما يتفقدان الشوارع من أجل أمان الناس خوفا من تسرب اصحاب الأهداف الدنيئه فالتفت اليه وهو يبتسم: فرحان يا طارق بالانجازات اللى عملناها اليومين دول

-طبعا يا استاذي ومن ثم تابع وقد اكفهر وجهه ولو إنى مخنوق إن إحنا فقدنا ناس كتير

-دي النتيجه الطبيعيه لما بنواجه قوه مسلحه بامكانياتنا الضعيفه

-احنا ممكن ننجح يا استاذ في هزيمتهم

-أظن هجومنا عليهم المرادي هيكون مثمر

-ارجوك يا استاذي نفسى اشارك في الهجوم ده

-ماشي يا طارق غلبتني هادبرلك امر سلاح

-شكرا ليك جدا يا أستاذ

وكان فتحي متشوقا لهذا الهجوم اكثر من أى أحد حيث شاهد قائد المعسكر ولا بد أنه اتي الى هنا بعد أن تم تدمير معسكر ديروط وتوعد له في نفسه أن يأخذ بثأر عائشه منه

63

جلسوا على مائدة العشاء يتناولون طعامهم فكانت عائشه تنظر له بين الفينة والاخرى

- قولى إللى فى قلبك يا عائشه

تركت الطعام من يدها وظهر توترها :أنا سمعت الناس بيتكلموا بره إن فى ضباط انجليز اتقتلوا في ديروط وانت في اليوم ده كنت في ديروط يعنى كنت معاهم

-أيوه يا عائشه كنت معاهم وازيدك من الشعر بيت أنا شاركت في القتل

-أنا مفتخره بيك يا على بس خايفه الإنجليز ياخدوك و يعملوا فيك حاجه ومن ثم اتبعت كلماتها بالبكاء ليقترب منها و يربت على كتفها : اسمعيني ياعائشه أنا عارف إن الفقد وحش بس أنا مش ملك لأى حد غير بلدى ومستعد اضحى

بحياتى عشان المكان اللي عشت واتربيت فيه وانا عاوزك تصبرى مش ممكن الثوره تنجح و نطردهم بره بلدنا

تحدثت من بين شهقاتها :يا رب يا علي النهارده قبل بكره

-ان شاء الله بس انت خليك مؤمنه بكده

-وانت خذ بالك من نفسك في أى مكان تروحه

-حاضر

عادت لترتبك وهي تشبك أصابعها : و كنت عايزه اسأل سؤال تانى

-قولي يا عائشه مفيش داعي لكل الارتباك ده عشان عايزه تسألي سؤال أنا مش عارف انت إزاى لحد دلوقتي ما اتعودتيش على و احنا قربنا نكمل شهرين ومن ثم امسك بخدها يداعبها: انت خجوله جدا تنحنحت و قد اشتعل وجهها احمرارا: كنت عايزه اطمن على ابوي واخواتي

تنهد فلم يكن يريد أن يصل بالحوار إلى هذه النقطه: والديك بخير وطه ولكن فتحي موصلناش أخباره من اسيوط بسبب البلبله اللي هناك

وجد أن علامات الفزع قد طفت على وجهها وسرعان ما خبأت وجهه فى يديها وبكت: آه يا فتحي

-اهدى يا عائشه أنا قلت لك انه مات!!..... وعد مني هاروح أسيوط اطمن

عليه وهاجيبهولك معايا

- لو ما جبتهوش أنا هاروحله

أحس بالضيق و قد بدا عنادها يطفو على السطح : إيه الكلام اللي بتقوليه ده أنا جوزك إزاى عاوزه تعصينى و تروحي من غير اذني وبعدين انت فاكره إنها لعبه

-ما كنتش بتقولى ده لما كنت بساعدك قبل جوازنا

-كانت لحظة طيش منى وغلطه وكمان دلوقتي غير قبل ، الانجليز بقيوا عاملين زى الكلاب المسعوره

تنهدت وقد شعرت بالضيق من كل هذا الحديث السلبي فاستأذنت منه لتخرج وتتمشى قليلا، تابعها بعينيه وهي تخرج إلى الخارج وقد شعر بالشفقة و الحزن لحالها وهو يدرك جيدا صعوبه قدرتها على التأقلم على هذا المكان الجديد كليا

عليها و زد على ذلك قلقها على عائلتها الذين قطعوا صلتهم بها و يتمنى حقا لو يخفف عنها بأى شيء

64

وقف فتحي وطارق مع الأهالي المسلحين الواقفين خلف السواتر المصنوعة من أكياس مملوءه بالأتربه وهم مستعدون اليوم لاقتحام المركز الذى يتجمع فيه كل الانجليز في المدينه وخلفه المدرسة التي اتجه إليها الأجانب مستعدين لبدء الهجوم نظر فتحي إلى الطريق وهو يشعر بالخوف من أن يحدث له مكروه فأراد أن يحاول آخر مره لجعله يتراجع: طارق روح بيتكم الدنيا دلوقتي هتقلب دم

-هو أنا يعني يا استاذ كنت بلعب الايام اللي فاتت علشان دلوقتي اروح اتراجع

-أنا عارف إنك راجل و تتحمل مسؤلية قراراتك بس انت عندك اب وام مالهمش غيرك ارجعلهم

-يا أستاذ أنا قلت قبل كده إنى مش هقدر اعيش تانى في وجود الاحتلال فارجوك افهم مشاعري

-خلاص يا طارق بس برده ما ترميش نفسك للتهلكه خليك جنبي طول الوقت وإياك تبعد عنى وفتح عينيك كويس حواليك احنا الاتنين هنكون ضهر لبعض

أدى له التحية العسكريه بطريقة مسرحيه :تمام يا فندم

ابتسم من قدرته على المرح حتى في أشد الأوقات صعوبه وبدأ الاهالى يندفعون نحو المخفر وهم يرددون تكبيرات النصر وفي أسرع من المتوقع ؛ كانوا قد دخلوا المركز وتقهقر الانجليز وكان فتحي قد اقتحم مع الاهالي و خلال ذلك انفصل عن طارق مخبرا له أن لديه عمل مهم ؛ بعد أن تأكد بأنهم هزموا الجنود وأن الخطر قد زال ؛ اخذت عينيه تمشط المكان وهو يسير فى ممرات المركز ليجده واقفا في أحد الغرف يلملم أوراقا من على المكتب الذى يتوسطه اقترب منه و عاجله بلكمة مباغته وقبل أن يدرك الآخر ما يحدث له كان يكيل له اللكمات؛ حاول التخلص منه لكن قوة فتحى الجسديه هى الغالبه ؛ ثبته الى عمود في الغرفة و ربطه بحبل وجده بالصدفه وهو يتحدث بغل: هذا هو مكانك أيها القذر

-من أنت ؟ ماذا تريد منى؟

-ألا تذكرني أنا من كنت مع الطبيبة جانيت والمفاجأة ايضا أنى شقيق عائشة التى عذبتها ؛ ضحك من كلامه فشعر فتحى بغليان فى عروقه فما الذى يضحك : انت شقيق تلك الفاتنه اتعلم تمنيت لو أنى قضيت ليلة معها أو ما شابه

ضربه بقبضته على أنفه عدة مرات وهو يصرخ بصوت عالي سوف اقتلك أيها الحقير

ليزيد الآخر من ضحكاته وهو يقول: واحذر ماذا ايضا أنا من ارسلت حبيبتك جانيت إلى بريطانيا رغما عنها و هددتها بك

فهم حينها لما انقلبت جانيت عليه فهى كان مغلوبا على أمرها أيضا و يا لغبائه لم يلحظ حزنها و هى تودعه إنه لا يستحق حبها حقا

توقف عن ما يفعله عندما تناهى إلى مسامعه اصوات هرج ومرج من الداخل ، أصوات اطلاق الرصاص وأحد ما ينادي بصوت عالي بان يخرجوا فقد وصلت امدادات عسكرية للجنود فامسك بندقيته وأصاب الضابط بعدة طلقات وبعد أن تأكد بأنه فارق الحياه خرج إلى الخارج يبحث عن طارق ويحاول معرفة ما حدث ولكنه وجد نفسه على بعد من شارع المركز بمسافه ، فالخوف من وابل الرصاص الذي سقط عليه مسقطا المئات دفعه للركض بأقصى سرعه له و دون التفكير فى شيئ سوى انقاذ نفسه ، لمح مجموعة شباب ممن يعرفهم من طلبة مدرسته سألهم عن ما إذا كان قد رأوا طارق فنفوا ؛ ذهب إلى منزله يسأل عن فلم يجده و بدا أن والديه فى حالة من الفزع إلا أنه طمأنهم قاطعا وعداً بإعادته سالماً ؛ عاد إلى منطقة المركز وجلس حتى المساء لا يعرف ماذا يفعل و من ثم علم أن المصابين و الموتى قد أخذوا إلى المشفى فقرر الذهاب و هو يدعو الله ألا يجده هناك أو على الأقل أن يكون مصابا ومضت فترة طويله يبحث بين الناس الملقاة فى الممرات والغرف ولكن دون جدوى فسأل الطبيب المناوب فأخبره أن يبحث فى غرف الموتى الذين ينتظرون مجيئ أهلهم لاستلامهم ؛ ذهب الى هناك يقدم رجلا ويؤخر أخرى وجد بعض طلاب المدرسة واقفين حول سرير وقد رفعوا أيديهم بالدعاء وعند ذلك المشهد لم يرد شيئا سوي أن يهرب من هنا أن يذهب إلى عالم آخر أو أن يكون كل ذلك مجرد كابوس سيستيقظ منه اقترب منه أحد الطلاب وهو يقول :صديقنا طارق استشهد يا استاذ ؛ امسكه من كتفيه : إيه الكلام اللي انت بتقوله ده، انت عايز تقول لي ان اللي انتم واقفين حواليه ده طارق ، بطلوا كدب بقى ده كان لسه معايا من كم ساعه و كان بيضحك ويهزر معايا وعندما لم يجد أى رد فعل من الواقف أمامه جثى على ركبتيه وهو يحدث نفسه بصوت عالي ويضرب على ركبتيه هقول

لأبوه وأمه إيه إللى أمنونى عليه وقالوا لي خدى بالك منه ، انحنى الطالب يربت على كتفيه: ده قضاء وقدر يا استاذ وانت ما لكش ذنب في اللي حصل

نزع يده من على كتفيه ونهض يقترب من طارق يمسك بيديه ليجدها بارده حتى الصقيع فبللها بدموعه : ربنا يرحمك يا حبيبي كنت نعمه الشاب فى الخلق و بر والديك والاجتهاد كنت مليان أحلام وتطلع للمستقبل بس الملاعين غدروا بيك قبل ما تحققها ولم يمضي وقت حتي نهض من جانبه فهو لم يعد يقوي على البقاء أكثر و وجه حديثه إلى أحدهم روحوا بلغوا أهله خليهم ييجوا يستلموه بسرعه وغادر المشفى بأسره ليس لديه القوة الكافيه للمشاركة فى دفنه ؛ امضى تلك الليله مستيقظا على الفراش يشعر بأنه معلق في اللاشيء وكان قد بكى حتى نبضت دموعه وتورمت عينيه وصارت بلون الدم وكأن السماء قد سقطت عليه ، الغرفة التى ينام فيها على وسعها استحالت إلى عنق زجاجه ؛ أخذ النوم عينيه مطلع الصباح بعد أن غلبه الارهاق و المجهود الذى بذله اليوم لتفتح عيناه فجأة بعد مضى وقت ليس بالقصير على أصوات ضجيج عاليه في الخارج إلا أنه لم يحرك ساكنا حتى عندما فهم أن ذلك الصوت العالي ما هو إلا اصوات غارات جويه فيبدو أنهم سيدكون المدينة على اهلها و حتى وصوله إلى هذه النقطة من التفكير لم تدفعه إلى فعل شيء فظل على حاله وقد بلغ به اليأس مبلغه ولم يعد يريد شيئا من البقاء في هذه الحياه

65

وجد نفسه يركض ناحية المنزل وهو يسمع أصوات دوى الانفجارات وصراخ الناس يفكر بقلق حد الهلع على والديه ويدعوا أن يكونوا بخير اخذ ينظرحوله والناس يركضون في كل ناحيه لا يعلم أين يذهبون منهم من يختبئون في الدكاكين وقد اغلقوها عليهم و بعضهم قد أصبحوا اشلاء يندى لها الجبين يعلم جيدا أن تحركه سوف يعرضه لاستهداف الطائرات ولكن يجب أن يعود إلى المنزل بأى وسيله ولكن امنيته لم تتحقق فوسط كل هذه الاصوات المفزعه التي تزداد مع مرور الوقت وجد عزيمته تتزعزع فاستجاب لأحد اصحاب الدكاكين وقد نادي عليه من أجل ان يبقى معه فى الداخل وجد نفسه متجها إلى البيت بعد توقف الغارات ليحمد الله عندما وجد والديه في غرفة الفرن ويبدو أن الرعب قد أخذ منهم مأخذه فرق لحالهم ولام نفسه على تأخره عليهم ؛ جثى بجانبهما وامسك بيدي كل منهما ليجد والدته ترتعش فشد على يديها وهو يقول : انت بخير يا أمه

كان جوابها نزول دموعها بصمت فاخذها في حضنه وهو يقول :خلاص يا أمه ما عادش فيه غارات

ومن ثم التفت الى والده الصامت والذي لا يبدو على ملامحه أى شيء انت كويس يا ابوى

اومأ له براسه دونما كلام ففهم أنه مرهق من ما حدث غير قادر على الحديث

ونوى أن يذهب إلى القرية التي تقيم فيها صباح كى يطمئن عليها[66]

سار فى الطرقات غير مهتد إلى سبيل بعينه يلتفت يمنة ويسره إلى الآثارالتي تركها القصف ولا يعلم لما أخطأ هذا القصف اللعين البناية التي يقيم فيها وقد اخبره أحد اصدقائه الذين قابلهم في الطريق بأن الاهالي امسكوا العصي و النبابيت و وقفوا جميعا يلحوون للطائرات بعدم خوفهم ، ولكن ما الذى سوف يحدث بعد أن دكت المدينه ؛هل سيستمر هذا التمرد ولكنه لا يظن ذلك فقد قتل معظم المتمردين وبالتأكيد تم جمع البقيه في السجون وتمنى لو ذهب مع جانيت إلى بريطانيا مؤكد أن ذهابه إلى هناك كان ارحم له من هذا الألم الذي يقتله كل يوم

[67]

جلس علي عربة الكارو يحرك لجام الخيل بيديه مستحثا إياه على السير وكانت العربة عبارة عن صندوق خشبي مغلق مليء بالبنادق والذخيره كان قد جمعها من القبائل المجاوره تمهيدا لكي يتم توزيعها على الناس عند الحاجه وها قد أتت في وقتها فقد اجتمع الناس اليوم من مناطق مختلفه عازمين على إيقاف السفينه القادمه والتي ستمر من خلال ديروط لأجل إمداد أسيوط بالجنود والسلاح ؛اوقف الحصان مرغما حينما وجد أمامه جماعة من الناس قد اعترضوا طريقه ممسكين عصيا و بنادق في مقدمتهم برعه فابتسم لحظه السعيد ونزل من على العربة آملا في أن يجد حجة كى لا يفتشوا العربه وقد وضع عليها الكثير من الاقفاص الفارغة للتمويه عن ما بداخلها ؛ تحدث بصوت غير من نبرته قدر الامكان : سلامو عليكم يا رجاله أنا .....قبل أن يكمل كلامه كان برعي ممسكا إياه من حنجرته: فاكر نفسك هتهرب مني مرتين يا على أنا لما قابلتك المره اللي فاتت معرفتكش بس دلوقتي لا يمكن تخدعني تاني

وضع يديه حول رقبته يحاول التخلص من قبضته الفولاذيه التي اطبقت على عنقه وقد بدأ وجهه يتلون بالازرق ليرن في رأسه صوت دوي رصاصه و من ثم وجد نفسه ملقي على الأرض وبرعي أمامه ملقى على وجهه مخضبا بالدماء نظر الآخرون حولهم وأخذوا يطلقون النار بعشوائيه باحثين عن مطلق النار ولكن دون جدوى صوب أحدهم فوهة البندقيه ناحية على وقد اصابته فورة غضب ليسقط هو الاخر برصاصة من مجهول فتراجعوا الى الخلف راكضين لينظر هو حوله :مين هناك

خرجه له ياسين من سطح أحد المنازل وقد كان مموها نفسه بطريقه جيده فضحك على : هو انت يا ياسين ،الفشله ما عرفوش يحددوا مكانك

-خافوا لاحسن يموتوا قبل ما يوصلوا لي فنفدوا بجلدهم

-و انت إيه اللي جابك هنا دلوقت

-صمت ياسين و لم يجبه فتابع على :جيت تشوف اهلك صح؟تحدث بتحفظ

:كنت عاوز اودعهم بس ما قدرتش ادخل البيت

وكان ياسين قبل ذلك مدمنا للمخدرات حيث تسبب بالكثير من المشاكل لأسرته حتى أنه كان يجر أبناء الاعيان من أجل أن يحصل ولو على جرعة واحده و جاءت عليه أيام لم يستطع فيها شراء المخدر ، فوجد نفسه فى الصحراء هاًئما على وجهه حتى وجده على واصدقائه و قاموا بمعالجته و بفضلهم أصبح انسانا سوياً ومنذ ذلك الوقت وهو ملازم لهم ربت على على كتفه : إن شاء الله ترجعلهم بالسلامه

تم مهاجمة الباخرة ثلاث مرات إحداهما من قرية شلش بديروط و تمكن الثوار من قتل هيزل و كان مفتشا بالداخليه و فشل هجموهم و قد لقى حسن و ياسين مصرعهما فى تلك المواقع و فشلت جميع الهجمات و دفع الناس الكثير من الأرواح

جلسا أمام النار يهربان من ذلك الجو البارد الذى يصيب الصحراء ليلا وكانت تتحدث إليه بوجه مستبشر من أنها اطمئنت علي والديها واخوتها وفتحي قد أوصل سلامه مع اصدقائه ولم يكن ينتبه إلى حرف من ما تقول فقد كان يفكر في آمر آخر مختلف عن ذلك ليفجر القنبلة في وجهها أنا رايح القاهره يا عائشه

؛ رأى وجهها مكفهرا فنظر أرضا و هو يشعر بالخجل منها فها هو يتركها كما تركها الجميع وصله صوتها و هى تقول : ليه فى حاجه

-اسمعينى كويس يا عائشه و حكمى عقلك أنا الوطن بالنسبالى هو أهم حاجه ما فيش فى قلبى غيره و لو فضلت هنا هاموت بدل المره ألف وخصوصا إن المقاومه اتكسرت شوكتها هنا وما عدش في حد يقدر يتنفس من الانجليز أما في القاهره فأنا هانضم للتنظيم السري اللي هناك

-أنا عارفه إنى مهما عملت مش هقدر اغير رغبتك و عارفه كويس كمان انك مش هترضى تاخذني معك علشان كده أنا بترجاك تخلي بالك من نفسك ارجوك حافظ على حياتك و هافضل مستنياك لما ترجع وما تقلقش على أنا هاعرف آخد بالى من نفسي

-أنا ما كنتش اتوقع انك تكونى قابله للموضوع

-أنا قلبي بيتقطع على كل اللي بيحصل حواليا بس أنا مش بايدي حاجه اعملها غير إنى ادعي ربنا بالفرج

-اوعدك إن لو ربنا مد فى حياتي هعوضك عن كل الاحزان اللي شفتيها

- و أنا عارفه اكده كويس

قبل رأسها ومن ثم وضع يديه على وجهها يمسح الدموع التي بدأت تفلت من عينيها ما تبكيش و تصعبي الموضوع على عاوز امشي وانا مش قلقان عليكى هتفضلي قاعده هنا شويه لحد ما الوضع يهدى وبعدين تروحي تقعدى مع اهلك وأنا متأكد إنهم هيسامحوكى

امسكت بيديه التي تمسك وجهها: صالح فتحي قبل ما تمشي يا علي أنا زعلانه إنى خربت ما بينكم

-انت ما لكيش ذنب في اللي حصل و أنا هاروح اصالحه واودعه قبل ما امشي من غير ما تقولي

جلس على القهوة التي يعتاد الجلوس فيها دائما ، منذ أن بدأ العمل فى اسيوط وقد وضع أمامه كوب من الشاي يشرب منه بين الفينة والاخرى ؛ عيناه شاردة في اللاشيء يجلس أمامه صديقه مصطفى يشرب من أرنجيلة بجانبه: كفايه يا عم فتحي نكد بقى بهدلتنا و أهلك اللي ما عبرتهومش دول بقالك شهر

اجابه بشرود: أهم حاجه انهم بخير هيعملوا إيه بشوفتهم ليا

-لا ده انت بقى ناوي تجنني رفع كوب الشاي الى فمه يرتشف منه متجاهلا الذى أوشك على الاشتعال حينما وضع أحدهم يده على كتفه و قد وصله صوت مألوف بالنسبه له :صباح الخير يا فتحي

شعر بأن الكهرباء تسري في جسده ونهض من فوره دونما أن يرد عليه تحيته ممسكاً بكتفيه و بنبرة أقرب إلى الجذع : إيه اللي حصل يا على عائشه كويسه

-ما تقلقش هي بخير وبتسلم عليك وكل اهلك بخير و عايزين يشوفوك فى أقرب وقت

وضع يده في جيوب بنطاله وقد كسى وجهه بالجمود إيه اللي جابك

-ممكن نقعد ونتكلم يا فتحي

جلس على الكرسي وهو يجيبه : نتكلم لما نشوف آخرتها نهض مصطفى وجلس

على بعد منهم يتركهم على انفراد

- يا فتحي أنا عارف إنى غلطت و استاهل و أنا بطلب المسامحه منك

-انا ما عدتش غضبان منك يا على

وقف على طوله وامسك بمنكبيه وهو يتحدث بحماس: يعني ما عدتش غضبان منى يا اخويا

وعلى عكس جميع توقعات على فقد بكى فتحى واضعا يده على وجهه تخرج منه حشرجة تؤلم القلوب :-فى إيه يا أخويا مالك بس

-تعبت يا على .....تعبت من الدنيا إللى إحنا عايشين فيها دى .....كل يوم و التانى و الحال بيميل عن الأول ؛ شباب زى الورد فقدوا حياتهم فى غمضة عين و أهاليهم متحسره عليهم

- ده قدرهم يا فتحى

- أنا عارف يا على يعز عليا إن الطلبه اللي كنت بشجعهم وباتنبألهم ديما بمستقبل باهر والأمل اللي كنت بشوفه في عيونهم كل ده يروح بين يوم و ليله

- ربنا يجعلهم من الشهداء

-آمين

-عارف يا علي أنا سامحتك لإنى خلاص فهمت إن الدنيا دي مش دايمه أنا مش عايز امشي من هنا وأنا لسه مقاطع اعز اصحابى

-تفائل يا فتحي ان شاء الله هنقدر نطردهم من هنا و هتيجي أجيال تتحدد عن بطولاتنا وكفاحنا ضد الاحتلال ؛ احنا بنضحى بنفسنا يا فتحي عشان الأجيال اللي بعدنا تعيش و يا عالم يمكن يجي على أنا وانت يوم من غير ما يكون فيه انجليز في البلد ساد الصمت بينهما بعد وقت قبل أن يتحدث على أنا هاروح القاهره

ضحك فتحي بسخريه: عايز تكمل مشوار النضال

-ليه بتسخر يا فتحي مع انك شاركت في الثوره وكنت مشارك بقوه كمان

-أنا شاركت لأن ما عنديش حاجه اخسرها باختصار الدنيا ما عدتش فارقه معى وغير كده كان في طالب عزيز عليا متحمس للثوره شاركت عشان احاول احميه بس خسرته في النهايه ومن ثم تحشرج صوته وهو يتابع حديثه: غفلت عنه دقايق يا علي

-حتى لو كنت معاه برده ما كنتش هتعرف تنقذه من الموت

مسح دموعه وهو يجيبه: ربنا يرحمه

ودعا بعضهما الآخر على أمل أن يلتقيا فى وطن حر

توقفت عن السرد و بدأت في البكاء وكأن الدموع لم تجف فى مآقيها منذ زمن

فاقتربت نور منها تمسح على كتفها: مالك يا جدتي بس بتعيطي ليه

-افتكرت اللي حصل لفتحي وطه بعد كده يا بنيتي

-ايه اللي حصل

-بعد وقت خدوا فتحي مع اللي كانوا فى الثوره واتعدم بعدها بفتره وطه اتاخد فى قضية القطر واتحكم عليه هو التانى بالاعدام في محكمة أسيوط كنت بزورهم دايما في السجن وكانوا ثابتين يا ولادي ما كانوش خايفين من اللي هيحصلهم

سألت فريده بتفكير :وحصل إيه للدكتور خليل

-اتعدم يا بنتي ابوه اتوسطله كتير عند القائد الانجليزي وفي الاخر دفع رشوه ولما قدر ياخذ حكم الاعفا ويرجع لديروط بيه ؛ كان خليل اتعدم قبل ما يوصل بساعات ناس كتير زعلت عليه وابوه انحنى ضهره من يومها

-كد إيه يا جدتى كانت حياتكم صعبه

-أنا يا بنيتى لولا عرفت إنى حامل بأبوكم بعد ما جدكم على مشى ما كنتش هاقدر أعيش

تسائلت نور بحزن : و هو جدى ما رجعش تانى

-لا يا بنيتى فضلت مستنياه كتير و هافضل مستنياه لحد ما أموت أكملت السرد و هى تمسح بقايا دموعها بالشال الذى على رأسها : و بعد ما جبت أبوكم رجعت لأمى و أبويا و كانت حالتهم صعبه؛ أبويا ما كنش قادر يحرك رجليه من الحزن و أمى فضلت كل يوم تعيط من الحزن لحد ما راح بصرها عشت معاهم و كنت بطلع اخدم في البيوت علشان انا أعيل نفسي و أعيلهم وأعلم ابوك

تسائلت فريده باهتمام :و سامحوكى يا جدتي

-ايوه يا بنتى في النهايه ما كانش بقى لهم غيري أنا وجدتك صباح الله يرحمها الجنود أخدوا شرفها و قتلوا جوزها و عيالها و طه و فتحى عرفوا بعدما دخلوا السجن حتى فتحى ساعتها من كتر غمه حاول ينتحر بس إللى كانوا معاه لحقوه؛ تسائل إيهاب الذي كان جالسا طوال الوقت يستمع فيصمت ودون أن تبدو عليه أمارات التأثر و دائما ما كانت تشبهه بأخيها طه فى هدوئه: و عرفتى إزاي يا جدتي بقصة الحب اللي كانت بين جدي فتحى و الخواجيه و التفاصيل دى كلها

-اخرجت من ملابسها دفترا صغيرا عبارة عن مجموعة من الاوراق مربوطه مع بعضها بخيط :هو كان كاتب كل حاجه مرت بينا طول الفتره الاخيره ولما كبر ابني فتحي قراها لي كذا مره لحد ما حفظتها والرسايل اللي بعتتها الخواجايه لاخويا الله يرحمه هو قراها في السجن وكتب رسايل ليها بس إحنا ما عرفناش نبعتها ليها

-هي الرسايل دي فين

-هتلاقيهم مع ابوك يا ابني

ومن ثم رفعت يديها الى السماء : ربنا يرحمهم جميعا انا و الله يا أولادى فرحانه إن ربنا مد في عمري عشان اشوف نتيجة إللى زرعوه أجدادكم من سنين

أيدها ايهاب و هو يومئ برأسه: أيوه لولاهم ما كناش هنخلص من الاحتلال

وبدأت نور وفريده يشاركهم إيهاب في التحدث عن بعض الامور المضحكه كى يدخلوا الفرح على جدتهم وسرعان ما انضم اليهم فتحي وزوجته وقد حل المساء و هبت نسمات الليل البارده تثلج الصدور الحزينه وتنسى المكروبين همومهم

النهايه

149 150